٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أكتوبر ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الرابع عشر (الثانى من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هـذه المجلة رضاك . ويَسُرّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

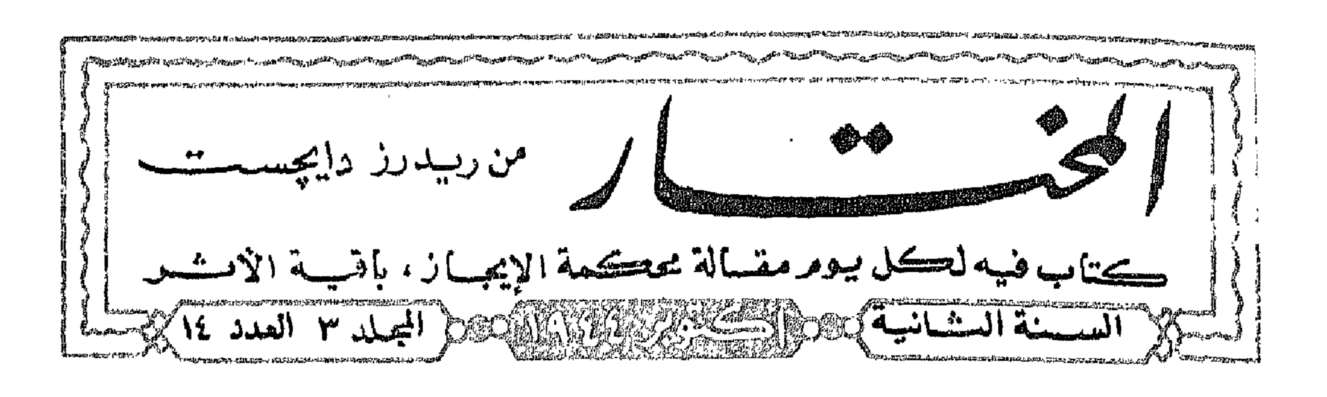
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سـوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون



أغنى رجل على ظهر الأرض

تبلغ ثروة نظام حيدر اباد نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال وينفق عشرين ريالا في الشهر ، ويركب سيارة فورد قديمة وهو على العموم رجل لطيف وان كان يحيا في وحشته

ملخصة عن مجلة "ستر داي ايفننج بوست"

أرنست و. هاوزر

مراسلها الآن في الهند

صاحب العظمة عثمان ، نظام حيدرباد ، يعد أقوى أمراء الهند ، وهو يحكم إقليما في سعة إنجلترا وإسكتلندة . والمشهور أنه أغنى رجل في العالم ، ولكنه ينفق في الأسبوع خمسة ريالات ، ويقضي وقته على شرفة قديمة يشاطره إياها ماعز أثير عنده .

وحيدر باد هي كبرى ولايات الهند وأولاها . وحاكمها — رستم الدوران ، وأرسطو الزمان ، ومظفر الملك والممالك ، فاتح ينج ، نظام الدولة ، نظام الملك ، أصاف شاه ، سلطان العلوم ، سباه سالار الجنرال نواب السير مير عثمان على خان بهادور ، الحليف الوفي للحكومة البريطانية — هو صاحب المقام الأول بين أمراء الهند الذين تبلغ عدتهم ٥٦٢

وبينه وبين التاج البريطاني معاهدات قديمة وثيقة تضمن له حقوق السيادة فيما عدا الشئون الخارجية ، وهو يعد نفسه صديقاً لا تابعاً للملك الإمبراطور ، وعيناه الحادتان اللامعتان ساهرتان أبداً على حقوق السيادة التي لا تعد سيادة وهمية في أي حال .

وسلطته مطلقة على رعاياه الذين يبلغون ١٧,٠٠٠,٠٠٠ ، وإن كان في ٣٣ سنة من حكمه لم يصدق إلا على حكمين بالإعدام . ويحتفظ بإدارته الجمركية الخاصة ، ويتقاضى ٥ في المئة رسوماً على الواردات من الهند

البريطانية ، وله جيشه الخاص ، وطوابع بريده ، وسككه الحديدية وخطه الجوى . وأوراق النقد التى يصدرها هى الوحيدة التى يتداولها الناس إلى جانب الروبية التى تصدر أوراقها حكومة الهند البريطانية .

وقد تتوقع أن يبدو « النظام » فى عمامة مرصعة بالجواهر ، وحلة من الحرير ، ذات أزرار من لؤلؤ ، ولكنه رجل حيي جم التواضع فى الثامنة والخمسين من عمره ، وشعره متهدل وحاجته شديدة إلى الحلاق ، والاقتصاد أبرز مزاياه ، ويلبس فى العادة ثوباً هنديا من نسج بلاده ، وحذاءين عتيقين ، وعمامة لو كانت لخادمك الهندى لاطرحها منذ سنوات . ووراء جبهته الجلواء ذهن من أشد الأذهان اتقاداً ولوذعية ، لا ينقطع عن العمل . وهو حسن الاطلاع على الشئون الهندية والعالمية ، وإذا لقيته أمطرك وابلا من الأسئلة بسرعة عظيمة .

وهو سابع نظام تولى الإمارة ، وهو مسلم صادق الإيمان كأسلافه ، وأسرته من أصل تركمانى، ويقال إنها تنتمى إلى أبى بكر الصديق صهر النبي عليه السلام وخليفته . وكان أبوه « نواباً » يركب الفيلة وسيارات الرولز رويس ، ويحمل جواهره ولا يخبئها ، أما الجواهر التى هى أثقل من أن يحملها فكانت تخاط إلى أكياس ، تتخذ منها متاريس للأبواب فى قصوره المتألقة . وقد ظل سنين عديدة لا يُرزق ابناً ، ثم ولدت له راقصة هندية كانت حظية عنده ، ولداً — هو عثمان — فكان هو وارثه .

وقد نشأ عثمان فى بلاط أبيه، وتلقى دروساً خاصة فى مواد كالتاريخ والأدب واللغات ، وهو متمكن من العربية والفارسية والأردية والإنجليزية ، ولكن تربيته المنزلية كانت أضيق نطاقاً من أن تتيح له فرصة للظهور فى أى ميدان خاص . على أن من الإنصاف أن نقول إنه لم يسئ حكم إمارته فى السنوات الثلاث والثلاثين ، ولم يسئ تدبير أموره الخاصة أيضاً .

ولما مات أبوه ، أوصد عثمان قصر « فلك نوما » — ومعناه « مثل السماء » — وانتقل إلى مسكنه الحالى المتواضع فى ضاحية من ضواحى مدينة حيدر باد . وهو عبارة عن اثنى عشر مبنى واطئاً غير فخم يحيط به سور عال ، وله سيارة رولز رويس صفراء ذات أجراس وزينة اشتريت له فى بداية حكمه ، وهى مهملة فى الجراج . ولم تستخدم الفيلة الملكية مذ تولى الإمارة ، وإذا أراد عثمان أن يخرج استقل سيارة فورد عتيقة من عهد ما قبل التاريخ .

ولا يقيم الولائم إلا إذا لم يكن عنها معدى ، وهو كمعظمنا يتعلق بأشياء ألفها

منذ سنين ، فهو يكره أن يغيرها . ويرتدى ثيابه حتى تبلى وتنشق عنه . وقد أصيبت عصاه ذات مرة بشق فبعث إليه تاجر كبير بمجموعة من العصى ردها جميعاً وأبى إلا أن يستعمل عصاه التى ظلت قطعة واحدة وإن كانت مشقوقة . ولما زاره اللورد لنلثجو والى الهند السابق ، وقف عثمان ينتظره على رصيف المحطة وهو متوكئ على عصاه القديمة ، التى انثنت تحته انثناء خطراً .

قال له الوالى : « هذا خطر جدا ياصاحب العظمة » .

فقال عثمان : « نعم ، ويحسن أن أضع حول الشق طوقاً » . وقد فعل .

وتبلغ موارد دخله المعروفة فى السنة ٣٦٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية ، أو مايعادل ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال . ويدخل فى هذا ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية من تقليد غريب للقصر ، إذ يأتى أحد الرعايا فيستقبله النظام فى قاعة العرش فيقدم إلى عظمته «أشرفية» من ذهب قيمتها نحو مئة روبية ، مضافاً إليها أربع روبيات من فضة . وكانت عادة أبى عثمان أن يلمس هذه النقود ويردها ، فتصبح مباركة ، أما عثمان فيحتفظ بالنقود . وفى المهرجانات الأربعة السنوية ، وفيها تمد الموائد المثقلة بألوان الطعام لآلاف من الضيوف ، على حساب الإمارة ، يطوى عثمان كميه ويواجه الصف ، ويلقط قطع النقود الخمس بسرعة من يد كل واحد ويلقى بها فى كيسين ، الفضة فى كيس ، والذهب فى كيس . وثم هدايا أخرى يتلقاها ممن يتطلعون إلى ألطاف خاصة منه تقدر تقديراً معتدلا بنحو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال فى العام .

ويؤخذ من أقوال النظام نفسه أنه ينفق ٢٠ ريالا فى الشهر ، أما موظفو القصر ، وحتى المطبخ ، فعلى حساب الخزانة العامة . وقد طالما أعرب عثمان عن إيثاره للصناعات المحلية ، فكانت النتيجة المحمودة أن ثيابه وأدوات زينته وسجايره يقدمها إليه الصناع المحليون ، فجملة ما ادخره النظام فى ٣٣ سنة من الحكم لا بد أن تكون نحو ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

على أن معظم ثروته جواهر ، وقد قوّم جوهرى سمح له ذات مرة بأن يرى هذه المجموعة لإصلاح بعضها — قوّم « ما رأى منها » بألف وخمسمائة مليون ريال . وتشتمل المجموعة على ماسة « يعقوب » وهى التى كان يستعملها النظام السابق مثقلة للورق ، وهى ماسة كبيرة على هيئة الجمل ، وثلاثة حجارة كريمة فى حجم البيضة ، وعدد من فصوص نادرة من الزمرد . أما لآلئ النظام فقد أمر مرة بإخراجها لغسلها فى محلول خاص ليبقى لها بريقها ، ولترتب وتقوّم

بحسب أحجامها، وقد صارت اللآلئ حين نشرت عبارة عن بساط لماع يغطى سقف كل بناء فى قصره ، واحتاج الخدم إلى ثلاثة أيام لنشرها ، أما الترتيب والتقويم فرؤى أنه يستغرق من الوقت أكثر مما ينبغى فعدل عنه . وعلى ذكر ذلك ، تقول إن عثمان يملك أكبر مجموعة من الذهب لأدوات المائدة ، وهى أطباق وصحاف وسكاكين وملاعق وشوكات ، ومنافض للسجاير ، ومواعين للملح ، وكلها من الذهب الإبريز ، وتكفى ١٥٠ نفساً . وأخبرنى أحد خدمه أنه « ليس فى قصر بكنجهام إلا أدوات تكفى ٢٤ نفسا فقط » — قالها بلهجة العطف والرثية !

وليس للنظام بيت خاص يصون فيه هذه الكنوز ، ومعظم ثروته هذه التى لا يحميها سوى جرس كهربائى يفضح نية السارق ، مكدسة فى المبنيين الرئيسيين اللذين يعيش فيهما . فالذهب ، من نقد وسبائك وكتل ، مكدس إلى جانب الجدران فى غرف الجلوس والنوم السابقة ، وهو يملأ الردهة والجراج ، وقد وضع بعضه فى أركان منسية . وقد حدث منذ عشرين عاما أن أقبلت سيارة تقل فيها سبائك من الذهب فدخلت أرض القصر ، ولم يكن ثم مكان لهذه السبائك ، فاتخذ عثمان تدبيراً وقتياً وأمر حارساً بملاحظة هذه البضاعة النفيسة ، ولا تزال السيارة فى مكانها إلى الآن ، وقد غاصت عجلاتها فى الثرى ، وغطت الحشائش جوانبها ولا يزال الذهب فيها ، وكذلك الحارس .

وإذا أسقطنا من الحساب مزارعه الخاصة — ومساحتها نحو ٨٣٠٠ ميل مربع يسكنها نحو ١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة — فإن ثروة النظام تبلغ على الأرجح ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال وهو لا يستفيد منها إلا لذة الاقتناء ، ولم يظهر ارتياحاً إلى استثمار شىء منها فى الصناعات ، لأن ذلك يؤدى إلى حجبها عن نظره .

وغص عشه وانتفخ ، وضاق به ، فاتخذ من الشرفة مسكناً له ، حيث أقام حجازاً رقيقاً يفصل غرفة نومه القليلة الأثاث من حجرة عمله وهى أضأل أثاثاً . ويعرف عنه أنه أكثر أهل حيدر باد كداً ، فهو ينهض فى الفجر ويستقبل اليوم باحتساء القهوة ثم يشرع فى القراءة والكتابة ، ويفطر فى الساعة التاسعة على الشاى والبسكويت دون أن يقطع عمله ، ويُطعَم ماعزه فى الوقت نفسه تحت إشرافه . ومتى بدأ العمل فى مكاتب القصر ، أخذ الرسل فى أزياء رثة

يروحون ويجيئون بين الشرفة الملكية ومكاتب القصر .

وحوالى الساعة العاشرة يقبل أول القادمين للمقابلة ، وبينهم مدير البوليس ، وطبيبان أو ثلاثة يرفعون إليه أنباء الحالة الصحية فى الحريم .

ثم ينظر فى شئون حيدر باد على النحو التالى الظريف :

ينهض عثمان عن كرسيه ، ويستقر على درجات السلم ويحيط به وزراؤه ورجال بلاطه على هيئة نصف دائرة ، فإذا فرغوا من ذلك بعد ساعتين فإنه لا يكون قد بقى من أمور حيدرباد شيء لم يفحص أتم فحص ، فإن عثمان يعنى عناية شديدة بكل ما يجرى وراء أسوار القصور ، وأبواب الأكواخ ، من الحوادث الغرامية إلى المنازعات على التركات .

ومن عادة عثمان أن يرسل نماذج من طعام غذائه إلى كبار رجال بلاطه ، فيتخير قطعاً من الفاكهة ، ومن الخبز والقشدة توضع فى طبق وترسل بالسيارة فيغتبطون بهذه الالتفاتة اللطيفة منه ، ويبعثون إليه عادة بقطع قليلة من النقود فى مقابلة ذلك .

وبعد الظهر يدرس عثمان بعناية الوثائق المعروضة عليه للتوقيع ، وقد يعيدها أحياناً وعليها حاشية على الهامش تنبه الوزراء إلى ما أغفلوه . وما من مشروع يصبح قانوناً فى حيدر باد بدون إقراره .

وكان عثمان عميق الحب والوفاء لأمه ، وهو يزور قبرها كل يوم بعد العصر ، فيطلق الشرط صفاراتهم ، ويقف المارة ، ويسود المدينة الصاخبة سكون مفاجيء حين يجتازها عظمته — ذلك الرجل الحزين المستفرد الوحيد — فى سيارة فورد قديمة .

وفى المساء يطالع كتب الأدب الفارسى ، والقرآن ، وينظم الشعر ، ويكتب مقالا يملأ نهراً من صحيفة . وفى هذه المقالات يتناول موضوعات شتى مدهشة من البرتقال إلى الطلاق ، وقد قصر هذا النهر كله أخيراً على شرح عبارة « شهر العسل » الإنجليزية ، ولا يتلقى أجراً على جهوده الأدبية .

وحيدرباد أوثق الولايات الهندية صلة بالعرش البريطانى ، وقد ظلت على مودتها له منذ ذهب الإنجليز إلى الهند قبل قرنين تقريباً ، وبذلت معونتها فى الحربين الماضية والحاضرة بالسلاح والمال . وتوجد الآن كتيبتان من حيدرباد تعملان فى الخارج ، وثلاثة أسراب جوية فى السلاح الجوى البريطانى ينفق عليها من أموال حيدر باد . وتقوم مصانع حيدرباد بإنتاج ما يطلب منها للحرب ، وتتولى حكومة النظام تدريب الطيارين والميكانيكيين للأعمال الحربية .

وبعد الوفاق الذى لم يعكر صفوه شىء قط بين والى الهند ونظام حيدرباد، حقيقة سياسية فى المكان الأول من خطر الشأن، فإن عثمان أكثر من رئيس مدنى لولاية هندية. وقد صارت حيدر باد قبلة تسعين مليوناً من مسلمى الهند يرون فى شخص حاكمها رمزاً لقوة الإسلام، فهو يمثل فى نظرهم ثقافة الإسلام وتقاليده، والوارث الشرعى لدولة المغول الكبرى التى كانت تبسط ظلها على رقعة الهند الواسعة، وشخصه مقدس وقد ذهب مرة ليصلى فى مشهد دلهى الشهير فاحتاج الأمر إلى وضع ثلثمئة من الرجال فى ثياب مدنية بين المصلين، لمنع الجمهور من التحاشد عليه لفرط لهفتهم على الفوز بالبركة منه شخصيا بلمس جسمه. وكل ما يقوله يستمع إليه ويؤمن عليه المسلمون من ممر خيبر إلى رأس كومورين.

وقد زاد مقام عثمان فى العالم الإسلامى رفعة ومجداً بزواج ولديه من بنت سلطان تركيا السابق وبنت أخيه، وقد تم الزواج فى سنة ١٩٣١ بمدينة نيس. وكان حادثاً اجتماعيا من الطبقة الأولى، وقد اغتبط أهل حيدر باد بذلك لأنها كانت أول مرة يتزوج فيها واحد من بيت الحاكم من الخارج — فما خرج « نظام » قبله من بلاده — ولأن العروسين كانتا على جانب عظيم من الجمال والفتنة. واليوم بعد ثلاثة عشر عاماً من الزواج، صارت الأميرتان مدار جدل حام بين الذين يقولون إنهما خير ما فى حيدر باد، والذين يقولون إنهما الشىء الوحيد الحسن فى حيدر باد.

أما الزوجان، ولى العهد وأخوه الأصغر الأمير معظم، فيعترفان صراحة أنهما مدينان لزوجتيهما بما تعلما. والأميرة دُرّو شهوار كبرى الاثنتين، ذكية قوية الإرادة، ومن دعاة التقدم، وثم من الأسباب ما يبعث على الاعتقاد بأنه ستكون لها يد قوية فى إدارة الأمور حين يخلف زوجها أباه على المقعد الذهبى، فإن أكثر ما يعنيه الآن هو سباق الخيل. أما بنت عمها الأميرة نيلوفر فمن أجمل النساء، وهى قوية الأنوثة، قريبة إلى القلب وظريفة.

وأكبر ما يحزن عثمان أنه هو وإخوانه المسلمون اليوم، بعد سبعة قرون من الحكم الإسلامى فى الدكن، لا يزالون غرباء فى بلادهم. وأهل حيدر باد منهم ٨٥ فى المئة من الهندوس، والمسلمون أقلية لا تتجاوز ١١ ٪ على أنه لا شك أن المسلمين أقلية قوية، وفى أيديهم كل الوظائف الحكومية العالية، وهم يملكون كذلك معظم الضياع الكبيرة.

ولست تجد فى العالم أرضاً بقى فيها النظام

الإقطاعى صرفاً غير مشوب ، كما بقى فى حيدر باد ، ولكن إلى أن يؤتى أهل حيدر باد ، وأهل الهند عامة ، الإرادة والقوة للفوز بما هو خير من ذلك ، فإن عثمان يحكم بلاده حكما استبداديا صالحاً . ولم يخفق فى ذلك . وقد قيل إن المعدة الممتلئة هى مقياس الحكم الصالح ، وأهل حيدر باد لا يموتون جوعا ، كما يموت سواهم بالآلاف فى جهات أخرى من الهند .

وإذا كان يبدو مما سلف عليه القول أن عثمان رجل حريص فاتر النفس ، فإن مثل هذا الظن يكون خطأً محضاً . فإن أبعث ما يبعث على الدهشة من أمره أنه « إنسانى » جدا ، ففيه فكاهة ، وهو يضحك من أعماق قلبه لأوهى الأسباب ، ويعرف معظم النكات المتداولة عنه فى العاصمة ، ويضحك منها ملء شدقيه . وقد استظرف على الخصوص نكتة حديثة فى حوار مزعوم بين اثنين من رجال بلاطه .

قال أحدهما : «كان علىّ أن أقدم تقريراً مستعجلا إلى عظمته ، ولكنه كان نائماً ولم أجترئ على إيقاظه » .

فقال الآخر : « لو كنت ضربت قطعة من النقود بأخرى لأيقظه ذلك على الفور » .

العناية تولت الطير

التفت لورد منتو ، حاكم الهند الأسبق ، إلى خادمه الذى تولى رعاية ضيف أمريكى ممتاز ، وقال : هل أصاب ضيفنا الأمريكى الكبير صيداً حسناً ؟

فقال الخادم الهندى : أوه . إن الصاحب الشاب أحكم الرماية أيما إحكام ، ولكن العناية تولت الطير برحمتها !

[مجلة كابر الأسبوعية]

أيهما تختار

مضى أحد الشبان من سكان الجبال فى مصادقة فتاة ، إلى أن استوقفه والدها وقال : مضت سنة تقريباً وأنت تخطب ود نلى ، فما تريد ؟ أشريفة نيتك أم غير شريفة ؟ .

فقال الشاب الدهش : أتعنى أن لى أن أختار ؟

[هارى هيرشفيلد فى مجلة « باريد »]

كينا من صنع البشر ...
لا من لحاء الشجر!

"وفق عالمان شابان – بتشجيع رجل من رجال الصناعة ليست الكينا من مستلزمات صناعته – الى تحضير هذا العقار الذى قد ينقذ حياة الملايين"

هارلند منشستر + + + ملخصة عن مجلة "سينس نيوز لِتَر"

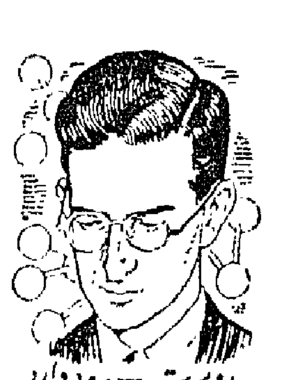
منذ ثمان وثمانين سنة أمضى شاب يدعى وليم بركين عطلة عيد الفصح فى معمله فى سطح منزل بلندن، وهو يحاول تحضير الكينا فى أنبوبة اختبار. وكانت الملاريا يومئذ تجتاح العالم كما تفعل اليوم، وكانت الكينا المستعملة فى علاجها قليلة الوجود. وقبل أن تشرف عطلته على غايتها اكتشف العالم البالغ من العمر ١٨ عاماً، أول صبغة من أصباغ القطران، وكذلك وضع أساس الكيمياء العضوية فى عالم الصناعة، وأصبح سير وليم بركين، ولكنه لم يفلح قط فى تحضير الكينا.

وفى عامنا هذا، قضى الفتيان روبرت ب. ودوارد ووليم ا. دورنج عطلة عيد الفصح فى معمل، ونجحا أخيراً فيما أخفق فيه بركين وكثيرون سواه من نوابغ العلماء. وقد بدآ بحثهما بمواد كيميائية يمكن استخلاصها من الفحم أو البترول، ثم تدرجا إلى تقليد تركيب جزئ الكينا المعقد، وخرجا من المعمعة بقارورة صغيرة ملأى بالعقار الثمين. وليس ما خرجا به بديلا من الكينا، ولا هو عقار مقارب لها، ولكنه الكينا ذاتها.

ولم يجئ قط اكتشاف ما فى أوان الحاجة إليه كما جاء هذا الاكتشاف. فقد كانت الملاريا حتى قبل الحرب تقضى على ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ شخص فى كل عام، وهى اليوم تزداد انتشاراً بازدياد الهجرة فى أثناء الحرب، حتى ليتوقع خبراء الصحة أن تعود إلى تهديد مناطق خضعت فيها قبل لسيطرة العلم. وتلك حقول السنكونا (الشجرة التى تتخذ الكينا من لحائها) فى جاوة التى كانت تمد العالم بما يكاد يكون كل ما يحتاج إليه من الكينا، واقعة فى قبضة اليابانيين. وسيستغرق مشروع استنبات السنكونا فى نصف الكرة الغربى أعواماً، والرأى الغالب أن الأتبرين وسائر أبدال الكينا لا يمكن أن تحل محلها.

كان بركين شابا حين حاول ما حاول، وجميع المتصلين بهذا الظفر الجديد شبان أيضاً. فودوارد فى السابعة والعشرين، ودورنج فى السادسة والعشرين، وأدوين ه. لاند

رجل الصناعة العالم الذى ظاهر المشروع ، فى الخامسة والثلاثين . وتبدأ قصة هذا الكشف فى الواقع منذ عشرة أعوام ، يوم اخترع لاند طريقة لنظم بلورات الكينا واليود حتى يتألف منها لوح متماسك شفاف من العجائن الكيميائية . ولهذه المادة الرخيصة من القدرة على استقطاب الضوء (تقسيمه)

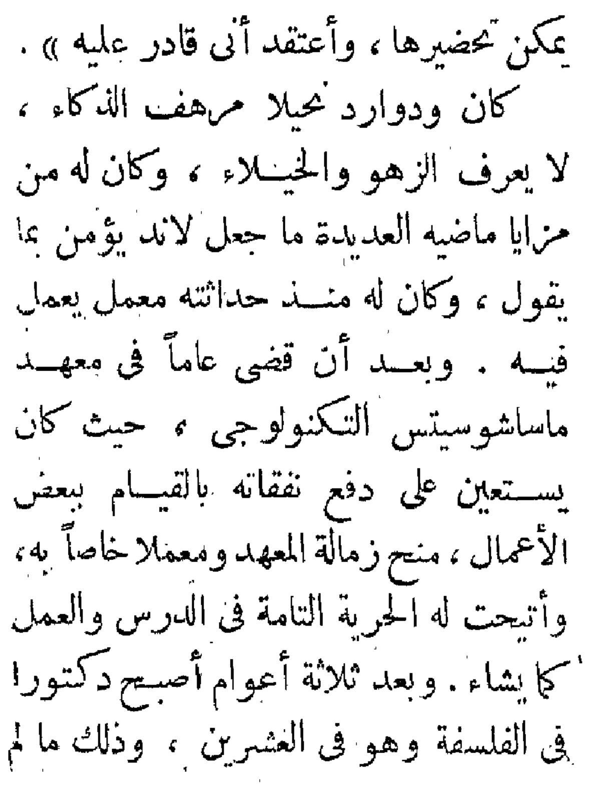

روبرت ب. وودوارد

ما لبلورات «الكالسيت» الغالية الثمن ، التى كانت تؤدى هذا الغرض من قبل . وألف لاند « شركة المستقطبات » ، وتكشفت ألواحه القادرة على وقاية العين من وهج الضوء ، والمتصفة بخواص بصرية أخرى ، عن منافع شتى ، تتدرج من استعمالها فى النظارات الواقية من الشمس ، إلى الآلات المستعملة فى الأسطول . وسرعان ما أصبح لاند فى أمريكا أحد كبار مستعملى الكينا من غير الأطباء .

وقد أدرك لاند الخطر الذى يهدد وارد الكينا منذ سنة ١٩٣١ يوم غزا اليابانيون منشوريا ، فبدأ يجرب مستقطبات جديدة للضوء ، لا تدخل الكينا فى تركيبها ، وفى النهاية عثر على مادة للاستقطاب تحل محل الكينا ، بل تفوق الألواح المصنوعة من بلوراتها .

وللأبحاث العلمية دور هام ، فى عمل لاند ، ومن أجل ذلك اتفق مع عدد من الكيميائيين من الكليات القريبة ، يستشيرهم حين الحاجة إليهم ، فإذا كان لأحدهم مشروع يبدو مبشراً بالنجاح سمح له لاند أحياناً أن يمضى فيه على حساب الشركة . وقد كان الدكتور وودوارد أحد هؤلاء المستشارين ، وكان له ضلع فى اختراع ذلك المستقطب الخالى من الكينا .

وحاول وودوارد أن ينحى عن باله فكرة تحضير الكينا المصنوعة فلم يستطع، وكان يقول للاند : « إنى واثق أن الكينا يمكن تحضيرها ، وأعتقد أنى قادر عليه » .



كان وودوارد نحيلا مرهف الذكاء ، لا يعرف الزهو والخيلاء ، وكان له من مزايا ماضيه العديدة ما جعل لاند يؤمن بما يقول ، وكان له منذ حداثته معمل يعمل فيه . وبعد أن قضى عاماً فى معهد ماساشوسيتس التكنولوجى ، حيث كان يستعين على دفع نفقاته بالقيام ببعض الأعمال ، منح زمالة المعهد ومعملا خاصاً به ، وأتيحت له الحرية التامة فى الدرس والعمل كما يشاء . وبعد ثلاثة أعوام أصبح دكتورا فى الفلسفة وهو فى العشرين ، وذلك ما لم

يسمع به من قبل فى هـذا المعهد . وبعد ذلك زاول بحثاً فى جامعة هارفرد ثم التحق بهيئة أساتذتها .

لم يطلب ودوارد من لاند إلا أمراً واحداً ، وهو أن يشد أزره بيل دورنج أحد أصدقائه فى جامعة هارفرد . ففى المعمل يفكر دورنج على نمـط تفكير ودوارد ، ولـكن وجه الشبه ينقطع هنا . فدورنج شاب من ولاية تكساس ، شديد التوفز والتوثب ، فكأنه يتمم خلق صاحبه الرصين.

وأخذ الرجلان يعملان معاً منـذ أول فبراير سنة ١٩٤٣ ؛ وكان أمامهما نموذج مكبر من خشب لجزىء الكينا الشـديد التعقيد الذى اعتزما أن ينسخاه . وكان هذا النموذج مؤلفاً من اثنتـين وخمسين كرة مختلفة الألوان تمثل ذرات الـكربون والإيدروجين والنتروجين والأكسجين ، يصل بعضها ببعض عصيات نظمت على نسق غريب . وهـذا النموذج الذى يبلغ طوله قدمين هو صورة مكبرة ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ضعف لما يزعمه العلماء من تركيب جزىء الكينا ، اعتماداً على خواصـه فى مختلف الاختبارات . فإذا أخرجت واحـدة من هذه الكرات الاثنتين والخمسين عن موضعها فالمادة التى أمامك ليست مادة الـكينا .

وبدأ ودوارد ودورنج بمـادة كيميائية تسمى هيدروكسى — إيزو — كينولين وهى تستمد من الطولون (أساس المادة المتفجرة ت . ن . ت) وغاز الأسيتيلين ، وكلاهما مشتق من الفحم أو البترول . فهذه المادة تتكون من نفس أنواع اللبنات الذرية التى تتكون منهـا الـكينا ، ولـكن جزيئها يختلف تماماً عن جزىء الـكينا . وكانت غايتهما أن يأخذا ذلك الجزىء فيحتالا على تنسيق الـكرات والعصيات فيه حتى تتخذ نظام ترتيبها فى جزىء الـكينا .

وانصرمت الشهور فى إنشـاء ما كان دورنج يسميه « بالهيكل العظمى للجزىء » على أن يضيف إليه بعد ذلك ما هو ضرورى من الذرات . ونظراً لانشـغال ودوارد بعمله فى جامعة هارفرد ، لم يسعه أن يعمل فى هذا البحث إلا لماماً ، ولـكن دورنج ، وقد فرغ من قضاء مهمة حربية سرية ، كان فارغاً للعمل ليل نهار .

استهلا التجارب بخمسة أرطال من تلك المادة ذات الاسم الطويل ، فعالجاها خمسة عشر علاجا معقداً ، فعرّضاها للضغط العالى والحرارة المرتفعة ، ليتمكنا من دسّ ذرات جـديدة فيها . وفى أكتوبر عين دورنج فى منصب من منـاصب التعلم فى جامعـة كولومبيا ، وأصبح على الشريكين أن يتعاونا على البعد بالتلفون . ولـكن ما إن أشرفت

عطلة عيد الفصح حتى لحق دورنج بودوارد في كامبردج ، وبدأ كلاهما يجاهد جهاداً لا هوادة فيه .

لقد أدركا أنهما حين يتاح لهما الحصول على «الكينوتوكسين» ذى الآصرة القريبة بالكينا ، فقد أشرفا على الغاية ، لأن لويس باستير استطاع في سنة ١٨٥٣ أن يحوّل الكينا النباتية إلى هذه المادة ، ثم تبعه عالم آخر فأعادها إلى كينا . وفي الهزيع الأخير من ليلة آخر أيام العطلة استحالت المادة التي ظلا يعالجانها أكثر من عام إلى زيت قذر أسمر ، وكان هذا الزيت مزيجاً من نوعين من أنواع الكينوتوكسين تتخلف الكينا عن أحدها . وكان فصل أحد الزيتين عن الآخر عملا دقيقاً، فأقاما على التمهيد لذلك طويلا ، ثم حاولا هذا الفصل بحامض كان باستير استعمله في عمل مشابه ، فلم يأت بشيء .

ثم كأن هاتفاً هتف بهما ، فاستعملا حامضاً آخر ، فكانا كمن يحاول تسديد سهم في الظلام ، فأصابا الهدف ، وأخذ يتكشف أمامهما رويداً رويداً منظر خلاب يتكون من إبر دقيقة صفر متشابكة ، هي بلورات الكينوتوكسين ، جرثومة أول كينا صنعها الإنسان . لقد أصبحت الكينا الآن في قبضة أيديهما وليس عليهما للحصول عليها إلا أن يسيرا على نهج معروف .

وليام ا. دورنج

وعلى أن ودوارد ودورنج قد وصلا إلى اكتشاف كيميائي على أعظم درجة من خطر الشأن، فإنهما سارعا إلى التصريح بأنه إذا أريدت الكينا التي ابتكراها على نطاق واسع للاستعمال الطبي ، فإن العمل لم يزل في بادئه .

وذلك أن الجرعة الواحدة من هذه الكينا قد تتكلف آلافاً من الدولارات إن هي صنعت على طريقتهما في تحضيرها في المعمل .

فالخطوة التالية إذن أن تراض الطرق العملية ذات النفقات الباهظة على مماشاة مقتضيات الإنتاج التجاري الواسع النطاق ، وهذا من عمل المهندسين الكيميائيين .

وقد أنتج ودوارد ودورنج خلال تجاربهما مادة الكينيدين كذلك ، وهي عقار هام في علاج بعض أمراض القلب ، وقد كان من الندرة بحيث لم يكن لدى القوات المسلحة نفسها منه إلا قليل ، ولم يكن يوزع على المدنيين إلا بمقدار ، وإلا إذا كان الأمر أمر موت أو حياة . ويستخرج الكينيدين اليوم من الكينا النباتية بطريقة بطيئة باهظة التكاليف ، فإذا وفقا اكتشاف

ودوارد ودورنج إلى مسايرة الإنتاج التجارى، فإن الكينيدين المحضر قد يصبح له من النفع العاجل ما للكينا نفسها .

ومنذ اكتشاف الكينا المحضرة ، لجت الهيئات الحكومية الأمريكية ، وشركات صناعة العقاقير فى تقصيها ، وإعداد الخطط لصنعها . على أن طريقة تحضيره ملك «لشركة المستقطبات» ، ولكن رئيسها لاند وجميع المتصلين بهذا الاكتشاف ، قد عقدوا العزم على أن يكون استعمالها فى سبيل المصلحة العامة ، فقد تلقى العالم درساً قاسياً من السماح لهولاندا باحتكار الكينا والسيطرة على إنتاجها وأسعارها ، وهى عقار يحتاج إليه مئات الملايين من الناس حاجة ملحة . ويقترح لاند أن يرخص لمنشآت صناعة العقاقير التى تقررها الحكومة ترخيصاً مؤقتاً بصنعها ، على أن يستغل الدخل الناتج من هذا الترخيص فى تشجيع الاستمرار فى مثل هذه الأبحاث .

النظر مباح ، الضحك ممنوع

ماكين جزيرة مرجانية فى المحيط الهادى نزلت فيها القوات الأمريكية ، وفى أحد الأيام أقبل ملكها الطيب السمين ، على الكولونيل الأمريكى ليبلغه شكواه ، وكان أحد التراجمة واسطة الحديث ، فقال : هل يعلم الكولونيل أن فتيات ماكين يغتسلن عراة فى البحيرة ؟ فقال الكولونيل إنه يعلم . فقال : هل يعلم الكولونيل أن الجنود الأمريكيين يتجمعون حول البحيرة فيحرجون الفتيات بمزاحهم وضحكهم ؟ ففكر الكولونيل قليلا ثم اقترح أن يقام سياج عال حول البحيرة ويغطى بقماش الخيام ، فتحجب الفتيات عن الأنظار .

فتدفق الملك فى قوله ، وترجم الترجمان ما قال : يقول الملك إن الكولونيل أساء فهمه . يقول الملك إن النظر مستحسن ولكن الضحك مستهجن ، فكل ما يريده هو أن يمتنع الجنود عن الضحك .

وصدر الأمر إلى جميع الأمريكيين فى ماكين . وأصبحت ساعة الاستحمام فى البحيرة تميزها الآن ثلاثة أشياء : بوليس حربى متجهم يحرس الشاطئ ، وجنود أمريكيون يحدقون كالأصنام ، وغوان سمر ينعمن بماء البحيرة .

[روبرت ترنبول فى مجلة « تايم »]

الغارة على سان نازير



لماذا لم تستطع البارجة « تربتز » قط أن تمثل بالبواخر الحليفة فى المحيط الأطلسى

الملازم س . و . تشانت وفردريك سوندرز
ملخصة عن صحيفة "ستراى نايت"

لم يكن فى منظرنا ما يريب حين بلغ أسطولنا الصغير مصب نهر لوار فى ضوء القمر الوضاح ، إذ استطاعت السفينة القديمة الخالية من كل صفة مميزة ، وهى فى طليعة القافلة ، أن تخدع حراس الشاطئ الألمان ، فلم يدركوا إلا بعد فوات الفرصة أنها سفينة بريطانية لسد الموانى ، ترافقها قوارب بخارية وزوارق طربيد محملة بالجنود الفدائيين . ولم تنقض بضع ساعات ، نشب خلالها قتال مستعر دام ، حتى كان كل إنجليزى وطئت قدمه الشاطئ قد قتل أو أسر . ولكن حوض السفن فى سان نازير — أمنع معاقل النازى البحرية على الساحل الأطلسى وأقواها حراسة — كان قد أصيب بتلف كاف لتحويل مجرى معركة المحيط الأطلسى .

كان فبراير ١٩٤٢ شهراً أسود على إمارة البحر البريطانية ، فإن فصائل الغواصات استطاعت أن تزيد فى إصاباتها إلى رقم هائل ، وكان أسطول البحر الأبيض المتوسط فى حاجة ماسة إلى التعزيز ، وثالثة الأثافى أن البارجة تربتز كانت تتأهب لمغادرة قاعدتها فى النرويج لتغير فى مسارب المحيط الأطلسى . وكان وجود هذه السفينة ، ولها من قوة النار ما يفوق كثيراً سفن حراسة القوافل البحرية ، خليقاً أن يبعث الاضطراب فى نظام القوافل كله ، ويضطر إمارة البحر إلى مطاردتها بالبوارج الكبيرة التى تمس إليها الحاجة فى أماكن أخرى . فلم يكن ثمة سوى طريق واحد لصد البارجة تربتز .

فى سان نازير ، دار الصنعة الفرنسية الكبيرة ، يوجد الحوض الجاف الوحيد الذى يتسع لتربتز على ساحل أوربا الأطلسى ، فإذا

الملازم تشانت من آلاى «جوردن هايلندرز» أحد الفدائيين القلائل الذين عادوا إلى انجلترا من الغارة العظيمة على سان نازير فى سنة ١٩٤٢ بعد أن ظل أسيراً فى أيدى الألمان ثمانية عشر شهراً .

تيسر تدميره لم تجد البارجة الألمانية قاعدة لإصلاحها أقرب إلى منطقة عملها من موانئ الريخ فى بحر الشمال — وبينها وبين تلك الموانئ أسطول الجزائر البريطانية ، وحقول الألغام فى بحرى الشمال والمانش ، وسلاح الطيران البريطانى . ولن يقدم أمراء البحر فى برلين على المجازفة بآخر بوارجهم الكبرى وتعريضها لكل هذه المخاطر .

فكانت سان نازير مفتاح مشكلتنا ، وقد حاول سلاح الطيران البريطانى أن يدكها دكا فلم ينجح ، وأصبحت المهمة موكولة إلى الأسطول والفدائيين .

وقد قضينا أسابيع نتدرب تدرباً خاصا لهذه المهمة ، ودرسنا الصور الجوية ونماذج دقيقة لأحواض سان نازير حتى استظهرنا أهدافنا استظهاراً . فكان علينا أن ننسف بوابات الحوض الجاف ، ومحطة المضخات ، وما جاورها من منشآت الحوض ، وأن ندمر أكبر عدد من حظائر الغواصات . وظللنا نتمرن بقذائف التدمير حتى صرنا نستطيع أن ندسها بأعين معصوبة ، وحذقنا قتال الشوارع حتى أصبحت أحدث الحركات متأصلة فى طبيعتنا ، فلم يكن بد من الإتقان ، وكنا ندرك ذلك .

حتى إذا كان صباح صافٍ من شهر مارس بدأنا رحلتنا ، مزودين ببنادق « برن » و« تومى » ، ومسدسات « كولت » الأوتوماتيكية ، وبالمدى ، وقنابل اليد ، وقذائف التدمير . وقد تزود كل منا بالمعدات التى تلزمه لأغراضه ، لأن مهمة كل منا كانت خاصة به .

وكان من دواعى الارتياح أن تبدأ الرحلة ، وإن يكن كل منا ، على ما أعتقد ، كان يدرك أن احتمال العودة لرؤية الأرض التى خلفناها وراءنا ، احتمال يسير .

وكانت الوحدة التى أنتسب إليها على ظهر سفينة سدّ الموانى ، وهى المدمرة الأمريكية القديمة « بوكانان » ، وقد سميت باسم جديد هو « كامبلتاون » ، وكان عليها أن تنطح بمقدمها بوابات الحوض وتغرق نفسها هناك ، على أن تنفجر الأطنان الخمسة التى تحملها من المفرقعات بواسطة فتيل يؤخر انفجارها إلى أن يهبط رجالها الشاطئ . وعهد إلى مدمرتين من حارسات القوافل بحمايتنا فى سان نازير من أى تدخل يأتى من المؤخرة ، وتولى نقل الفريق الأكبر من الفدائيين قارب بخارى من قوارب المدفعية ، وزورق طربيد ، و ١٦ من القوارب البخارية . وكان عليها كذلك أن تعود بنا .

وكأنما كان عبور البحر أمراً لا ينتهي ، إذ بقينا ٢٣ ساعة نسير فى طريق متعرجة ملتوية ، لكى نتفادى أى مستطلع ألمانى

يمكن أن يلمحنا . ثم وجدنا أنفسنا على حين غرة أمام مصب اللوار ، وكانت الأميال الستة الأخيرة طويلة جدا .

ولكى نجتنب القناة الرئيسية وما فيها من سفن الحراسة ، دخلنا النهر بعد عبور حاجز رملى . وقد خفف حمل السفينة « كامبلتاون » لتجوز الحاجز ، وليس بينه وبين قعرها إلا ست بوصات ، ولكنها كانت مهمة دقيقة فى الظلام . فلما مست الرمل وأحسسنا بهزة خفيفة حبسنا أنفاسنا بحكم الغريزة ، فشعرنا بأن حبس الأنفاس يخفف حمل السفينة ، وقد حدث ذلك مرتين . وتسللنا فى هدوء لنعود فنمسك أنفاسنا ، إذ رأينا سفينة ألمانية للحراسة عامدة إلى سفينتنا ، ولكن لم يتحرك أحد . وسمعنا فوق رؤوسنا صوتاً رحبنا به — هو هدير طائرات سلاح الطيران البريطانى التى ندبت لضرب سان نازير قبيل وصولنا ، فتشغل بذلك بطاريات الأنوار الكاشفة . وأخيراً شاهدنا أمامنا الحوض الجاف على مسافة ميلين فى ضوء القمر .

واتخذت جماعات الهجوم والتدمير والدفاع أماكنها على ظهور السفن ، وأنزلت أعلام الصليب المعقوف التى كانت رفعت للخديعة ورفعت مكانها أعلامنا ، واستلقينا على ظهر السفينة « كامبلتاون » جاعلين أقدامنا إلى أمام لنحمى رؤوسنا من أثر الصدمة حين تقتحم البوابات . وكنت مستلقياً فى مؤخرة السفينة وراء المدخنة حيث استطعت أن أشاهد البحارة على مصاطب المدافع يتأهبون للقتال ، وكانت المدافع مسددة إلى السماء للإيهام بأنها سفينة ألمانية تستعد لإطلاق النار على قاذفات القنابل المحلقة فوق رؤوسنا ، ولكن كانت هذه آخر حيلة يمكن أن تجوز .

ذلك أن نوراً كشافاً على الساحل وقع علينا ، وراح شعاعه يزحف زحفاً رهيباً بوصة بعد بوصة ، متسلقاً الصارى حتى اكتشف علمنا . ولم تنقض لحظة حتى جد الجد ، وانقضت علينا طائفة من الأنوار الكاشفة الكبيرة ، وفتحت المدافع الألمانية من كل طراز أفواهها هادرة مدوية ، وانطلقت القذائف إلى برج القيادة ، وحصد رصاص المدافع الرشاشة ظهر السفينة حصداً فى أنين متقطع ، وأصيب الرجال فى كل ناحية ، وأحسست أن شيئاً لطمنى ، ولكنى لم أتبينه لفرط انفعالى . . وكانت السفينة العتيقة « كامبلتاون » تهتز من تحتنا بآخر فيض من القوة ، ثم طاحت بمقدمها فى الهواء صدمة مدوية حين ارتطمت بباب الحوض مندفعة بسرعة ١٨ عقدة .

ولما استجمعنا شتات أنفسنا تبينت أن

شظايا القنابل أصابت ذراعى وساقى اليمنى ، وأن ثلاثة أرباع رفاقى جرحوا . وكان ذلك شراً يهدد عملنا بالإبطاء ، ولكن معظمنا استطاع أن يهبط السلالم إلى قمة البوابة المصابة ، على حين صب النازيون نارهم الحامية علينا تحت ضوء القمر المتلألئ .

وكانت مهمتى فى محطة مضخات الحوض الجاف — وهى بناء ضخم متين على سطحه مدافع قوية . وكان من حسن حظى وحظ رجالى الأربعة أن فصيلة الهجوم كانت قد فاجأت جنود المدفعيـة بالهجوم ، وكانت تحطم المدافع حين وصلنا . ومرت بنا لحظات عصيبة حين وجدنا باب المحطة الصلب الضخم موصداً ولا بد من نسفه ، فإن ذلك لفت إلينا أنظار كل نازى فى المنطقة .

ولم يطل ارتياحنا لوصولنا إلى غرفة المضخات على عمق ٤٠ قدماً ، فلم نكد ندس قنابل التدمير فى المضخات حتى بدأت فصيلة الهجوم على السطح تنسف المدافع الألمانية ، فخيل إلينا أن السطح لا شك منهدم على رؤوسنا . ونظراً لما بنا من جراح ، كان تساق السلالم الناعمـة الملمس للخروج من غرفة المضخات بطيئاً بطئاً يثير الأعصاب . وكان فتيـل القنابل التى وضعناها قصيراً ، فلم نكد نفرغ من التسلق ونهرول خارج المبنى ونستلق على الأرض ، حتى بدأت السماء تمطر كتلا من الأبرق الأصم .

كانت جهنم ، خلال ذلك ، قد فتحت أبوابها فى سان نازير ، وراحت تتجاوب من كل ناحيـة أصداء قذائف التـدمير المتفجرة ، وتوهجت حلقة من النيران المندلعة حيث أنجزت فصائل إشعال النار ما عليها .

وكانت جماعتان أخريان من السفينة « كامبلتاون » قد حطمتا جهاز الدوران الذى يحرك البوابات التى صدمناها ، ونسفت فصيلتان أخريان تلك البوابات من الطرف الآخر للحوض الجاف . وتوجه الملازم ميكى وين بزورق الطربيـد إلى حظائر الغواصات ، وأطلق على بوابات الحوض هنالك طربيدين بطيئى الإنفجار . فكاد التوقيت يكون تام الإحكام ، فقـد كان مقرراً أن تصيب « كامبلتـاون » هدفها فى السـاعة ١:٣٠ فأصابتـه فى السـاعة ١:٣٤ . وسارت بقية الخطة دقيقة كالساعة .

ولم يكن من اليسير أن نصل إلى مكان اللقاء للعودة ، فإن الألمان ، فى اضطرابهم ، راحوا يطلقون النـار جزافاً على كل شىء يتحرك . وكان علينا أن نعبر جسراً حديديا يحميه مدفع رشاش فى بناء مجاور ، فأدركت أنه سيحصدنا حصداً إذا ظهرنا ، وطلبت من الجنود أن يعـبروا تحت سقف الجسر متعلقين بقضبانه قبضة بعد قبضة . وكان علىَّ

أن أعبر متعلقاً بمعصمى لأن الشظايا قد مزقت يدى ، وكان فى ذلك عناء شديد . ولكنا وصلنا آخر الأمر إلى المستودعات القائمة عند الرصيف القديم ، فلم يبق الآن سوى الزورق — ثم إلى الوطن .

وهنا وقعت الضربة الأليمة ، إذ قال الكولونيل نيومان قائد فصيلتنا : « آسف ، فهذا هو المكان الذى ينبغى أن نسير منه إلى الوطن ، لأن الزوارق كلها قد نسفت أو أرغمت على الخروج إلى البحر » .

فنظر كل منا إلى الآخر نظرة المشدوه ، وقد كنا نحواً من سبعين رجلا — وهم كل من بقى من الفصيلة . ثم بحثنا فى هدوء غريب رزين احتمال العودة إلى المدينة ، والخروج منها إلى الريف ، والهرب إلى إسبانيا على مسافة ٣٠٠ ميل ، فرأى الكولونيل أن نجرب .

ومضينا نقاتل فى طريق متلو خلال المدينة . وقتال الشوارع كريه مرير ، فإنك لا يمكن أن تدرى ماذا يصيبك وأنت تنتقل من عتبة دار إلى عمود مصباح لتحتمى من القذائف المدوية الموجهة إليك من النوافذ والأركان . وكان التفاؤل قد أخذ يسرى إلى ، حين شعرت بصدمة فى ركبتى ، إذ أصابتنى رصاصة طائشة ، وكتب على أن أعجز عن السير ، فأعطيت ما بقى من ذخيرتى للآخرين ، واستلقيت على أرض مخزن قديم . وسرعان ما لحق بى جندى جريح من فصيلة الهجوم ، ولم ينقض علينا عشرون دقيقة حتى رأينا ثلاثة من جنود العاصفة الألمان مقبلين نحونا وقد بدت عليهم علائم الاضطراب ، فلم أرتح لطريقتهم فى تسديد المسدسات الرشاشة إلينا . ومن دواعى الرهبة على كل حال أن ترى عدوك وجهاً لوجه ، بمثل هذا القرب للمرة الأولى .

صاح أحدهم : « خروجاً ! خروجاً ! » فوقف الجندى رافعاً يديه . وإذا بالنازيين الثلاثة من مسافة ياردة يضغطون زناد بنادقهم دفعة واحدة ، فشطروه شطرين . ثم استداروا إلى ، ومن حسن حظى أننى لم أكن أقوى على الحركة ، فقال أحدهم شيئاً يفيد أننى جريح . وبعد لحظة من التردد جرونى إلى قهوة مجاورة ، وتركونى مع بضعة نفر آخرين من جرحى الفدائيين ، تحت الحراسة .

كنا جميعاً نفكر فى شىء واحد ، إذ كنا نعلم أن الأطنان الخمسة من شحنة المفرقعات التى تحملها « كامبلتاون » أعدت لتنفجر فى الصباح ، وكانت تبعد عنا مئتى ياردة لا تزيد . ولم نشأ أن نوجه أنظار الألمان إليها ، بطلب نقلنا من هذا المكان ، فكانت فترة مروعة تلك التى قضيناها حتى نقلنا إلى محطة تضميد

أعدت على عجل فى مكان آخر من المدينة .

ولما انفجر مقـدم كامبلتاون وقع من الضرر فوق ما كنا نتوقع ، فقـد كان على ظهرها جماعة تفتيش مؤلفة من نحو أربعين ضابطاً كبيراً — بينهم قائد المنطقـة — يبحثون عن وسيلة لإبعادها ، ووقف من حولهم نحو ٤٠٠ ضابط وجنـدى آخرين كأنهم أصنام ، فنسفوا جميعاً وتطايروا إرْباً إرْباً . وكان عمـال الإنقاذ بعد مضى يومين لايزالون يجمعون الأشـلاء الآدمية المتناثرة فى الحوض .

ولكن لم تكن هـذه هى الخاتمة ، بل حدث فى ساعة متأخرة بعد ظهر اليوم التالى أن انفجرت الطرابيد البطيئة التى كان الملازم وين قد أطلقها على أبواب حظيرة الغواصات ، فكان ذلك إيذاناً بانطلاق الفوضى الصاخبة من عقالها ، إذ أن الحراس الألمان راحوا يطلقون النار بلا تمييز على العمال الفرنسيين الذين كانوا يحاولون الخروج من المنطقة ، وعلى عمال منشآت «تود» الألمانية أنفسهم ، لأن ملابسهم « الكاكى » جعلتهم يبـدون كالفدائيين البريطانيين . ولما أرخى الليـل سـدوله ازدادت الفوضى وعم الذعر .

وراح الجنود الألمان يطلقون الرصاص بعضهم على بعض ، فكلفهم ذلك نحواً من ثلاثمئة أو أربعمئة رجل آخرين .

وأسـفر النهار فتبينا مدى الضرر الذى صنعناه . نعم ، إننا وقعنا فى الأسر وأحسسنا بالشقاء ، ولكن الحوض الجاف سوف يظل معطلا أشهراً كثيرة . وحين أخذت صورته الشمسية من الجوّ بعـد عام أو نحوه كان لم يزل معطلا .

وفى محطة التضميد أقبلت ألوان شتى من الضباط وموظفى الحزب والمصورين ، يريد كل منهم أن يرانا ، ويلقى علينا سـيلا من الأسئلة ، وقد سألنى ضابط ألمانى :

« تبًّا لكم كيف استطعتم أن تصلوا وتدخلوا سان نازير ؟ » فأجبته : « أوه ! لقد وصلنا والسلام ! » . فقال وهو يتنهد من أعماق قلبـه : « إننا لفى حيرة كيف استطعتم ذلك . . »

وكان مما يعزينا خلال الأيام السـود التالية فى المستشفى والمعتقل ، ان نتـذكر منظر وجهه !

❦❦❦❦

● السياسة هى فن الظفر بالمال من الأغنياء ، والتأييد من الفقراء ، بحجة حماية أحدهما من الآخر .

[أوسكار أميرنجر فى مجلة « ذى فورم »]

من الذى قاده + قصة حقيقية

أحمد عبد الله + + ملخصة عن مجلة "نيوزويك"

فى أوائل المساء اتصلت الممرضة تلفونيا بالكولونيل رتجرز بيكمان — ويكاد هذا يكون اسمه الحقيق — وأبلغته أن ابنه قد أبل إبلالا حسناً، وستجرى له جراحة فى الحال.

كان الأب والابن فى إنجلترا، الأول فى هيئة أركان حرب الجنرال أيزنهاور، وأما الشاب، وهو ضابط بالبحرية، فقد نقلته طائرة أثناء النهار إلى المستشفى مصاباً بجرح بليغ.

ولما طلب الكولونيل أن يسمح له برؤية ابنه قيل له إن هذا طلب لا يمكن تحقيقه، بل لن يسمح له حتى بالدخول فى المستشفى، لأن زيارته تهيج ابنه.

فقال الكولونيل: «ولكن لا داعى لإخباره».

فأجابته الممرضة: «إنه سيشعر بقربك. وسندعوك بعد إجراء الجراحة مباشرة».

وهكذا ظل الكولونيل بيكمان منتظراً فى مسكنه الصغير وهو يروح ويغدو من غرفة إلى أخرى، ثم دق جرس التلفون أخيراً. لقد انتهت الجراحة، فهل يتفضل الكولونيل بالحضور؟

أسرع يهبط الدرج، فلما وصل إلى الطريق وجد أن جو لندن قد تغشاه ضباب ثقيل أغبر، لا بأس! فالمستشفى قريب وليس بينه وبينه إلا بضعة منازل، غير أنه ضل طريقه بين هذه المنازل القليلة. وطمس الضباب، الذى زاده إطفاء الأنوار ظلمة، معالم الطرق والمنازل، وأخفى الأفراد القلائل الذين لا يكاد يراهم بل يسمع ركزهم وهم يتحسسون الطريق بأيديهم وأرجلهم.

فصاح من جوف الظلام: «أنا ضابط أمريكى وابنى فى مستشفى سان جريجورى.. ألا مَنْ . . ؟»

فامتدت إليه يد وأمسكت بساعده وبلغ أذنه صوت يقول: «هيا بنا ياسيدى».

ومشى به الرجل الغريب شمالا ثم يميناً ثم شمالا حول ركن من الأركان، فلاح له مبنى ضخم خلال الظلام، ثم بلغ الصوت أذنه قائلا: «ها هو المستشفى ياسيدى»

فشكر الكولونيل بيكمان لهذا الرجل الكريم فعله. وما كاد يهم بصعود الدرج القائم أمام باب المستشفى حتى صاح قائلا: «ولكن ألا تخبرنى كيف اهتديت إلى الطريق؟»

فكان الجواب: «شىء هين! فأنا أعمى وقد أصيبت عيناى فى معركة دنكرك ياسيدى»

وسار الغريب وهو يتحسس الطريق بقدميه

أدهش هذا الرجل الناس طوال حياته بانتفاعه بالتجارب الجديدة

جين ماكدونالد الذى لا يُكبح

وليام ف. ماكدرموت — ملخصة عن مجلة «فوربز»

يحب أوجين ماكدونالد أن يجلس متكئاً فى مكتبه الواسع فى شيكاغو ويسخر من القاعدة المتبعة التى تقول : إن السبيل إلى النجاح هو أن يكدح الإنسان فى عمل واحد . فقد كان ماكدونالد مستكشفاً ، وصنو لهو ومغامرة ، وقد أنشأ عملا بعد آخر ، وجاب الجزر الاستوائية باحثاً عن الكنوز الدفينة ، وأضاف إلى علم الراديو مخترعات كثيرة عظيمة .

ومما يدل على مغامرته أنه قاد سيارته مرة وهو ذاهل ، فسقطت به من جبل « لوكاوت » . ويدل على خلقه أيضاً أنه انتفع بما حدث له ، فقد أصيب من جراء ذلك بصمم فى إحدى أذنيه ، فحمله هذا الصمم على أن يهتم بالأجهزة التى تمكن الصم من سماع الأصوات . ولقد أتقن من عهد قريب صنع أحد هذه الأجهزة وعرضه فى السوق بسعر أثار الدهش برخصه .

عاش مكدونالد يتلقى التجارب الجديدة وينتفع بها ٥٤ سنة ملؤها المرح والعمل ، فكان أول عمل قام به عمل ميكانيكى فى مصنع فرانكلين للسيارات فى مدينة بولاية نيويورك ، تقاضى عليه ستة دولارات فى الأسبوع ، ثم ارتقى سريعاً إلى منصب مدير للبيع . وكانت السيارات فى ذلك الوقت تباع بالنقد فقط ، فبدا هذا لماكدونالد وضعاً مختلا ، ولذلك ترك عمله فى سنة ١٩١٠ وأنشأ أول شركة لتمويل بيع السيارات بالنسيئة ، فازدهر عمله وأصاب منه الغنى .

وعقب الحرب العالمية الأولى بقليل — وكان فى أثنائها فى قسم المخابرات البحرية — كان يتجول يوماً فى «جاراج» فوجد الميكانيكيين حول آلة راديو يستمعون لإحدى الإذاعات الأولى ، فبدأ جين لفوره يفكر فى المنافع التجارية لذلك المخترع الجديد . ولقد وجد شابين حوّلا مطبخهما إلى معمل فيصنعان آلة استقبال لاسلكية كل يوم ، كما يديران محطة إذاعة للهواة ذات موجة قصيرة . فاشترك ماكدونالد مع هذين الشابين ببعض المال ، وأسس الثلاثة شركة أصبح رأس مالها اليوم ثلاثة وثلاثين مليوناً من الدولارات ، وهى تستخدم خمسة آلاف عامل ، يعملون جميعاً لأغراض الحرب الآن ، فهى من أكبر الشركات

التي تصنع أجهزة الراديو في العالم . وقد كان لها قبل الحرب عشرون ألف معامل في ٩٧ قطراً .

وماكدونالد أشد فخراً بما نفعت به الشركة صناعة الراديو منه بنجاحها المالي ، فهو ورجاله يزعمون أنهم سبقوا سواهم إلى مبتكرات كثيرة في الراديو فهم : أول من صنع من المعدن هيكلا كاملا لجهاز راديو ، وأول من صنع على وجه تجاري جهازاً متنقلا ، وجهازاً منزليًّا للاستقبال على الموجة القصيرة ، وجهازاً يعمل على قطار متحرك ، وطريقة آلية لضبط الموجة بالضغط على زر .

وقد كان استخدام الموجة القصيرة من أهم ما يعنى به ماكدونالد دائماً ، فقد اعتزم منذ سنة ١٩٢٥ أن يقنع رجال البحرية باستعمال الموجة القصيرة للمخاطبات البعيدة المدى ، ولكن الضباط الكبار لم يحفلوا به . وفي ذلك العام تولى ماكدونالد — المستكشف والبحار الهاوي الممتاز — قيادة الباخرة « بيرى » التي كانت تقصد إلى البحار المتجمدة الشمالية ، مقلة بعثة ماكيلان الموفدة من الجمعية الجغرافية الأهلية للبحث في الأصقاع القطبية .

وأرست الباخرة « بيرى » في ميناء « جودهافن » بجزيرة « ديسكو » ، إحدى الممتلكات الدنماركية ، لتتزود من الوقود ، ولكن الموظف المسؤول اعتذر قائلا : « لا بد من إذن الوزير الدنماركي بوشنطون » . فقال ماكدونالد : « سأحصل عليه » . ثم اتصل بسرعة عن طريق جهازه ذي الموجة القصيرة بأحد هواة راديو الموجة القصيرة في وشنطون ، وطلب إليه أن يهرع إلى مقر الوزير الدنماركي ليحصل على موافقته على تزويد الباخرة بالفحم ، فجاءت الموافقة في خلال ساعة ، فقال الدنماركيون : « إن ذلك من المعجزات » .

وأبحر ماكدونالد إلى « إيتاه » في شمال « جرينلند » ليؤسس مقرا شتويا لقيادة البعثة ، فكان في طريقه يوزع مجاناً أجهزة راديو على الموظفين والمرسلين الذين قابلهم . وفي إيتاه أتم تنفيذ خطة كان قد وضعها قبل أن تغادر البعثة الولايات المتحدة بشهور .

كان قد أقنع الأميرال « ريدلي ماكلين » مدير المخاطبات البحرية ، أن يرقى « فرد شنيل » ، وهو شاب من هواة الراديو ، إلى درجة ضابط ، وأن يلحقه بالسفينة الحربية « سيتل » ، وهي سفينة القيادة في أسطول المحيط الهادي . وكان الأسطول يمخر عباب المحيط الهادي الجنوبي ، وكان من المنتظر أن يصل إلى أقصى نقطة جنوبية في سياحته عندما يصل ماكدونالد إلى بلدة إيتاه .

وفى إيتاه قام جين بعرض رابع ليدل على قيمة الموجة القصيرة ، فقد اتصل بشنيل على ظهر السفينة « سيتل » ، وهى على مسافة ١٢,٠٠٠ ميل وطلب شنيل إلى الأميرال « كونتز » أن يستمع . وعند ذلك أومأ ماكدونالد إلى رجال فرقته ، فانطلق ستة من الإسكيمو يغنون أغانى الإسكيمو ، والأميرال لا يكاد يصدق ما يسمع بأذنيه . وهكذا أرسل الصوت الإنسانى فطاف حول نصف كرة الأرض ، فاقتنع رجال الأسطول .

وأسفرت رحلة ماكدونالد إلى المناطق المتجمدة الشمالية عن نتائج أخرى ، فحين عاد إلى شيكاجو أخذ يتسلم من أهل جرينلند ، الذين أهدى إليهم أجهزة الراديو ، رسائل يسألونه فيها أن يبعث إليهم بطائفة أخرى من البطاريات ، أو أن يدلهم على وسيلة لتوليد القوة المحركة لآلاتهم . فأخذ مكدونالد يفكر فيما عسى أن يكون هناك من احتمالات لتوليد القوة المحركة مستعيناً برياح المناطق الشمالية الشديدة .

وسمع عن شابين من المزارعين فى ولاية « أيوا » كانا يضعان جهازاً يمكن طاحونة هواء صغيرة من أن تدير مولداً كهربائياً قديماً من صنع «فورد» ، فتمتلىء البطاريات الفارغة . وذهب ماكدونالد إلى أيوا ليقابلهما ، فاشترى ٥١ فى المئة من رأس مالهما ، وأوصى على ٥٠,٠٠٠ جهاز لشحن البطاريات بطواحين الهواء ، وخفض سعر البيع بالتجزئة من ٤٠ دولاراً إلى ١٥ . وتستخدم هذه الشركة الآن ١٦٠٠ عامل ، وقد أمدت الفلاحين والحطابين ورجال الحدود بأكثر من نصف مليون من هذه الآلات — كما أمدت بها منذ عهد قريب المواقع العسكرية فى المناطق النائية لجزائر ألوشيان . ولا يزال الشابان من ولاية أيوا يعملان مع ماكدونالد .

خلال السنوات التى ظل ماكدونالد فيها يوسع عملا جديداً بعد آخر ، كان مسكنه الوحيد يخته « ميزباه » ، وقيمته مليون من الدولارات . وكان هذا اليخت من مشاهد شيكاجو البارزة ، حين كان يرسو عند جسر شارع مشيجن فى الفترات الفاصلة بين رحلاته . وكان ماكدونالد فى حله وترحاله فى البحار دائم الاتصال بمكتبه عن طريق الموجة القصيرة ، وكان وقته يتسع دائماً لإقامة الحفلات الفخمة التى اشتهر بها .

ويشتد ماكدونالد فى تقريع نفسه عندما يتذكر أنه استعمل مرة مبدأ « رادار » يوم كان يبحث عن ذهب القرصان ، وأنه لم يفطن إلى خطره العظيم ، فقد ذهب يبحث عن كنز فى جزيرة « كوكوس »

فى المحيط الهادى ، والتى تبعد مسافة ٨٥٠ ميلا عن بناما ، وكان قد حصل من قسيس فى نيوفوندلند على رسوم ورثها عن أسلافه جوابى البحار ، وكانت تخالجه ثقة الأغرار بأنه سيظفر بتعيين مكان الذهب .

وبينما كان فى طريقه إلى الجنوب أخذ يجرب مع كبير مهندسيه وسيلة لاستكشاف مكان المعدن ، فوجدا أنهما يستطيعان أن يكشفا مواقع السفن خلال الضباب والظلام وأن يعينا اتجاهها . وقبل أن يفطنا إلى شأن ما وقعا عليه ، وصلا إلى المياه الاستوائية حيث أشبعت الرطوبة الشديدة لفائف الأسلاك الكهربائية فبطل عمل الجهاز . لم يجدا ذهباً دفيناً ، وضيعا فرصة الكشف عن « رادار » — ولكنهما توصلا إلى ابتكار طريقة لحماية لفائف الأسلاك الكهربائية من الرطوبة الشديدة ، لم تزل تستعمل استعمالا واسع النطاق .

وأخيراً تزوّج هذا الشاب الذى يملأ الأفواه والأسماع ، فى سنة ١٩٣١ . ومنذ سبع سنوات اخترع ماكدونالد ، وقد أصبح أباً تعنيه شئون أسرته ، الآلة المعروفة باسم « المربية اللاسلكية » — وهى ميكروفون يوضع بالقرب من مهد إبنته الصغيرة ، ويتصل بمكبر للصوت يمكن أن ينقل إلى أى مكان من اليخت ، فيستطيع كل إنسان ، حتى هو نفسه بأذنه الصماء ، أن يسمع كل نبأة تصدر عن الطفلة .

وكان الانتقال من « المربية اللاسلكية » إلى الجهاز الجديد الذى يسمع الصم به خطوة منطقية ، فسأل نفسه : إذا كان الناس يستطيعون أن يشتروا بعشرين دولارا جهاز راديو يلتقط الموسيقى المذاعة من ألفى ميل ، فلماذا يجب أن يدفع الصم ثمانية أمثال هذا المبلغ نظير أداة مشابهة له ، تمكنهم من سماع إنسان آخر فى نفس الحجرة ؟ واستقر عزمه على أن يستخدم أساليب الإنتاج الواسع النطاق التى خفضت ثمن أجهزة الراديو فى عشر سنوات من ١٧٥ دولاراً إلى ٣٩ . وكان يعرف أن بعض ضروب الصمم لا تجدى فيها الأجهزة ولكن فى الولايات المتحدة ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ يحتاجون إلى هذه الأجهزة ، وسيشترونها إذا كان فى طاقتهم أن يدفعوا ثمنها .

وبعد خمس سنوات من التجريب طلع مهندسو شركة « زينيث » على الناس فى أواخر سنة ١٩٤٣ بالجهاز الحديث المساعد على السماع ، وفيه آلة لضبط ارتفاع الصوت وميكروفون بلورى ، ومنظم أوتوماتيكى للاستقبال ، ومصابيح لاسلكية صغيرة ، ودائرة كهربائية أدخلت عليها تحسينات لتطيل أمد بقاء البطاريات . وهذا الجهاز

يسهل ضبطه وتثبيته على الأذن . وقد صنع الجـزء الذى يثبت على الأذن ، من مادة شفافة فى لون البشرة ، معرضاً عن اللون الأسود الذى يشى بأن صاحبه أصم يستعين بآلة على السماع .

وحين عرض الجهاز الجديد فى شيكاجو فى يوم أحد ممطر ، عجز خمسة عشر عارضاً بائعاً عن أن يجيبوا طلبات جميع الطالبين . ولقد جربت أم شابة أحد هذه الأجهزة ثم انفجرت باكية ، إذ استطاعت أن تسمع لأول مرة ثرثرة طفلها . وجلس شاب إلى جانب جهاز للراديو فى دكان ، وأبى أن يغادره قبـل أن تنتهى إذاعة إحـدى السيمفونيات . ولم يزل إقبـال المشترين الذين استطاعوا للمرة الأولى أن يدفعوا ثمن جهاز السماع ، عظيما لا ينقص .

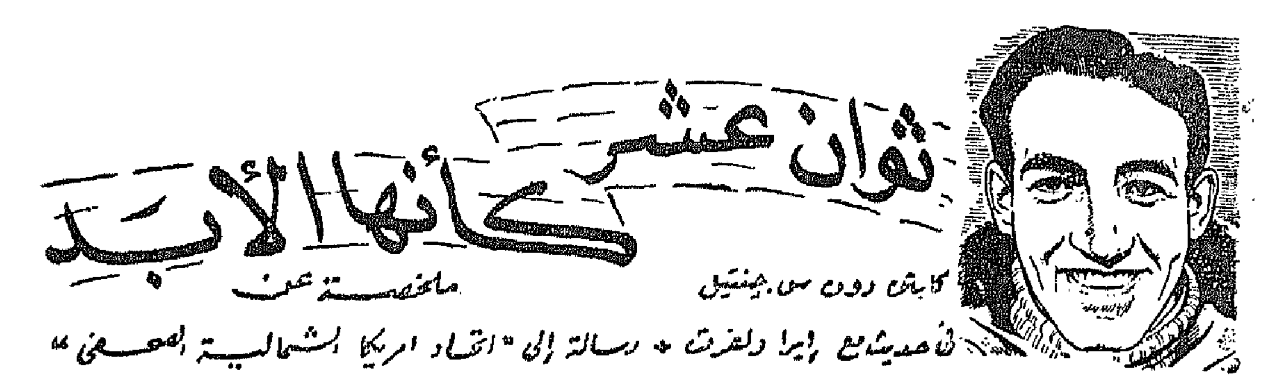
وقد اتبعت زينيث طرائق مستحدثة فى البيع ، فقلبت بيع أجهزة السماع رأساً على عقب ، وهى تتفق وأساليب مكدونالد فى إقدامه إقداماً لا يدخر فيه وسعاً على كل شىء يتولاه . وقد وجهت إعلاناته البارعة عناية القوم إلى مشكلات الصم ، وكان من جراء حمله الجمهور على إدراك المشاق التى يعانيها الصم أن أضفى على الحاجة إلى أجهزة الاستماع سمة الاحترام ، فدنا الناس من الوقت الذى لا يحدث فيه جهاز السماع من الفضول أكثر مما تحدث النظارات الآن .

ويشعر ماكدونالد أن التأهب لمساعدة الصم هو اليوم أعظم شأناً مما كان فى كل زمن سابق . فالأذن الإنسانيـة لم تخلق قادرة على احتمال ضجـة الحرب الحديثـة وقعقعتها ، ولذلك تراه يضع الخطط لإنتاج مقادير كبيرة من السماعات الرخيصة ، لتكون متاحـة للمقاتلين العائدين من الحرب . وحين بدأ ماكدونالد يجمع العمال لصنعها ، استأجر بضع مئات من الصم ، رجالا ونساء ، وأعطى لكل منهم جهازاً منها . وكان كثيرون منهم بلا عمل منذ عدة سـنوات بسبب الصمم ، فأصبح فى استطاعتهم الآن أن يقوموا بكل عمل تقريبا .

إن أفكار مكدونالد كانت عوناً لملايين الناس . وعماله مفتونون بحبه من أجل طريقته فى مقاسمتهم الأرباح ، ومـكافآته السخية ، ولـكنه لا يرضيه أن يوصف بأنه رجل محسن ، فهو رجل عمل ، ومغامر ولوع بالحياة ، لا ينضب اهتمامه بكل جديد ، ولا تنتهى حماسته لرفع مستوى الحيـاة . وقد كان طوال حياته يدهش الناس ، وإنه لينوى أن يظل كذلك .

★ ★ ★ ★ ★ ★

أحد قواد الطائرات المقاتلة يصف الإحساسات الغريبة في معركة جوية



أسلوب الطراد بين طائرتين مقاتلين أسلوب بسيط : ترى العدو فتطبق على ذيله ولا تدعه يفلت ، وتسدد مدافعك إلى مؤخرته وتضغط الزناد ، ولكن حين تحاول أنت أن تطبق على ذيله يحاول هو أن يطبق على ذيلك . فإذا أطبقت أنت ، استدار لينفلت منك وليتخذ مكاناً يمكنه من الإطباق عليك ، فتعمد أنت إلى الدوران حتى تتمكن منه . وتتوالى هذه الحركات وقتاً طويلا قد يبلغ عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة — أي إلى أن يتمكن أحدكما من الإطباق على الآخر إطباقاً محكما ، فيبدأ الآخر يحتضر .

والطراد على هذا النحو سلسلة متوالية من الحركات السريعة، فليس ثمة وقت للتفكير والتروى . فإذ استبحت لنفسك بعض الوقت للتروى ، لم ينفسح لك الوقت للعمل . وإن العقل ليعمل فى أثناء القتال أعمالا كثيرة — فهو يرى ، ويقدر ، ويحدس ، ويتذكر ، ويدخل هذا الأمر أو ذاك فى الحساب، ويهمل رأياً ويأخذ بآخر ، ولكنها جميعاً أعمال تبدو بعيدة عن نطاق التفكير والتروى .

وفى وسعك ، بعد أن ينتهى القتال ، أن تستذكر كل ما قمت به أو أغفلته ، فتتبين سبب كل حركة ، أما فى أثناء القتال فإن العقل يبدو خاوياً كأن مادته النخاعية كتلة ترتجف . ففى اليوم الثامن من ابريل، حين صرعت ثلاثة ألمان فى الجو ، لم يستغرق ذلك منى أكثر من عشر ثوان ، ولكن ما كان أطولها من ثوان !

وإذا أطبقت على ذيل العدو وأوسعته ضرباً ، خيل إليك كأنه لن يموت . ولا تشعر أن كل جزء من كل ثانية قطعة من الزمان ، بل تشعر بها شديدة البطء لا نهاية لها . وتصيب عدوك القذائف المحرقة التى

الكابتن دون سلفاتور جنتيل ، طيار فى الثالثة والعشرين ، وقد عاد أخيراً فى أجازة إلى أمريكا بعد أن دمر ثلاثين طائرة نازية . وقد وصفه الجنرال أيزنهاور بقوله : « القوة الجوية التى قوامها فرد واحد » .

تخترق الدروع فتلفحه وتلسعه كأنها مثات من ألسنة صغيرة حمر من أفاع سامة. ويستمر ذلك ويطول، واللسعة الواحدة تمرق كومضة البرق، ولكنها فى مجموعها شديدة البطء، لا نهاية لها.

ثم يتصاعد شيئاً فشيئاً من الطائرة دخان أسود، ويتحلب الجليكول كأنما تعتصره منه عصراً. والجليكول هو ذلك السائل المستعمل فى تبريد المحرك، وبدونه تعجز عن الطيران أكثر من دقيقة أو نحوها، ثم تراه يتصاعد فى الجو أبيض اللون، فإذا رأيته يسيل غزيراً فقد دنت النهاية. إنه تيار الموت ينزف حياته من الثقوب التى أحدثتها به. وهو، فى أول الأمر، أشبه ما يكون بأنفاس رقيقة كالضباب، ثم يعظم ويعظم ولكن الحركة لا تنفك بطيئة لا تنتهى.

وبعد أن تطبق عليه تماماً وتصكه صكا، ترى أحياناً أجزاء قد بدأت تتناثر منه، وهى مسامير وصواميل أول الأمر ثم تصبح أشياء أضخم وأكبر، وكأنك قد مزقت أوصاله فهى تطيح، وتمر تلك الأوصال الممزقة من فوق أكتافك فى تيار بطىء لا ينتهى.

فإن رددت النظر إلى تلك المعركة بعد انتهائها، أو راقبتها عن بعد، بدت كأنها خطف البرق، وإذا بك قد صرعت عدوك! على أنها لا تبدو لك كذلك وأنت تخوضها.

فإن كان العدو هو الذى أطبق عليك فأوسعك ضرباً، وجدت المعركة تسير سيراً بطيئا، وتشعر بالرصاص كأنه عيدان من الثقاب تحك على المواد النخاعية المتجمعة فى رأسك، وتحس كأن مخك يذوب تحت تأثير الألم. إنك تكافح فى سبيل الاحتفاظ بعقلك لا يطير، وكأنك تحاول أن تمسكه بيديك كلتيهما، باذلاً كل ما فى أصابعك من قوة للاحتفاظ به، وحينئذ يبدو لك الزمن مقعداً لا يتحرك، والنهاية بعيدة بعيدة.

وقد لقيت رجلين نازيين فى قتال من هذا القبيل فتعلمت ما لم أكن أعلم. لقد كان كلاهما شجاعاً واسع الحيلة، وظننت أن أحدهما سيستعصى علىّ أمره، وأن الآخر سيفلت ليحارب مرة أخرى.

ثم طرأ فجأة على عقلهما طارىء أمكن تبينه بوضوح، إذ انحل مخهما تحت تأثير الخوف فأصبح كالماء الآسن فى رأسهما، فجمدت أيديهما على عجلات القيادة، واعتدلا فى مقعديهما ثم سارا إلى حتفهما كرجال أصابهم العمى فجأة فعدوْا يصرخون ثم هَووْا من جرفٍ هارٍ.

ومن يومئذ كلما أطبق نازى على ذيلى تذكرت أمر هذين الرجلين. وأنت ترى الطيار الألمانى — وقد ارتدى قناع الأكسجين،

وهو لا يبدى حياة أو حراكا — كأنما هو جهاز مركب فى طائرة ، وليس بشراً على الإطلاق ، أما هذان الطياران فقد كانا النازيين الوحيدين اللذين عددتهما من البشر . وقد وجدت فى ذلك عوناً كبيراً ، وقد ردتنى ذكراها مراراً أن أفعل مافعلاه : فأعمى وأضل ، ثم أعدو وأصرخ حتى أهوى من جُرُفٍ هارٍ .



فرنسا إلى الأبد

كتب الكولونيل ستيفن بونسال كتاباً عن مؤتمر فرساى عنوانه « عمل لم يتم » ، وقد روى فيه كيف عمد مأفون يدعى كوتان ، إلى محاولة اغتيال كليمنصو ، فلما اجتمعت هيئة المحكمة لمحاكمة كوتان سأل القاضى كليمنصو عما يقترحه من عقاب للمجرم .

فقال السياسى الجريح : «أحمد الله على أننى لست القاضى . وحين أفكر فى الرجال الذين لا يفتأون يرموننى غدراً ، أميل إلى القول بأن هذا الفتى الشجاع ، الذى لم يقدم على مواجهة عصاى إلا بمسدس رشاش ، يستحق وساماً من أوسمة البسالة . ولكن ينبغى أن أتجنب التسرع ، فالنساء والأطفال وجميع المتفرجين الأبرياء الذين تعرضوا للأذى ، حين كان يسدد رميته إلى بنيانى المتهدم ، يجب أن يحسب لهم حساب .

«ثم يجب أن نقيم وزناً لسوء رمايته . فقد ظفرنا فى أروع حرب فى التاريخ ولما نكد ، ومع ذلك فهذا فرنسى يخطئ هدفه ست مرات أو سبعاً ، على قصر المسافة . طبعاً يجب أن يعاقب ، لأنه أساء استعمال سلاح خطر ، ولأنه لم يحسن الرماية . فأقترح أن يحبس ثمانى سنوات ، على أن يدرب على الرماية تدريباً محكماً ! » .

وإن أمة تنجب رجلا له مثل هذه البديهة وهذه السماحة والسخرية والإنسانية — لأمة لها مستقبل .

[مجلة « سترادي إيفننج بوست »]

الطلاب يستجيبون للاتجاهات الجديدة فى التربية ، وينشئون لأنفسهم دوراً للسينما ، ومطاعم ، ومحطات للاذاعة ، ويتولون إدارتها جميعاً . . .

أنظر إلى المدارس الثانوية الأمريكية

دان ستيلز

مدرس وصحفى سابقا وهو محاضر الآن فى مئات
المدارس الثانوية كل عام

ملخصة عن مجلة "هاربر"

كانت المدرسة الثانوية التى درّستُ فيها منذ ١٥ عاماً تشغل سبعة فصول فى الطابق الثانى من بناء المدرسة الابتدائية ، أما اليوم فإن لهذه المدرسة ذاتها مبناها الخاص ، ولها مدرج للمحاضرات العامة ، وبناء للرياضة البدنيـة ، ومكتبة ، ومعهد للفن وآخر للاقتصاد المنزلى ، ومصانع ميكانيكية ، وأبهاء للموسيقى ، وحجرة مظلمة للتصوير الشمسى ، وهلم جرا . وقد بلغت نفقات إنشائها ٤٠٠٠٠٠٠ دولار . .

فإذا ضربت هذا المثال فى عدة مئات ، وأضفت إليها مدارس كثيرة تجاوزت تكاليف كل منها مليون دولار ، استطعت أن تدرك — على وجه التقريب — مدى النمو المادى ، الذى بلغته المدارس الأمريكية الثانوية فى العشرين عاما الأخيرة . وقد صاحب هذا النمو المادى ، اتساع كبير يعادله ، فى المناهج وفى النشاط المدرسى ، إلى جانب التجارب العديدة المبتكرة فى أساليب التربية.

فهل الأولاد والبنات الذين يتخرجون من هذه المعاهد الفخمة ، أرقى تربية من الأجيال التى سبقتهم ؟ وهل هم أحسن إعداداً لمعالجة مشاكل المجتمع الذى سيخرجون إليه ؟

يرى كثير من كبار رجال التربية أن أعظم تطور فى التربية الحديثة فى المدارس الثانوية ، هو امتداد سلطان المدرسة ، وسيطرتها المتزايدة على الطلبة فى ساعات اليقظة ، وذلك بإضافة دروس فى العمل والصناعة ، وفى نواح متعددة من النشاط الخارج عن المنهج المدرسى . فهنالك مدارس لا ينقطع العمل فيها كل ليلة ، ولا يستثنى من ذلك مساء السبت . وإذا ذكرنا أن الدافع الأكبر لهذا المنهج المتسع ، مصدره الطلاب انفسهم فإن هذا شهادة لا تجحد بأن لهم شغفاً بهذا التوسع .

ومجال النشاط الجديد يشمل نواحى عديدة ، ليست كلها ألعاباً . فالأمهات والآباء الذين كانوا بالأمس يضطرون لإظهار الشدة لكى يحملوا « جونى » على فتح

حشائش الحديقة ، أو « ماري » على إصلاح غرفتها ، يدهشهم اليوم أن يروا أبناءهم وبناتهم يكدحون ليصدروا جريدة المدرسة في موعدها ، أو لينجزوا بعض المعدات اللازمة للمدرسة .

ولهذا البرنامج المتسع قيمة سلبية ، وهي أنه ينقص من الوقت الذي يقضيه الطالب بنفسه ، وكثيراً ما كان يقضي ذلك الوقت في بيئات لا تبعث على الرضى .

وكان المفروض — من الناحية النظرية — أن المنزل يجب أن يحتمل شطراً من التبعة في شغل وقت الطالب ، ولكن الواقع أن الشبان دون العشرين يتركون لأنفسهم خارج المدرسة . ومن التبذير الإجرامي أن تصرف ساعات الفراغ هذه في التافه غير المجدي من الأمور ، وهذا واضح كل الوضوح من منظر مئات الشبان في طرقات كل مدينة أمريكية بعد الغروب . والإحصائيات القطعية عن التشرد وإجرام الأحداث ، تدل دلالة كافية على أن كثيراً منهم يسلك سبيل الضلال .

وللبرنامج المتسع في المدارس الثانوية ، فوق ذلك ، قيمة إيجابية ، لأنه يزيد زيادة هائلة في إعداد الطالب بصفة عامة لمواجهة الحياة بعد التخرج .

ويتصور بعض رجال التربية نظاماً للمدرسة ، يتضمن عملا لا ينقطع ليلا ونهاراً ، صيفاً وشتاء ، ويشتمل على برنامج مستمر من الدراسة والعمل والرياضة . وقد انتشرت أندية السينما في المدارس ، وبعضها عنده العدة الكاملة لتسجيل مشاهد نشاط المدرسة طول العام ، ولإخراج بعض القطع السينمائية أيضاً . وفي كثير من المدارس الكبيرة نظم الطلاب محطات للإذاعة ، تتولى الإذاعة في نطاق نظام الإذاعة الموضوع للمدارس . وفي مدارس الولايات الشرقية أندية لألعاب الشتاء ، وفي مدارس الولايات الغربية تعقد حفلات رياضة الخيل . وفي بعض المدارس تحولت قطعة التمثيل التقليدية إلى برنامج للتسلية لا ينقطع طول السنة ، يديره الطلاب أنفسهم . وفي إحدى المدارس بولاية ويسكونسن فرقة موسيقية تعزف كل مساء في أحد الموانئ للعمال الذين يشتغلون أثناء الليل . ويرى دعاة البرنامج المدرسي المتسع أن من الواجب تقصير العطلات المدرسية ، وأن تكون الإجازات الطويلة في زمن الزراعة أو الحصاد أو أية ضرورة من الضرورات الأساسية للمجتمع .

وهناك اتجاه آخر ذو مغزى في التربية بالمدارس الثانوية ، وهو إدراك الأساتذة المتزايد لقيمة هذا النشاط الخارج عن المناهج ، كوسيلة من وسائل التعليم .

ففى بعض المدارس يستخدم برنامج النشاط المدرسى الآن لتعليم التربية الوطنية والشعور الاجتماعى ، ومعاشرة الناس ، ومبادئ المعاملات التجارية ، وضروب أخرى من المهارة ومن الصفات التى لا يمكن اكتسابها بأية طريقة أخرى . وهذا معناه تحول واضح عن الاهتمام بالأمور التى تدرس فى الكتب إلى العناية بتنمية الخلق ، وإعداد الشباب للاضطلاع بالمشاكل العامة لحياة الرجولة . ولما كانت الكثرة العظمى من الشبان فى أمريكا لا تلتحق بالجامعات ، فإن هذه الناحية من التعليم الثانوى تصبح ذات خطر لا يستهان به .

ولعل اشتراك الطلبة فى حكم المدرسة هو خير مثال يبين الاتجاهات الحديثة فى التعليم الثانوى ، فقد كان المقصود به وقت إنشائه أن يكون عملا إضافيا إلى جانب الدراسة الرسمية ، ولكن اليقظين من رجال التربية لم يلبثوا أن أدركوا أنه وسيلة من الطراز الأول لتعليمهم الحكم الديمقراطى . وقد قال واحد منهم : « ما فائدة تكليف الطلبة أن يتعلموا النظم الديمقراطية من بعض الكتب ، مع إخضاعهم لحكم مدرسى يقوم فى الغالب على الاستبداد المطلق ؟ » .

وحين ينشأ نظام الحكم المدرسى على هذا النمط ، تلقى التبعات على أكتاف الطلبة شيئاً فشيئاً . ومجلس الطلبة فى كثير من المدارس يتولى جميع المسائل المالية الخاصة بالنشاط الخارج عن البرنامج ، وهى قد تبلغ بضعة آلاف من الدولارات . وفى مدرسة روتشستر الثانوية بولاية منيسوتا لجنة للأخلاق ، تتألف من مجموعة من الطلاب يجتهدون بالإقناع والسنة الصالحة ، أن يقوّموا ما يبدو من الاعوجاج فى بعض الطلبة الذين تبدو عليهم نزعات ضارة بالمجتمع.

وهنالك ضروب أخرى من النشاط تقوم المدارس بتحويلها من أعمال لقتل الوقت ، إلى وسائل فعالة لتربية الطلاب . ويبدو أن ليس هنالك مانع يحول دون تعليم مبادئ الأعمال الاقتصادية تعليما عمليا فى المدرسة . ففى مدينة ملواكى كان الطلبة فى الشتاء الماضى يديرون برنامجاً للسينما بانتظام ساعة الظهر من كل يوم ، والدخول بالأجر. وفى كثير من المدارس تعقد سلسلة اجتماعات خاصة بالصناعات والأعمال على هذا الأساس. وقد نشرت جريدة نيويورك تيمس منذ وقت قريب مقالا وصفت فيه عدداً من الملاهى الراقصة يديرها شبان دون العشرين فى جهات مختلفة من البلاد ، لأن هؤلاء الأحداث كانوا غير راضين عن الملاهى المألوفة . ولا شك أن كثيراً من المشرفين على مدارسنا يروعهم أن يتصوروا ملهى يديره

الطلاب فى داخل مدرسة ثانوية ، ولكن لاشك فى أن مثل هذا الملهى أسلم جانباً من الأماكن التى يرتادها الطلاب فى الوقت الحاضر.

ومطعم المدرسة الذى يديره الطلبة — وهم أيضاً الذين يهيئون الوجبات ويقدمونها، ويجنون ربحها — يفى تماماً بنفس الأغراض التى يؤديها مطعم يديره المحترفون ، ثم هو يتيح فرصة للمرانة على العمل . وفى بلدة فونيكس بولاية أريزونا لم يقتصر عمل الطلاب على إدارة مطعمهم ، بل أنشأوه إنشاء من أساسه ، بناءه ومعداته جميعاً . وفى نيوهامشير مدرسة ثانوية رأت أن تدير معمل إصلاح السيارات الملحق بالمدرسة على أساس تجارى ، فينجز ما يطلبه الجمهور ويوفر للطلبة المران العملى . وقد كف أصحاب الجراجات المجاورة عن الاعتراض ، وبالعكس أصبحوا يلجاون إلى المدرسة كلما احتاجوا إلى صانع ميكانيكى لتزويدهم بعامل قد تدرب التدرب الكافى .

ولا يزال الطالب يرى أن درساً فى الطبخ أو فى الميكانيكا لم يخرج عن كونه درساً ، أما إدارة مطعم أو معمل فإنها ضرب من التسلية اللذيذة . وبعض رجال التربية يرى أن برنامج النشاط المدرسى سيحل — على مدى الزمن — محل الدراسات الرسمية، ويصبح هو الأساس لجميع المناهج المدرسية .

وهنالك تطور آخر فى التعليم الثانوى يبشر بمستقبل حسن ، وهو النقد الموجه إلى الأساليب الرسمية المملة ، التى اتصفت بها طرق التعليم المتبعة القائمة على المحاضرة وإلقاء المحفوظات . واليوم نجد الفصول — حتى فى المعاهد التى تجنح إلى المحافظة — قد تحولت إلى اجتماعات ، وأن العمل يخصص بحسب الموضوع ، لا بعدد من الصفحات فى بعض الكتب . كذلك يستخدم الأسلوب التمثيلى والسينما ، ويستدعى الخطباء من الخارج ، وتنظم الرحلات لشهود الوقائع والأماكن التاريخية ، وذلك أملا فى أن يحتفظ الطالب بمقدار أكبر من المعلومات .

وإذا تحدث إليك أحد الآباء عن التربية ، فإنه سيعرب لك إعراباً ما عن الفكرة الآتية : وهى أن كثيراً مما يدرس فى المدارس الثانوية لا يمت بصلة إلى حياة الطالب ، أو إلى الأمور التى تهمه . وقد قال أحد أصحاب المصارف فى بلدة صغيرة : « إن ابنى ربما سهر نصف الليل يطالع كتاباً عن الراديو، لأنه يريد أن يصنع بنفسه جهازاً للإذاعة ، ولكنه لن يدرس التاريخ أو الجبر لأنه لا يجد فائدة لتلك المعلومات » . ومن المشاهد أن الدروس التى يشتد الإقبال عليها فى المدارس الثانوية هى درس التدبير المنزلى للبنات ، وأعمال المصانع للأولاد . فالطلبة يكبون

على هذه الدروس، لأنهم يستطيعون أن يروا قيمها. ولو تبينوا فى الدروس الأخرى تلك القيمة، لأقبلوا عليها بنفس الجد والنشاط. فالواجب الأول على المدرسة هو أن ترشد الطلبة إلى إدراك تلك القيم، بدلا من بذل الجهود فى ابتكار الوسائل التى تجعلهم يستذكرون أشياء لا يجدون فيها لذة.

وقد اتبعت المدارس حتى الآن فى معالجة هذه المشكلة الوسائل السلبية، مثل استبعاد الدروس التى يبدو أنها قليلة الفائدة العاجلة، أى التى تقل رغبة الطلاب فيها لهذا السبب، ولكن هذا العلاج يخطئ الهدف الحقيقى. فإن إسقاط مادة كاللغة اللاتينية من المنهج يجب أن لا يحدث إلا إذا اتفق رجال التربية والآباء على أنها أقل فائدة من مادة أخرى تحل محلها، لا لأن الطلبة لا يرون لها قيمة. وإذا كان موضوع من المواضيع له قيمة فى نظر السالفين، فإن واجب المدرسة أن تجعل هذه القيمة واضحة كل الوضوح، فإذا تحقق ذلك لم يلبث الطلبة حتى يتحرك اهتمامهم بذلك الموضوع فيقبلوا على دراسته.

إن كل مدرس ذكى للتاريخ بدأ دروسه فى الخريف الماضى، لا بد أن أدركه اليأس، عندما حاول أن يثير اهتمام الطلبة بحديث جماعات من المستكشفين منذ ٤٠٠ من السنين، على حين أن إخوانهم وأصدقاءهم اليوم يكتبون التاريخ بأحرف من نار فى جميع ميادين الحرب. وأكبر الظن أن أول مدرس يحاول أن يعلم التاريخ « بالعكس » مبتدئاً من العصر الحاضر، ثم متمشياً إلى الوراء بالتدريج، سيكون جزاؤه الطرد، ولكن المعلم الذى يليه فى هذه المحاولة سيعترف له بأنه من الروّاد النوابغ. ومع ذلك فإن هذه الطريقة ما هى إلا تطبيق لقانون من قوانين التربية يعرفه الجميع ويتناساه الكثيرون، ومؤداه أنك يجب أن تبدأ كل موضوع من النقطة الشديدة الاتصال بما يهتم به الطالب.

وكثير من المدرسين اليقظين يستغلون اليوم اهتمام الطالب بالأدب المعاصر، لكى يرشدوه بالتدريج إلى تقدير الأدب الذى يدعى « القديم ». وهذا بلا شك أدنى إلى العقل من تكليف الطلبة أن يطالعوا صفحة صفحة، قصصاً قد مضى عليها قرن من الزمان.

وتدريس الجغرافيا، إن هى درست فى المدارس الثانوية على الإطلاق، تعانى انفصام الصلة بينها وبين الأمور التى يهتم بها الطلاب. ونظراً لأن ٩٩ طالبا من كل ١٠٠ طالب فى المدارس الثانوية يقضون حياتهم فى المنطقة التى نشأوا فيها، فالإلمام إلماماً جيداً بجغرافية إقليمهم عظيم الجدوى عليهم، ومن الطبيعى أن ينتقلوا من دراسة الإقليم الذى يعيشون فيه إلى دراسة قطر أعظم وأوسع.

ويبدو أن هذه التجارب المختلفة فى المناهج وطرق التدريس ، تدل على أن المدارس الثانوية الأمريكية تعمل بجد ومثابرة — على غير خطة موضوعة — لإنشاء برنامج سيكون فى النهاية مسوّغاً للأبنية المادية الفخمة التى تضم تلك المعاهد. والمرجو أن تكون المدرسة الثانوية فى المستقبل قادرة على أن تعد لطلابها برنامجاً مستمراً لا ينقطع ، يشتمل على عمل ودراسة ورياضة ، ويعتنى فيه بتدريب النشء على واجباتهم القومية ، وبتنمية أخلاقهم ، بنفس التحمس الذى يبذل فى إعدادهم للجامعة . وتكون من المرونة فى نظمها الإدارية ، بحيث تيسر لكل طالب أن يتعلم جميع المواد التى يستطيع أن يستوعبها ، وتدير دفتها هيئة تعرف كيف تنظم البرامج ، التى تستمد قوتها ونجاحها من اهتمام الطلبة أنفسهم ، وتعنى عناية خاصة بتربية الشخصية فى الطالب ، ولكنها فى الوقت نفسه تعلمه فضيلة التعاون .

ولست أظن أن من الإسراف فى التفاؤل أن نتوقع أن تدرك المدارس الثانوية الأمريكية — البالغ عددها ٢٥٫٠٠٠ — هذا المثل الأعلى ، يوماً ما .

* * * * * *

مناصفة

كان بين خدمنا امرأة زنجية ، وكان زوجها رجلا يترك الأمور للمقادير ، وبرغم ما يتحلى به من صفات تحببه إلى الناس ، كان عاجزاً عن الاحتفاظ بعمل ما ، وكان ذلك لا يعنيه على الإطلاق . فسألتُ زوجته فى أحد الأيام : كيف ترضى بذلك ؟ فردت على الفور : « المسألة بسيطة ياسيدتى ، إننى أكسب العيش ، وهو يجعل للعيش قيمة » . [ألفادا بوب]

● ما أعظم الخير الذى يمكن صنعه فى العالم ، لو رغب كل قادر على الخير عن إسناد الفضل إلى نفسه . [شعار جزويتى]

● ليست الحياة إلا حصر الفكر فى ما تريدها أن تكون . فأنت ما تشتهى أن تكون . إنك ابن الأشياء التى تقولها ، والكتب التى تقرؤها ، والأفكار التى ترخى لها العنان ، والأصدقاء الذين تعاشرهم ، والأغراض التى تطلبها .
مجلة « فوربز »

حكمة الحيوان

٣

مختارات من رسائل القراء

اختارها للنشر ألن ديفو

يقترح المختار على قرائه ، أن يوافوه بنوادر لباب « حكمة الحيوان » وكل نادرة ينشرها يدفع لصاحبها جنيهين مصريين ، ويجب أن تكون مما لم ينشر قلا وأن يراعى فيها الإيجاز والوضوح والدقة العلميـة . وأن ترسل بعنوان المختار باب : « حكمة الحيوان » . وجميع النوادر التى تنشر تصبح ملكا له .

تعاون ثعالب الكيوت

كنت أرقب قطيعاً من الكراكى القواطع فى سهول مكسيكو الجديدة ، وكانت تشخص بأبصارها إلى سفح تل قريب حيث كان كيوت يفعل أفعالا غريبة : يعدو صاعداً نازلا ، ويقفز ، ويدور ، ويرقص ، ويفعل الأضاحيك كحيوان جن جنونه . سحر الكراكى هذا المنظر فراحت ترقبه فى دهشة وذهول . ثم شاهدت كيوتاً آخر يتسلل خلف الطيور فى حذر شديد ، ثم اقترب منها شيئاً فشيئاً ، وزميله يمارس بهلوانياته فى حمية ليجذب إليه أنظار الطيور . وأخيراً بدا للكيوت المتسلل أنه اقترب قرباً كافياً من الطيور ، فعدا وقفز بين الكراكى واقتنص واحدة منها . وطارت بقية الكراكى وقعد الذئبان الماكران يقتسمان الصَّيد الذى يسَّره لهما تعاونهما . [بوب بفرلى]

السنجاب وتدبير المنزل

اقتنيت سنجابين أحمرين فى قفص واسع به شجرة مصغرة وصندوق لمأواهما ، فيه بعض قطع من القماش لنومهما . وقد لاحظت أنهما يخرجان هذه القطع فى الأيام المشمسة من عشهما ، يحملانها بأفواههما وينشرانها على فروع الشجرة لتهويتها . فإذا دنا مغرب الشمس جمعاها بعناية وعادا بها إلى عشهما .

وقد طفقت أراقب خطتى السنجابين عدة فصول من السنة حتى أقطع الشك باليقين فى أن عملهما لم يكن اتفاقاً محضاً . وقد راعنى خاصة أنهما لم يخرجا فراشهما فى أيام الغيم . [هيوبر وطسن]

انتصار الأرنب

مرق أرنب من كومة الحطاب التي كنت أجمعها ، وعدا مسرعاً في الحقل ، فخف خلفه كلب صيدٍ لي ، وكان سريعاً ، وأخذ يقترب في سرعة من فريسته ، حتى خيل إليّ أن الطراد سينتهي في أية لحظة بقتل الأرنب . بيد أن الأرنب لجأ إلى حيلة كانت أعجب ما رأيت في حياة الحيوان ، فقد قفز قفزتين : كانت الأولى إلى جنب ، حتى يتقدم عليه الكلب ، وكانت الثانية قفزة هائلة امتطى بها ظهر الكلب . وتعلق الأرنب بمكانه وركب الكلب كما يركب القرد الفرس الصغير في ألعاب السرك . فلما دنا الكلب من جانب كثيف من الشجيرات ، وهو يعدو بكل ما أوتي من قوة ، قفز الأرنب واختفى في الأغصان الملتفة . ودار الكلب لحظة وقد غشيته الدهشة ، ثم جاء إليّ يمشي على مهل وذيله من الخزى بين رجليه ، وعلى وجهه مسحة من الذلة . [روبين نايت]

الانذار الخفي

ما كدت أصل بسيارتي إلى فناء المزرعة حتى وردت إشارة بالتلفون تقول : إن ثمة فيضاناً جارفاً في نهر ديموين على مسافة ١٥ ميلا منا . فهرعت إلى الوهاد المنخفضة وساعدت المزارع في جمع الماشية والخنازير ، ولاحظت عند ذاك أنثى الأبسوم (وهو حيوان صغير من ذوات الجيب) تحمل صغارها فوق ظهرها وتصعد بهم نشزاً من الأرض . وبعد دقائق صادفنا طيراً أخضر من قوارض الخشب ميمماً نحو الأيفاع العالية ، وبعد مسافة قصيرة شاهدنا أنثى ظربان تبتعد بصغارها عن شاطئ النهر . ثم شاهدنا بعد ذلك أرنباً ، ولم يكن كالهارب من الصيادين ، بل كان يصعد إلى التل عامداً مريداً . وبعد دقيقة أو دقيقتين شاهدنا راكوناً (حيوان أمريكي من اللواحم) بديئاً يتخذ طريقه متثاقلا إلى النجود المرتفعة . وقال الزارع إنه لم ير في عمره الذى قضاه في تلك البقعة مثل هذه الحركة بين الحيوانات البرية ، وجميعها ميممة جهة واحدة بعيدة عن النهر . ولعلها بطريقة ما ، ولا تسأل كيف ، أنذرت بما سيحدث ، فلقد استشعرت — على حين لا يستشعر غيرها من الدواجن المستأنسة — بقرب وقوع الكارثة .

[ا . هـ كروذر]

فى حذاء رجل عظيم

ولتر ب . بتكين

أخطائى

الموت ثلاث مرات ببضع ثوان : ففى مرة شخصت ببصرى فإذا طبقة من الجمد سمكها قدم ، والمنقذون من فوق يحطمونها — وكنت ذات مرة على باخرة تحترق ، وإذا أنا على جليد طاف يهيم بى طوال ليلة من ليالى الشتاء — ومرة أخرى أقعيت مختبئاً وراء عمود فى حين كان لصوص العصابات يتقاذفون بالنار .

ولكن أمثال هذه المغامرات تبدو ضئيلة إذا قيست بتجربة لى عصر يوم قضيته منذ سنوات خلت مع حذّائى فى دكانه الذى تسطع منه رائحة الجلد فى أحد الأزقة

وكان يتكلم وهو يعرض علىّ بضاعته . فألقيت عليه أسئلة ، ولم يحدث غير ذلك ، ولكن هذه الساعات القليلة كانت أغرب ما مر بى فى حياتى . والذى حدث ما كان يمكن أن يحدث لسواى — وفى مرة فقط من آلاف الملايين .

وليس فى مقدورك أن تفهم ماجرى فى ذلك العصر إلا إذا وقفت على شىء من ماضىّ .

لما تولى ودرو ولسون رياسة جامعة برنستون ، جمع ٥٠ من المعلمين الشبان لينهج نهجاً جديداً فى التعليم ، واستقدم كثيرين من جامعة كولمبيا فراحت هذا تنشد معلمين جديدين . وكانت تطلب شاباً يسير الأجر لتدريس علم النفس . وكنت حينئذ رخيصاً زهيد المرتب .

ودفعتنى السكلية إلى لعب الجولف والتنس وأردت أن أكون مهذباً وأن أجامل القوم ، فجاهدت لإتقان هاتين اللعبتين . وانقضت سنوات قبل أن أستطيع إلقاء الكرة فى الحفر الثانى عشر فى شوط واحد من الجولف . وكنت إذا بلغت الحفرة الثامنة أو التاسعة ، تخذلنى رجلاى ، ويغشى الوجع ساقىّ . ويرتقى الألم إلى عنقى ، وأضعف حتى أعجز عن رفع المضرب .

وكنت لا أستطيع أن ألعب التنس أكثر من نصف ساعة . وأقبلت ذات مرة

[بعد أن تخرج ولتر ب . بتكين فى جامعة مشيجن سنة ١٩٠٠ درس علم النفس فى أوربا ، ثم صار مدرساً له فى جامعة كولمبيا ، وهو مؤلف عشرات من الكتب من أشهرها كتاب « الحياة تبدأ فى سن الأربعين » . وقد أصبح من أنشط شراح العوامل النفسانية للنجاح . وهو يدرس أيضاً الصحافة فى جامعة كولمبيا ، وميادين نشاطه عديدة منوعة ، ومن بينها البحث العلمى ، والزراعة ، والكتابة والنشر] .

كرة عالية حامية ، فوثبتُ ، وضربتها ، وعدت إلى الأرض، فأحسست بجمرة كاوية تحت قدمي ـ كلا ، بل كانت الجمرة فيها . فتهافت على الأرض مغشيا عليّ .

وقال طبيب الجامعة : « انكسر عسيب قدمه (ظاهر القدم) عرضاً » .

وكنت في العامين اللذين قضيتهما في جبر ظاهر القدم أدرس تأثير هذا الكسر ، وكانت صلة الحرق بالألم ، والألم بالضعف ، والضعف بسوء الخلق ، بينة . وكنت إذا طال وقوفي على قدمي ، أو أتعبت نفسي ، أشعر بمثل لسع النار تحت الأصبع الوسطى . وسرعان ما يصبح هذا ألماً حاداً كأنه وخز الابرة ، ثم يعروني الفتور ويشيع في بدني كله ، وبعد دقائق يسوء خلقي ، وكنت لا أستطيع أن أغالب ذلك كأنه العطاس ، فأتقي الناس ، فإذا اضطررت إلى الكلام ، تمتمت بقليل من العبارات الجافية .

ولم أجد شيئاً يذكر في المكتبات الطبية عن التأثير النفساني لأوجاع القدم ، وقد سألت عن ذلك، الثقاة المشهورين، فقالوا لي : « إن التأثير يرجع على الأكثر إلى شخصية المريض ، ولم يقم أحد إلى الآن بتحليل هذا على وجه كاف . ورد الفعل النفسي للمرض يجيء تبعاً للطباع » . وقد أغراني هذا بمعالجة مسائل الشخصية ، فشرعت فيما صار أهم جانب من جوانب عملي في حياتي .

وكنت أذهب إلى برنستون وأحادث أصدقائي في منهاج برنستون الجديد ، وكانت كل رحلة جديدة أدعى إلى الغم من سابقتها . وكانت الحرب قائمة بين ولسون والنظام القديم ، وكنت أعرف رجالا في كلا المعسكرين ، فكان التناقض الصريح يحيرني .

« ولسون مجنون » .

« إنه أعظم قوة في ميدان التربية الأمريكية » .

« إنه يفقد أصدقاءه بأسرع مما يكسبهم » .

« إن سلوكه مع الناس حقير » .

« إنه خير من رأيت دماثة خلق وأدب نفس » .

وروى لي أكثر من عشرة أشخاص قصصاً كهذه : « كنت على موعد مع ولسون فلما دخلت عليه أحدّ النظر إلي ولم يقل شيئاً ، فأفضيت إليه بما أردت وانتظرت رأيه ، فنظر إلي شزراً وهو صامت ، ثم تمتم ببضع كلمات وخرج . ولست أدري بماذا أغضبته ؟ فقد كان من الجلي أنه غضبان » .

وحدثني جار لي قال : « كنت ماراً بدار ولسون وهو خارج منه ، فسرنا معاً نتحدث في غير شيء معين ، وكان ظريفاً

ساحراً كالعادة ، فلما بلغنا مفرق طرق ، عبس فجأة واندفع داخلا في شارع جانبي دون أن يلمس قبعته ، أو يعتذر ، أو يقول شيئاً » .

وفي سنة ١٩١٩ شرعت أعمل مع ضباط الجيش الذين أصيبوا بصدمة عصبية من القنابل ، وكانوا يعانون مشقة في العودة إلى عالم الأعمال . فهذا واحد انكسرت كل عظمة في بدنه تقريباً ، وقد عاش واستأنف عمله القديم دون ان تتأثر أعصابه أو يضطرب عقله ، وهذا اخر كان ما أصيب به هيناً تافهاً ، وكان في وسعه إذا حمل عصا أن يمضي إلى حيث يشاء بسهولة ولكنه كان يمقت العصى ، وكان كأنما يعد حمل العصى اعترافاً علنيا بالضعف ، فكان لا يزال يحاول أن يستغنى عنها ، وشر من ذلك أنه كان يحاول دون أن يعرج ، فكان المجهود الذي يتجشمه فظيعاً ، وكان يصر على القول بإن حياة الأعرج فارغة ولا خير فيها ، فلم يمض عامان حتى انتحر .

وقد وصلت إلى نتيجتين : إن كثيرين من الناس يكونون أطيب عيشاً إذا عظمت المشقة ، منهم إذاهانت ،لأن العوائق الكبيرة تطلق نشاطاً فياضاً ، أما التوافه فإنها أضعف من أن تفتح بوابات القوة العصبية والعقلية . ثم إن الناس كثيراً ما يحاولون أن يستروا مواطن الضعف الهينة ، فيفضي ذلك إلى تعقيدات في الشخصية .

ودرس الشخصية يؤدى بطبيعته إلى درس عادات الناس في حياتهم . وقد قدمت إلىّ ، في مكتبي ، ذات يوم الدكتورة لينا منيز وهي طبيبة موكلة بإنفاق هبة صغيرة لروكفلر ، من المؤسسة الصحية للنساء ، وقالت : « أريد منك أن تبحث مسألة أحذية النساء ، فإنا نتلقى من الشكاوى في هذا الباب أكثر مما نتلقاه من كل الأبواب الأخرى مجتمعة » .

وقد تصفحت أكواماً من الرسائل الشاكية — من زوجات الفلاحين ، ومن الفتيات العاملات ، ومن معلمات المدارس ، وكلهن يسألن أين يجدن أحذية لاتعذبهن .

وعقدنا اجتماعات مع رجال الصناعة وباعة التجزئة ، والأطباء . وقال معظم الخبراء إن هناك كثيراً من النماذج الحسنة ، وأن المرأة تشكو من حذائها على حين ينبغي أن تشكو من إهمال العناية بقدميها . وقال تاجر : « إن النساء في سبيل المظهر مستعدات أن يحتملن عذاب الجحيم » . والعادات السيئة في الوقوف والمشي ، وقلة العناية عند اختيار الأحذية المريحة ، تورث الصداع وسوء الهضم وتلف الأعصاب . وقالوا إن تجار الأحذية ورجال الصحة العامة ينبغي أن يجتمعوا ويفتحوا عيادات لطب الأقدام .

واقترحت الدكتورة منيز أن أتحدث فى هذا الاقتراح مع الآخرين ، وأرسلتنى إلى إخصائى فى صناعة الأحذية هو خير زملائه.

فلما دخلت مكتبه ملأت خياشيمى رائحة هى مزيج من الجلد والزيت والشمع والأثاث القديم ، وكان الرجل فى الداخل يحاول أن يلبس صبياً أعرج حذاء .

وانصرف الصبى فحدثته عن الاقتراح ، فهز رأسه وقال : « طبعاً ينبغى أن تكون هناك عيادات كهذه ، وإنها لخليقة أن تعفى الناس من عذاب لا داعى له » .

« أترى أن كثيراً من هـذه المتاعب لا داعى لها ؟ » .

« أكثرها . نصف المتاعب مرده إلى الجهل ، والنصف الآخر سببه الشعور السخيف بالكرامة » .

« ونستطيع أن نعـلم الجهلة ، أليس كذلك ؟ ولكن لعلنا نضطر أن نسلم الآخرين إلى حظهم ! » .

واتسعت عيناه وهو يقول : « نعم ، نعم ، نكلهم إلى حظهم ! » وكان كأنما يرى شيئاً بعيداً وهو يقول : « لعنة المحافظة على المظاهر ! إنها أفظع فى الرجل منها فى المرأة ، ولاسيما الرجـل الذى له قوة عظيمة ، وقد رأيت كيف تعيث ... » .

ومضى إلى خزانة عالية وتناول من رف قدماً من الجص معفرة .

ودفعها إلىّ ، وذهب بى إلى النـافذة وسألنى : « ما رأيك فى هذه ؟ » .

وبدت لى كأنها نموذج عادى ، ولكنى وأنا أتأملها لمحت شيئاً من سوء التناسب والعيب فى تكوينها ، وأرانى الرجل صورة كبيرة مأخوذة بأشـعة إكس وقال : « ادرسها فإنها صورة القدم نفسها » .

وكانت العيوب هنا أوضح .

ثم قال وأشرق وجهه : « والآن تأمل هـذا » وناولنى حذاء قديماً ، فتحسست باطنه بأصابعى فألفيته ألين وأنعم من القطن المندوف ، ورأيت هنا وههنا ، فى مواضع شتى ، تعـديلات بارعة لا تكاد تلحظ . فبهرنى هذا الفن .

وقلت : «إنه لايمكن أن يفطن إلى ذلك واحد فى الألف ، وقدم لابسها فيها » .

فقال الرجل « ولكن لابسها كان لا يكف عن ملاحظتها ، وقد ظل ساخطاً محنقاً طول حياته ، وكانت كبرياؤه فظيعة ، ولشد ما كان يأنف أن يبدو على خلاف ما يبـدو الناس غيره ! وما أعظم ما كان كفاحه للاحتفاظ بالمظاهر ! وكان إلى أن أقعدته الشيخوخة والمرض عن العناية بأمر نفسه ، لايدع أحداً حتى من أسرته يدخل غرفته وأنا معه لألطف آلامه وأسكنها .

وكان لا يسمح لى بأن أدخـل البيت من الباب الـكبير الأمامى ، فكنت أقصد إلى الباب الخلفى ، ولم أكن أذكر صـناعتى ، فكنت أكتفى بذكر اسمى .

« وكان يتجهم لى كأنما كنت أنا الملوم على ما يعانيه ، وقد أوجعته مرة فركلنى ، غير أنى لم أغضب ، فإنى أعرف أن بعض الناس يعييهم أن يملـكوا زمام أعصابهم إذا برح بهم الألم . وكنت أحياناً أقضى ساعات وأنا أعالج حذاء جديداً ، وهو يطوى أصابعه فى راحته ويقبض حتى تبيض عُقلُها ، ثم يتهافت وينطرح على سريره ، فأضع الأحذية الأخرى فى الحقيبة وأتسلل خارجاً من الباب الخلفى . كلا ، يا دكتور ، لم يكن يسمح لى أن ألف عليها ورقة ، أو أحملها فى صندوق أحذية ، فكنت أدسها فى حقيبة حتى لا تطلع عين إنسان على ما فيها » .

وبكى الرجل — بكى حقاً . ومضى إلى مكتبه القديم ودفع يده فى درج وأخرج حزمة من الرسائل القديمة .

« وكان بعد أن يسوء خلقه معى ، يبعث إلىّ برسالة . وقد احتفظت بها جميعاً ، فقد جملت لى حياة جديرة بأن أحياها » .

وناولنى الرسائل ، فحرت بين الدهشة لدموع الإخلاص ، والذهول من فعل الكبرياء الحمقاء . وحللت عقدة الرباط ، فدارت بى الأرض ، وغامت المرئيات . وما زلت أرى هذه الرسائل بعين خيالى . وكانت الأولى :

البيت الأبيض « لا تاريخ »

« إنى آسف لأنى كنت أمس شكساً سيء الخلق ، ولكنك تفهم . وقد ساعدتنى كثيراً وأنا شاكر لك ، وأرى أن هذا الحذاء الأخير سيكون صالحاً »

المخلص
ودرو ولسون

والرسالة الثانية :

« أرجو أن تحضر غداً الساعة الخامسة تماماً فإن الحـذاء يورثنى تعباً شديداً ، ولا بد من تغييره فوراً » .

المخلص
ودرو ولسون

والثالثة :

لا يسعنى إلا أن أؤكد لك أن شراستى أمس لا تعنى شيئاً ، وكنت أنت أكثر من عطوف . وإنى لمدرك لمبلغ ما أسديته إلىّ » .

المخلص
ودرو ولسون

وعشرون رسالة أخرى ، بخط يعرفه الملايين من الناس ، وهى كلها مكتوبة على أوراق البيت الأبيض ، وظروفها معنونة بخط ولسون نفسه .

وقد فطنت إلى ما أبكى الحذّاء ، ولكنه هو لم يفطن إلى ما دار فى نفسى وتمثل لعينى ، فقد تمثل لى رجل يسـير فى طريق الـكآبة ، ويقف من الألم ، ثم ينقلب بسرعة مرتدا إلى بيته ليبقى فيـه حتى يستطيع أن يمشى مرة أخرى وهو مستريح .

وتمثل لى رجل ـ عابس مكفهر الوجه ، ينتفض خارجاً من اجتماعات اللجان ، فيذهل الذين لا يعرفون ، كما أعرف أنا ، مبلغ الاضطراب الذى يحدثه للعقل الإنسانى تعب الأعصاب المكدودة وأنسجة العضلات المرهقة.

وتمثل لى رجل يحاول أن يصارع لويد جورج وكليمنصو فى فرساى ، وهو لا يدرى أن فتى ويلز عرف كيف يتغلب عليه بسهولة ، بأن يرهقه فى يومه حتى يبلغ به من الإعياء مبلغاً لا يدع له قدرة على التفكير أو الكلام .

نعم — رأيت التاريخ مسطوراً فى هذه الرسائل .

هى الطبيعة البشرية

حين كنت مديراً للصحة العامة فى الفيلبين ، كان فى طليعة همومى ، أن أضمن نقاء ماء الشرب فى مانيلا . وأعلنا فى أحد الأيام أننا سنبدأ يوم ١٠ يونيو فى استعمال أسلوب جديد لتطهير الماء بالكلور . فما طلع يوم ١١ يونيو حتى بدأ مجلس الصحة يتلقى شكاوى مؤداها « أن الماء لا يصلح للشرب » . وردّدت الصحف صدى هذه الشكاوى .

وظللنا عشرة أيام لم نذكر شيئاً عن الحادث الذى أرغمنا على إرجاء استعمال الكلور ثم أذعنا الحقيقة ، حين تهيأ لنا استعمال الجهاز الجديد .

فسكتت الأصوات المرتفعة بالشكوى . [فيكتور هيزر فى كتابه «أنت الطبيب»]

قال صحفى فى ذات صباح لسيدة الدار التى يسكنها : أظن أن محصول البطاطس سيكون فى هذه السنة محصولا كبيراً ، فخالفته فى الرأى وقالت فى حزم : بل سيكون محصولا ضعيفاً .

فلما وصل إلى مكتبه أعدّ الكلمة التالية للنشر : « من المتوقع أن يكون محصول البطاطس كبيراً هذا الخريف » .

وإذا السيدة تعتذر فى المساء — وهو يكاتم ضحكه : « لقد أخطأت فى موضوع محصول البطاطس . فقد قرأت فى الجريدة أن المحصول سيكون ممتازاً » .

[ا . د . سميث]

صورة تؤثر :
من حياة الصين

أى ناس هؤلاء ؟

لىلاند ستو

مقتبسة عن كتاب « لن ينساموا »

بيت شيالنج وكر طائر مجسم ، يقوم على نجد من أوعر النجود المحيطة كالسياج بشونكنج ، وتستطيع من شرفاته الخارجية أن تصوب عينك رأساً إلى نهر يانجتسى الأكدر على أكثر من ٤٠٠ قدم تحتك ، وترى النهر راكداً ، وعلى صفحة مجراه العريض المتعرج تروح وتجىء الزوارق والقوارب ، وتثير خلفها خطوطاً متموجة قليلا . وهنا تسير الصين بخطوات أورثتها قرونها الطويلات الحقب البطء والكلال .

وفيما وراء الفندق يتلوى الطريق الرئيسى صاعداً حول النجود حتى يبلغ ذروة اليفاع ، وكذلك يتعرج هابطاً وينعطف بشدة ، وتدور ثنياته راجعة حول التلال ، وتجتاز سكته أحياء العمل فى شونكنج حتى يصل إلى أول شارع على رأس ٣٠٧ درجة من الحجر تهبط على معبر نهر اليانجتسى . وقد كنت أنحدر كل يوم على هذا الطريق ، وكنت ألتقى كل يوم بالصينيين يصعدون فيه غير عابئين بالمطر أو بعمق زحاليق النز .

وقد اتفق فى أول صباح لى فى شونكنج أن كانوا محجوبين وراء منعطف ، فسمعتهم قبل أن أراهم :

« هاى تو ... هاى تا ... هاى تو ... هاى تا ... هاى تو ... » .

وكان ذلك إيقاعاً متساويا ، أو على الأصح سلسلة شهقات ذات صوتين — وكأنه حكاية لتطريب النواتى على نهر الفولجا سوى أنه أقل حلاوة وأكثر شجى وإملالا . وانعطفت مع الطريق ، فرأيتهم قبل أن أكون فكرة عن هؤلاء المرجِّعين ، وإذا بهم ثلاثة رجال وصبيان صغيران . وأحياناً لا يكون منهم هنالك سوى ثلاثة ، وقد تبلغ عدتهم ستة ، ولكنهم فيما عدا ذلك لا يختلف حالهم ، كما لم يختلف قط فيما أظن منذ مئات أو آلاف من السنين .

وهم مشدودون إلى مركبة ضخمة ذات عجلتين ، وكانت المركبة فى هذا الصباح ملأى بسلال من القضض والحصى الصغار . ومكان الرئيس بين ذراعى المركبة ، والحبل ملقى على إحدى كتفيه وملتف بصدره ، ثم يرتد طرفه إلى حيث شد الطرف الآخر إلى المركبة ، ويشد الرجلان الآخران والصبيان على جانبى المركبة على هذا النحو أيضاً :

وترى آثار الحبال عميقة على أكتافهم البارزة العظام وصدورهم الضيقة .

والصبي يبلغ من الطول مبلغ الغلام الأمريكى فى العاشرة من عمره ، ولكنه أضأل جسما ، والرجال أيضاً دقاق الأجسام مهازيل ، وقد لا يزن الواحد منهم أكثر من ١١٥ رطلاً . وما هم إلا خيل آدمية . فهل رأيت قط خيلا آدمية ؟ هل تحب أن تكون حصاناً آدمياً من سن العاشرة أو الثانية عشرة إلى أن يوافيك الأجل .

« هاى تو ... هاى تو ... هاى تو ... هاى تو ... » .

والصوت يندّ عن حلوقهم خارجاً من أحشائهم وفيه أحيح التمزيق ، ولا بد أن يكون وزن المركبة وحمولتها نصف طن ، وعسى أن يكون أثقل ، وهو حمل قاسى الثقل ، والطريق وعر المرتقى حتى ليضطر الرجال والصبيان أن يميلوا وينثنوا إلى الأمام جداً فترى ظهورهم المحنية تكاد تحاذى أرض الطريق . ينثنون إلى الأمام ويغرزون أصابع أرجلهم فى الوحل ، ويتشددون حتى تبرز عضلاتهم وتختلج من الجهد على سيقانهم النحيلة وأكتافهم المجهودة . وهم عارون إلى الوسط ، وجلدهم الأصحم مشدود على ضلوعهم ، والحبال تحز فى عظام أكتافهم ، وليس فى وسعهم أن يحركوا المركبة إلا إذا جروها جميعاً معاً بكل ذرة من القوة فى أبدانهم الوهنانة الممزقة .

ومن أجل هذا يشدون ، وينشدون — « هاى تو ... هاى تا ... » — فتدور عجلات المركبة الكبيرة ، وتكاد تكد ، وتصعد بما تحمل ، ببطء ومشقة لم تر لهما مثيلا فى حياتك .

وأراقبهم وقد تنبضت أمعائى وتلوت ، وهم يزحفون مصعدين فى هذا الشعب القاتل الموحل ، ولا أدرى كيف يسعهم أن يديروا العجلات ، ويجروا المركبة فوق الأخاديد والصخور ، والعرق المتصبب على وجوههم كالفصوص يكاد يعميهم ، ويسيل كالجداول على أبدانهم العجيبة المبنية من الحديد والعظم . وكل منهم يحمل خرقة قذرة فى إحدى يديه ، ويميل ويغرز أصابع قدميه فى الزحاوقة ويمسح العرق من عينيه مرة بعد مرة ، ولكن شهقات تنفسهم المنتظم تستمر بلا انقطاع ، فإنه لحن متصل يوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ، وقرناً بعد قرن .

« هاى تو . . . هاى تو . . . » كأنما يقولون « ... ممكن .. ممكن .. لنعيش .. لنعيش » فهو صوت بعضه أنين ، وبعضه تحدّ ، ونصفه دعوة إلى الشجاعة ، والنصف صرخة يأس . ويبدأ اللحن فى مطلع الصبح

ويظل يتردد وتتجاوب بأصدائه مخارم الجبل حتى يسبل الليل سدوله الرحيمة .

فياليت شعرى ما أثر هذا الكدح المبرح فى نفوس الرجال ؟ وأى قوة إرادة هذه التى تستقطر آخر ذرة من القوة من أجسام خرعة ؟ وماذا ترانا نعرف عن روح الإنسان التى لاتقهر ؟ آه ! هؤلاء هم مئات الملايين من الأمة الصينية . وهؤلاء هم أخطر أهل الصين شأناً .

أتراك أنت أيضاً تعجبت لقوة الصين ؟ إنها تزحف كل يوم حول نجود شونكنج وعلى ثنياتهـا ، وهى فى آلاف من مدن وبلدان صغيرة مجهولة، وبين أذرع المركبات، وفى قلوب الملايين من عمال الصين .

أيها الرواد !

فى يوم من أيام سبتمبر سنة ١٨٦٧ كانت مسز هنرى ستيفنز ، وهى زوجة فلاح من الرواد فى برارى أريزونا ، تطل من نافذة دارها ، فرأت فى العشب ما رابها ، فلم تتردد لحظة ، فنحـّت العجين الذى بين يديها ، ومدت ذراعها إلى بندقية الرش .

وارتجـّت الدار حين انطلقت البندقية وسقط لص ميتا فى الخارج ، وكأن دوى بندقيتها كان إشارة لجماعة اللصوص بالهجوم ، وكانوا خمسين من الهنود الحمر ، ولم يكن فى الدار سوى المرأة وصغارها وشيخ يعاونها فى أعمال المزرعة .

فوقف الشيخ للدفاع فى مقدم الدار ، ووقفت هى فى المؤخرة ، وظلاّ كلاهما ست ساعات يردّان الهجوم . وسمعت جماعة من الرعاة صـوت النار فامتطوا جيادهم وأقبلوا يبذلون معونتهم للمرأة ، ففر اللصوص . فلما انتهت الموقعة دنا مقدّم الرعاة من السيدة وسألها : أين زوجك يا سيدتى ؟ فقالت : ذهب إلى المدينة فى عمل . فقال : سأذهب إلى المدينة أنبئه بما حدث ، فاكتبى الرسالة التى تريدين ، فأحملها إليه رأساً .

وفى تلك الليلة تلقى الزوج من زوجته الرسالة التالية :

«عزيزى هنرى : جاء اللصوص . وقد كاد رشّى أن ينفد ، فأرسل إلى مقداراً آخر منه .

زوجتك المحبة »

[لورين أرنولد فى كتاب : « طريق أريزونا »]

هل يمكن إطالة الشباب ؟

بول دى كروف

« ثبت بالتجربة أن « هرمون » الذكر المحضر يمد الرجال بمدد جديد من النشاط حين تكون أعباء الحياة عليهم أثقل ما تكون »

يعتار الرجال فى كهولتهم فزع من ضعف خفى يسل قواهم ، وقد يتأتى لهم أن يكونوا فى ذروة الشباب والعمل. على أن بعضهم يتخطى هذه المحنة ويستعيد قواه (شأنهم فى ذلك إلى حد ما شأن النساء بلغن سن اليأس وجاوزنه بسلام) ، فى حين يتهادى الآخرون إلى الشيخوخة المبكرة تحت حمل من العلل الغامضة . ولكن الكشف الحديث عن هرمون التستوستيرون المحضر يدل على إمكان بعث عدد كبير من أولئك الرجال المحطمين ، فما بين سن الخمسين والخامسة والسبعين ، هذا إذا قرر أطباؤهم أنهم يعانون نقصاً فى « هرمون » الذكور .

لقد طالما أنكر الأطباء على أى عقار كيميائى قدرته على صد شبح الشيخوخة الزاحف ، وعدوا ذلك وهماً من الأوهام . وهذا براون سيكار الفرنسى ، مؤسس علم الهرمونات ، قد حقن نفسه فى السبعين من عمره بخلاصة الغدة الجنسية ، وزعم أنه خلق خلقاً جديداً ، ولكنه ما لبث أن مات . وفى العقد الثانى من هذا القرن أحدث التطعيم بغدد القرود ثورة علمية سرعان ما تكشفت عن خرافة كخرافة ينبوع شباب بونس ده ليون المستكشف الأسبانى . وقام علم التشريح المرضى ينذر أنصار الهرمون المتلئين بالرجاء بأن الفرار من الشيخوخة محال .

وعلى الرغم من هذه النبوءات الحافلة بالتشاؤم دأب علماء الكيمياء الحيوية على أبحاثهم آبين أن يعترفوا بالمستحيل . وفى العقد الثالث جد هؤلاء العلماء فى البحث عن إكسير الشباب مدركين أن النشاط الجنسى مرتبط بالحيوية العامة فى الإنسان والحيوان . واستطاع العالم الهولاندى أرنست لاكير سنة ١٩٣٣ أن يفصل هرمون الذكر بادئ ذى بدء من الغدد الجنسية فى الثيران . وحضّر روزيكا الكيميائى السويسرى هذا الهرمون فى المعمل بعد سنة . واليوم أصبح لهرمون الذكر معين لا ينضب من مادة الكولسترول التى توجد فى مخ الأنعام ونخاعها الشوكى ،

إذ يمكن إحالة هـذه المادة كيميائيا إلى هرمون الذكر المحضر ــ أى التستوستيرون .
ويرى أنصار الهرمون اليوم أكثر من بارقة أمل فى نضالهم من أجل إطالة الشباب .

ولقـد أجريت مئات من التجارب فى الحيوان قبـــل تجربة العقار الجـديد فى الإنسان ، فإذا الأثر الحيوى للتستوستيرون لم يقتصر فعله على الجهاز الجنسى ، فالديوك الخصيّة الوديعة ظفرت بعد تكرار حقنها به بأعراف حُمْر لطيفة ، ونُفخت فيها روح جديدة للنضال . كما خلق فى إناث الخنازير الغينية عضـلات قوية كعضلات الذكور .
وكل ما حقن به من حيوان بدا عليه نزوع جديد إلى القوة ، وأعين على الاحتفـاظ بالأزوت والأملاح المعـدنية والماء ، وهى العناصر التى ينذر فقدانها نذير الشيخوخة .

وأعجب من هـذا ما لوحظ من أثر هرمون الذكر المحضر فى نشاط الرجال الذين فقـدوا غددهم الجنسية من جروح الحرب أو الأمراض . وفقدان النشاط الجنسى فى أمثال هؤلاء ليس أكثر من مأساة واحدة فى حيـاة مهيضة ، هى كالموت فى رأى الأكثرين . فما يكاد أحدهم يبدأ عمله اليومى حتى يحس فى عضلاته دبيب الكلال ، وإن جلودهم لترق وتتغضن وتنطفىء نضرتها .
ليحاولون التفكير فيضاون فى تيه من الأحلام لا هدف لهم فيـه ، وإن آمالهم فى الغد لتستحيل إلى يأس لا تغنى عنه دموع الأسى ولا كآبة التذمر .

لقد استطاعت حقن هرمون الذكر الجـديد أن تبعث هؤلاء الرجال المحطمين خلقاً جديداً فى العقول والأبدان . وكان الدكتور ج . ل . فوس من برستول فى إنجلترا أول من كشف عن أثر هـذا الهرمون فى أمثال هؤلاء الرجال ، فقـد حقن طبيباً بيطريا أفقـده غدده الجنسية جرح أصابه فى الحرب العالمية الماضية ، فاستعاد المريض قواه الجنسية التى افتقدها ١٨ عاماً ، بعـد الحقنة الأولى بثلاثة أيام ، بل فار شبابه فورة لم يخفف من غلوائها إلا خفض جرعة الهرمون .

وسرعان ما تحققت هذه المعجزة فى كثير من عيـادات أمريكا ومستشفياتها ، فقـد أظهر الدكتور ا . ب . ماك كولاخ من كليفلاند قوة التستوستيرون المنشطة فى ١٢ من أمثال أولئك الرجال المحطمين . وأجرى الأطبـاء أرنست سيمنسـون ، وولتر م . كينز ونوربرت أنزر من ميلووكى ، تجارب بهذا الهرمون ، فوجدوا له تنشيطاً هائلا لقوة العضلات والأعصاب . وأيد الدكتور س . و . دن من فيلادلفيا والدكتور ه . ه ترنر من مدينة أوكلاهوما ، تطور أمثال

أولئك الرجال من شيوخ بكّر إليهم الكبر إلى رجال ملء قلوبهم البهجة والنشاط .

وأثبت هرمون الذكر قوته الخارقة فى ميدان آخر ، فقد أحدث تبدلا فى الأشخاص الذين لم تنم أعضاؤهم الجنسية نموا طبيعيا وقت البلوغ ، ويعرف هؤلاء « بالمخنثين » ، وهم أشباه رجال ، لهم صوت رقيق النبرات ، وهم مُرْد لا ينبت الشعر على لحاهم ولا على أجسادهم ، ولهم عضلات واهنة ، ويعانون ما يعانى الشيوخ من ضنى العقل والجسد .

وكان الدكتور ج . ب . هاملتون الذى يعمل الآن بمدرسة الطب فى جامعة ييل أول رجل فى الولايات المتحدة سجل السرعة التى يستطيع بها التستوسترون أن يبعث الحياة فى هؤلاء الأشخاص الجديرين بالشفقة . وأثبت الأطباء ج . ا . هوارد وس . ا . فست من جامعة جون هوبكنز ، أن ٢٢ من أشباه الرجال ، قد أيقظ هرمون الذكر قواهم الجنسية ، وغلظ أصواتهم ، وشدّ من عضلاتهم ، وجمع المبعثر من مواهبهم .

ويواجه أنصار هذا الهرمون اليوم مشكلا مهمًّا من مشاكل الطب الحديث ، وذلك أنه إذا كان نقص هرمون الذكر يؤدى إلى سلّ قوى الرجال الحيوية جميعاً ، فهل يقتصر هذا الأثر على أولئك الأشقياء الذين فقدوا غددهم الجنسية أو ظلت هذه الغدد فيهم ضعيفة النمو ؟... كلا ، ولا ريب ، فقد أثبتت التجارب المؤكدة أن الإنتاج الطبيعى لهذه المادة الحيوية يتناقص كلما دنت الشيخوخة ، أفلا يكون هذا التناقص سبباً فى بعض العلل المبهمة التى تنتاب القلب والمخ فى الكهول والشيوخ ؟

فى سنة ١٩٣٨ أرسل الدكتور هاينز أرنت من كونجسبرج بألمانيا شعاعاً لماحاً على تلك المجاهل الطبية ، فقد جمع ١٧ رجلا بلغوا أرذل العمر ، وأصبحوا عالة على الحياة ، واستعصى انحلالهم العصبى وآلامهم الممضة التى يحسونها حول القلب ، على كل علاج ، فانجلى خقنهم بالتستوسترون عن شفاء سريع . ثم أسدلت الحرب ستاراً على العلم فى ألمانيا ، ولكن فى الأعوام الأربعة الماضية سجل عدد يتزايد من أطباء عيادات الولايات المتحدة ومستشفياتها لهرمون الذكر قدرة على علاج إحدى هذه العلل وهى الذبحة الصدرية .

والذبحة الصدرية هى استغاثة القلب حين تحرم عضلاته الدماء . وقد عالج الدكتور موريس ا . ليسر من بوسطن بالتستوسترون ٤٦ ضحية من ضحايا الذبحة الصدرية الشديدة المزمنة ، فأخذت آلام القلب المروعة تتناقص بالتدريج فى عددها وشدتها ومدتها ،

واستطاع كثير من المرضى أن يزيدوا من نشاطهم إلى حد كبير دون أن يحسوا لدعة من لذعات الألم السابق . وأتيح لبعضهم الشفاء (ومنهم صانع غلايات) وعادوا إلى عملهم القديم . وأيد هذه النتائج أطباء آخرون فى بوسطن ونيويورك وكولومبس أوهايو وبومون تكساس حيث وجدوا جميعاً أن العلاج الطويل المستمر ضرورى للحصول على هذا الأثر النافع الذى قد يطيل الحياة .

لكن الأطباء طالبوا — ولهم الحق — ببرهان وثيق على أن التستوسترون له أثر واضح ممكن التقدير فى تقوية العضلات والمخ والأعصاب ، إذا ما دب فيها الكلال والإعياء . ثم قالوا لعل الآثار الطبية التى انجلى عنها التستوسترون هى فى أكثر الأمر توهم ، أو نتيجة لما يسميه الأطباء «بالإيحاء» . وأجاب أنصار الهرمون على هذا الإشكال جواباً علميا بالاختبار العلاجى الذى يتألف من إعطاء عدد من المرضى حبوباً أو حقناً زائفة لاتحتوى على شىء من هذا العقار المهم . وقد لا يستجيب لهـا المريض البتة ، فإن استجاب لها بتحسن ظاهر فى قواه العقليـة والبدنية كان مرجع هذا التحسن هو الإيحاء بلا ريب ، وكانت آثاره خلاصاً مؤقتاً من الأعراض السيئة لا يلبث أن يزول . ثم يتلو ذلك علاج المريض بهرمون الذكر ، فإذا تكشف عن نتيجة طبية دائمة ، كان فى ذلك الدليل الكافى على صلاح الدواء .

ففى سنة ١٩٤١ أصاب الدكتور والترم . كيرنز شكوك الأطباء فى التستوسترون بصدمة عنيفة ، واستغل فى تجربته الحقيقة المعروفة : أن جياد السباق — بين أعضاء المملكة الحيوانية جميعاً — هى أدق ميزان للقوة والاحتمال ، حيث يمكن أن تقاس سرعتها فى سباق الميل بالثوانى وأجزائها .

اصطفى الدكتور كيرنز لتجربته الجواد الخصىّ هولوواى البالغ من العمر ١٩ عاماً ، وعلى أن هولوواى كان يوماً ما من الطراز الأول بين جياد السباق ، فإنه كان قد شاخ يومئذ ، وأعيى ، وتهيأ عظمه الفانى لمصانع الغراء . وحقنه الطبيب الباحث ب $\frac{١}{٦٠}$ من الأوقيـة من التستوسـترون ، وفى خلال ٤٨ ساعة أخـذ يبدو على هولوواى تطور عجيب نحو الحميّـة والهمة ، وأخـذ يتوثب كالجواد الشاب . ولما لم يكنْ سوى جواد أعجم فقد انتفى تعليل هذا التطور بما يسميه الأطباء بالإيحاء . وقد أخذ شعره يكثف ، وطفقت فروته ترق وتلمع ، وبدأت عضلاته تقوى وتشتد ، ومن ثم أعيدت رياضته على الركض الخبب . وفى سباق الصيف الماضى استطاع هذا السابق القديم ، وهو فى

التاسعة عشرة من عمره ، أن يكون سابقاً في خمسة أشواط ، ومصلياً في خمسة وتالياً في ثلاثة ، وبتعبير آخر — كما يقول كيرتز « عاد هولوواى الشيخ إلى صباه » .

ولا يزعم أنصار الهرمون أنه قادر على أن يرد البطولات الغابرة على الرياضيين الكهول المتقاعدين في سباق المئة ياردة ، بل هم يحذرون من دعوى المشعوذين أن الحياة يمكن أن تبدأ بعد الخمسين أو الستين أو الخامسة والسبعين ، ولكنهم يحتكمون في مزايا التستوسترون إلى التقارير العامية لكثير من المستشفيات والعيادات التي تشهد له بتجديد قوى الرجال الذين ثبت أنهم حرموا هرمون الذكور .

إن كثيراً من الكهول الذين يشغلون مناصب مهمة أدركوها بجهد العقل والبدن عدة أعوام ، يفقدون الحيوية التي يعود إليها فضل ما لاقوا من نجاح ، وقد يحسون إذ ذاك توتراً غريباً في الأعصاب ، وإذا أصابهم مس تافه من السوء استعانوا عليه بالمشعوذين . ولقد يأخذهم النعاس عقب الرقاد مباشرة ، ولكنهم لا يلبثون أن يفيقوا ليقضوا معظم الليل في هموم سخيفة . ولقد تتنابهم موجات خاطفة من الحرارة يتلوها عرق غزير ، وقد تسدل على عقولهم غشاوة فلا يستطيعون أن يحزموا أمرهم على قرار ، وما أكثر ما يفلت الزمام من أيديهم .

وقد استعمل الدكتور هـ . ر . دونالد ، من مانشستر بإنجلترا ، التستوسترون لإنقاذ ٥٠ من أمثال هؤلاء الرجال ، فجرب فيهم أولا حقناً زائفة ليس فيها شيء من هرمون الذكر ثم حقنهم بالتستوسترون ، فكان له في حيويتهم العامة أثر مجيد ، إذ عاد إليهم النوم الهنيء ، واختفى ما كان ينتابهم من موجات الحرارة والعرق الغزير ، واشتدت قوتهم العضلية ، وقلما كانوا يشعرون به من إعياء .

وفحص الدكتور ا . ا . وارنر من سانت لويس أثر التستوسترون في ٣٩ رجلا أشرفوا على انطفاء جمرة الحياة ، ثم سجل ، في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية وفي مجلة المباحث البولية ، فعل العقار الجديد في تجديد القوى . وأصاب مثل هذا النجاح الدكتور روبرت ج . دوجلاس من موسكيجون بولاية مشيجن في ٥٨ رجلا . ولاحظ الدكتور س . و . دن من فيلادلفيا أن مجموعة من الرجال الذين علاهم الكبر ، عددها ٣٩ رجلا ، تجددت قواهم العقلية والجسدية بالتستوسترون . وثمت تقارير علمية عديدة تتناول أكثر من ٦٠٠ حالة وتثبت قدرة هرمون الذكور على زيادة النشاط في الكهول الذين جاوزوا الخمسين .

والعلاج بهرمون الذكور — كما تملى

علينا الحكمة — يجب أن يوكل دائماً إلى طبيب ماهر ، فإن المرء قد يعانى مرضاً ما لا علاقة له بنقص هـذا الهرمون ، فإذا تعاطى التستوسترون من تلقاء نفسه فقـد يدفعه الإحساس بالعافية إلى تأجيل الاستعانة الضرورية بالطبيب . ثم إن قوة هذا العقار الحيـوى كذلك قد تشعر الشيـوخ بأنهم عادوا إلى شرخ الشباب ، بل لقد تسوقهم الجرع الكبيرة منـه إلى إرهاق أنفسهم بالرياضة أو العمل ، ثم إلى ما يؤدى إليـه هـذا الإرهاق من آثار سيئة فى القلب والشرايين .

وهناك نذير أهم يتنادى به الأطباء الذين أصابوا خير النتائج من علاجهم تضخم البروستاتا بالتستوسترون ، ففى بعض الأحيان قد يختفى السرطان وراء هـذا التضخم ، ومثل هـذا الورم السرطانى قد يصبح أشد فتكا باستعمال هرمون الذكور . ومن أجل ذلك تتضح ضرورة قصر العلاج بالتستوسترون على الأطبـاء خشية تفاقم السرطان .

ويمكن تعـاطى التستوسترون أقراصاً بالفم أو حقناً تحت الجلد . وقد كان غلوه الفاحش إلى عهـد قريب أحد الموانع التى حالت دون انتشار العلاج بهذا العقار ، فقد كان تداوى الرجل الذى ينقصه الهرمون يكلفه فى المتوسـط ريالا ونصفاً فى اليوم مدى شهر ، ثم يكفيه بعد ذلك ما يقارب ثمنه ربع ريال ليحفظ عليه مستواه ، لكن ما حدث للأنسولين والفيتامين ب ١ ، بعد وفرة الإنتاج وعبقرية الكيميائيين ، خليق أن يتكرر على مر الزمن فى هذا الهرمون ، فينخفض سعره حتى يصبح فى متناول كل محتاج إليه .

● إن تاريخ النساء هو تاريخ أسوإ ضروب الاستبداد فى التاريخ — استبداد الضعيف بالقوى ، وهو الاستبداد الوحيد الذى يدوم . [أوسكار وايلد]

● وضعيفة ، فإذا أصابت فرصـة قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

[أبو تمام]

● بعد ركوب سـيارة « جيب » مسافة مئة وخمسين ميـلا لابد لك من أربع وعشرين ساعة قبل أن يكف جسمك عن الاهتزاز .

[المراسل الحربى إرنى بايل]

عمر برادلى

فردريك إبنتون

مقتبسة عن مجلة " ذى أمريكان ليجيون "



قائد الميدان للقوات الأمريكية البرية فى أوربا ، ساكن الروع ، قوى البطش ، رجاله يقسمون بحياته .

فى تونس ، فى شهر مارس عام ١٩٤٣ كان قائد أمريكى برتبة ماجور جنرال ، يدعى عمر نلسون برادلى ، وكان حديث عهد بها وبتوليه مهام نائب قائد للفيلق الأمريكى الثانى ، فقال لى أحد معاونيه من الضباط : « لن ينقضى عام حتى ترى برادلى قائداً ذا ثلاثة نجوم ومتولياً قيادة عالية فى الميدان » .

وماذا تتوقع سوى أن ينظر كل ياور إلى قائده نظرة إعجاب ؟ فلم أزد على أن ابتسمت . ثم لقيت برادلى فى ذلك اليوم ، وكانت نيران العدو تنهال عليه فى طريق مكناسة ، فرأيت رجلا يكاد يكون طوله ست أقدام ، نحيلا طويل الساقين ، يحتذى حذاء الميدان ، ويرتدى سراويل ومعطفاً عسكريا قديماً . ولم أرَ ما يدل على رتبته العسكرية إلا نجمان على خوذته التى عانت ما عانت من تقلب الجو . وكان وجهه مجعداً بارز التقاطيع ، وعليه سمة البساطة ، وكانت عيناه الرماديتان الثابتتان ، تطلان فى رفق من وراء نظارتيه ، وفى صوته العالى كسائر أهل ميزورى ، لهجة رقيقة تنفى عنك أن تتوهم فى صاحبها ذلك الحزم الجبار الذى تنتحله .

وكان رأيى فى برادلى حينئذ أنه رجل ظريف ، ولكن تعوزه « الصفة » العسكرية التى يفرض وجودها فى كبار القواد .

على أن الغريب فى هذا القائد الساكن الروع ، الذى يشبه مدرساً فى مدرسة ، هو أنه أعجب شأناً من مونتجمرى البريطانى الذائع الصيت ، فى قدرته على أساليب القتال فى الميدان ، فلم يكد ينتصف شهر أبريل حتى كان عمر برادلى قائداً للفيلق الأمريكى الثانى ، ثم رقى فى يوليو إلى رتبة لفتنانت جنرال ، وفى أغسطس كانت براعته فى حركات الميدان قد أصبحت أسطورة ذائعة ، وصار ألوف من الضباط والجنود يتغنون بالثناء عليه . وأخيراً عينه الجنرال

أيزنهاور كبير قادة الجيوش البرية الأمريكية، فى حملة الغزو الوشيكة .

ولد برادلى فى سنة ١٨٩٣ بمدينة كلارك بولاية ميزورى ، وكان والده أستاذاً فى مدرسة ، وقد نفخ فى ولده حب السير على الأقدام، وكلبه وراءه وبندقيته بيده . ومات الوالد عنه وهو فى الثالثة عشرة ، فأشار أحد الأصدقاء بأن خير فرصة تتاح لفتى فقير يطمح إلى التعلم هو أن يلتحق بمدرسة «ويست بوينت» العسكرية ،فتخرج برادلى فى سنة ١٩١٥ وكان ترتيبه الرابع والأربعين فى فرقة مجموع تلاميذها مئة وأربعة وستون ومن هؤلاء ثلاثون أصبحوا فيما بعد قواداً (جنرالات) . ومنهم دوايت أيزنهاور، وكان ترتيبه الحادى والستين .

وكان برادلى من نوابغ فرقة لاعبى الكرة (بيس بول) التى بلغ ثمانية من أعضائها رتبة جنرال . ولا يزال إلى هذا اليوم يشارك الجنود حماستهم لهذه اللعبة ، ولا يتخلف عنها إلا لعذر قاهر ، على أنه أعرب عن اغتباطه بانتهاء سلسلة المباريات للبطولة الأميريكية فى هذه اللعبة سنة ١٩٤٣ قبل ميعاد انتهائها المألوف ، فتسنى للجنود الأمريكيين أن يوجهوا كل قواهم للحرب . وإلى هذا يرجع الفضل — على زعمه — فى تمكن الجنود من أن ينهوا الحرب فى صقلية بمثل تلك السرعة ، أكثر من رجوعه إلى حسن القيادة .

وقد قال أحد زملائه فى مدرسة ويست بوينت : « إن من أبرز صفات برادلى قدرته على إدراك ما يريد » . وانضم برادلى إلى سلاح المشاة ، وهو الآن « مدرك ما يريد » ، ولكن ذلك اقتضاه ربع قرن من الجهاد . وهو يقول : « قمت بكل عمل من أعمال الجيش ، وأنفقت خمساً وعشرين سنة أحاول أن أعلل لماذا لم أغادر سواحل الولايات المتحدة فى الحرب الماضية . والحمد لله على أننى لن احتاج إلى مثل ذلك هذه المرة » . ولما نشبت الحرب الحاضرة لم يكن برادلى قد سمع بعدُ طلقة رصاصة واحدة أطلقت فى موقعة حربية . وكان هناك ضباط كثيرون قد تمرسوا بالقتال ، فكان المنتظر أن يقدموا عليه .

والواقع أن عمر برادلى كان رجلا ممتازاً ، وقد أظهر نبوغاً فى الفنون العسكرية الاستراتيجية والتكتيكية ، فلم يكن بد من وصوله إلى قيادة عالية . وفى سنة ١٩٤١ رقاه الجنرال مرشال إلى رتبة « بريجادير جنرال » ، وعهد إليه أن يوسّع مدرسة فورت بننج للمشاة حتى تصبح معهداً كبيراً يكفى لتدريب أربعة عشر ألف ضابط مرة واحدة . فنجح برادلى نجاحاً باهراً ،

وأصاب أيضاً متعة عظيمة ، لوفرة فرص الصيد الحسن ، وكثيراً ما كان يرافقه فى الصيد أحد المجندين .

وأخذ رجال الجيش يلاحظون أن برادلى يتحلى بالصفات اللازمة لقيادة الجيوش . ففى شهر فبراير من عام ١٩٤٢ رقى إلى رتبة ماجور جنرال ، وعهد إليه فى تنظيم أول فرقة من الجيش تنقل بطريق الجو ، وهى الفرقة الثانية والثمانون .

وقع عليه الخيار ، دون عشرات من الضباط كانوا أعلى رتبة منه . فأرسل فى شهر فبراير سنة ١٩٤٣ إلى شمال إفريقية ، وكيلا للجنرال باتون . وفى شهر مايو من ذلك العام خلف رئيسه ، وقد أظهر من البراعة فى أساليب القتال وإحكام مواعيد الكر والفر فى ظروف عصيبة ما أدهش الألمان وأفضى إلى هزيمتهم . ومن أقواله المشهورة : « اضرب عدوك مرتين — المرة الأولى لترى ما عنده ، والمرة الثانية لتنتزع منه ما عنده » .

وتقرر ، فى شهر أبريل من ذلك العام ، نقل الفيلق الثانى الذى يقوده ، من جنوب تونس إلى مسافة مئتى ميل شمالا للقيام بهجوم مفاجئ على الألمان . وإن نقل خمسين ألف جندى ، وعشرة آلاف مركبة ومقادير عظيمة من العتاد ، مشكلة معقدة حتى فى زمن السلم . أما الآن فيجب نقل الفيلق ليلا لكيلا تراه طائرات الأعداء ، ومع ذلك فهو معرض للانكشاف على ضوء المشاعل التى يلقيها الألمان . وكانت الطرق التى يتعين على برادلى أن يسير فيها ، تقطع طرق تموين الجيش البريطانى الأول الممتدة من الشرق إلى الغرب ، وكان الجيش الأول حينئذ ، ملتحماً بجيش الجنرال فون أرنيم ، فلو سدت مركبات الجنرال برادلى تلك الطرق ولو بضع ساعات لكانت العاقبة وبالا .

ولكن برادلى نظم حركة نقل الجيش تنظيما دقيقاً روعيت فيه الثوانى ، فلم يدر العدو بشىء ، ولا انقطع نقل العتاد إلى الجيش البريطانى . وقبل البدء بتلك الحركة ، شوهد برادلى مراراً وهو يشرح خطته لصغار الضباط والجنود ، فكان يرسم خططه على الرمل بعيدان الشجر ، فبرادلى يرى أنه يجب أن يكون أكبر عدد من الأفراد فى كل جيش ملمين بما هو جار حولهم .

وحين شن هجومه المفاجئ على الألمان من موقعه الجديد ، لم يراع فى خطته الأساليب المتبعة المألوفة ، فبدلا من أن يشق طريقه فى الأودية حيث الطرق الممهدة (والجيوش الألمانية أيضاً) ، سار بجيشه على المرتفعات . وكان السير عظيم المشقة ، فلم يخطر للألمان أن أحداً يقدم عليه ،

ففجأهم مرة أخرى . وقد قال الجنرال برادلى فى تقريره الرسمى إلى الجنرال مارشال : « إن الهجوم على محاذاة المرتفعات كان ينطوى على صعاب هائلة فى التموين ، إلا أنه خفض عدد الإصابات ، ثم ثبت أنه أسرع طريق للالتفاف حول العدو » . ولم تكد تنقضى ستة أسابيع حتى هزّ برادلى الألمان هزة أخرى ، ذلك بأن مفتاح الحصون الألمانية فى بنزرت كان هو التل الصخرى الوعر المعروف برقم ٦٠٩ وهو أكمة يبلغ ارتفاعها ألفى قدم ، وتشرف على الأرض المحيطة بها فى مدى أميال كثيرة . وكانت حاميتها صفوة من فرقة هرمان جورنج ، وعهد فى حماية جناحيها إلى آلاى من جنود الهابطات (آلاى بارتنين) ، وقد استبسل هؤلاء فى الدفاع حتى لم يبق منهم سوى اثنين .

وحاولت الفرقة الرابعة والثلاثون أن تكتسح التل رقم ٦٠٩ فردّت ، وقد حاولت الفرقة الأولى من قبل أن تهجم على ذلك التل من الجهة اليمنى فصدّت . وكانت الفرقة الأولى المدرعة مرابطة فى الوادى ، ولا تستطيع التقدم إلا إذا تمّ الاستيلاء على قمة التل ، فركب برادلى سيارة « جيب » وتفقد الموقف ، ثم قضى بضع ساعات يدرس الخرائط .

كان يعلم أن الألمان قد سحبوا معظم المدافع المقاومة للدبابات جنوباً لمواجهة البريطانيين الذين يتهددونهم ، ولم تكن طبيعة الأرض تصلح لسير الدبابات ، ومع ذلك أرسل الجنرال برادلى عشر دبابات أمريكية من طراز شيرمان إلى ما وراء التل ٦٠٩ لإرهاق خطوط تموين الحماة ، وجعل إرسال هذه الدبابات فى نفس الوقت الذى تهجم فيه الفرقة الرابعة والثلاثون . واستعر القتال ، إلا أن التل سقط فى يد الأمريكيين ، ثم اندفعت الفرقة المدرعة . وبعد سبعة أيام تضعضع الجيش الألمانى كله ، واستسلمت جموع منه ، كانت خطة الجنرال برادلى قد فصلتها بعضها عن بعض . وسقط فى الفخ الذى نصبه لهم سبعة وثلاثون ألف أسير .

وأصدر الجنرال يومئذ أمراً عسكريا لم يزد فيه على أن قال : « هذه هى خاتمة الأعمال الحربية فى شمال إفريقية للفيلق الثانى الأمريكى » . أما رؤساء الجنرال فقد أشاروا فى التقارير التى أرسلوها إلى بعد نظره وفطنته ، وسلامة حكمه على الأمور ، وتفوق خططه الفنية ، وشجاعته المقرونة برباطة الجأش . وجاء فى الختام قولهم : « إن نجاح خطته نجاحاً بارزاً يعود على الأكثر إلى شخصيته وجهوده » . ومنح وسام الخدمة الممتازة .

وقلما أتيح لقادة الجيوش مثل هذا الانتصار العظيم بمثل هذه الخسارة القليلة (٣٥١ أمريكيا) و (٧٠ فرنسيا) ، وهذا هو السبب الذى من أجله سمى الجنرال برادلى « قائد المشاة » . أما سبب قلة الوفيات بين جنوده ، فلأنه فعل ما لم يفعله قائد من قبل ، وذلك أنه جعل المستشفيات وجماعات الإسعاف أقرب إلى ساحة القتال . ولم ينقذ هذا حياة الكثيرين وحسب ، بل عزز القوة المعنوية أيضاً .

قال أحد القواد الألمان الذين وقعوا فى الأسر فى معارك شمال إفريقية للجنرال برادلى : « إن من يحاربكم أيها الأمريكيون يحارب رجالا كراما » ، إلا أن الجنرال برادلى لم يبادله هذا الثناء . وقد روى وهو محنق كيف بث الألمان ألغاماً فى أماكن لا يمكن أن يقتل فيها إلا المدنيون كما نصبوا فخاخاً بين جثث القتلى من الأمريكيين . ومما قاله : « ليس الألمان أعداء كراما لأنهم أهل مكر وغدر » . ومن المشاهد المألوفة ، فى الأماكن التى يشتد فيها ضرب النار ، « جيب » الجنرال برادلى حاملا ثلاثة نجوم على عارضته الأمامية . ويقول رجاله عنه : « إنه يكون دائماً فى المقدمة » . ومقر قيادته (وهو خيمة أو مركبة مقطورة) أقرب إلى خط النار مما يجوز فى الحرب .

وقد نجا هذا القائد مراراً ولما يكد ، ففى إفريقية قتل مرة « ياوره » وكان واقفاً بجانبه ، وأطارت الشظايا البندقية التى كان يحملها الجنرال نفسه . وحدث مرة أنه تقدم إلى الأمام أكثر مما تقضى به الحكمة فأطلق الرصاص عليه أحد القناصة ، فوقف سائق السيارة فجأة ، وأخذ الجنرال برادلى يترصد القناص « ببندقية » . لقد نجا القناص ، ولكن القصة انتشرت بين الجنود الأمريكيين بأن الجنرال أخفق فى الفرصة الوحيدة التى أتيحت له لقتل ألمانى . وهم يتندرون بها لأن برادلى يفاخر بأنه رام ماهر ، وقد كان فى أيام إقامته « بفورت بننج » يذهب فى صباح كل يوم قبل الإفطار ليتمرن على إطلاق النار برمى رؤوس الحيات المائية فى مستنقع مجاور .

وقد اشتهر الجنرال برادلى بدماثة الأخلاق والإنصاف . قال مرة : « لا أعرف رجلا على شىء من القوة يرى ضرورة فى رفع صوته » . وهو القائد الوحيد الذى سمعته يقول لأنباشى : « عفواً » . على أن أحدهم سمعه يحتد مرة وكان يستجوب ضابطاً أسيراً ألمانيا ، وإذا برصاصة تنطلق عفواً من بندقية ياور فمرت على مقربة من أذنه ، فصاح برادلى محنقاً : « كن حذراً فى استعمال هذه اللعبة اللعينة ، من فضلك » .

وطلب ليلة ، وهو فى الميدان ، مجرفة ليسوى الأرض ويقيم عليها سريره ، فتقدم الياور ليقوم بذلك العمل فقال له الجنرال : « إن الذى سينام هنا هو أنا لا أنت » . ثم مضى فى عمله بالمجرفة . وكلما هم أحد صغار الضباط بحمل كيسه يقول له : « دع عنك هذا ، إننى أحمل هذا الكيس منذ سنوات » .

والجنرال برادلى يعمل فى صمت تام . ذهب إليه ذات يوم جندى برتبة « أنباشى » واشتكى إليه أنه لم يرق بعد إلى رتبة « شاويش » ، مع أن ميعاد ترقيته قد فات . فطرح عليه الجنرال عدة أسئلة فى قوانين الجيش ، فلم يستطع الجندى أن يجيب . فاستدعى الجنرال « شاويشاً » وألقى عليه تلك الأسئلة عينها ، فأجاب « الشاويش » عنها أجوبة صحيحة . فانصرف « الأنباشى » وقد أدرك لماذا لم يرق إلى رتبة « شاويش » .

وللجنرال برادلى شهوتان : إدمانه مشروب الكوكا كولا (وهو من المرطبات الأمريكية المنعشة) ، وحبه للمثلوجات (الجيلاتة) ، وهو يستنفد منها ما يعجز عن استنفاده أى رجل فى الجيش . أما لعبة « البوكر » و « البريدج » فليستا من نقائصه ، بل هما من مزاياه كما علم أعداؤه .

قال له « إرنى بايل » مرة : إنه لا يستطيع أن يكون قائداً يصدر قرارات يرسل بها الجنود إلى حتف محتوم . فصمت الجنرال برادلى هنيهة ثم قال : « صحيح إنك لا تستطيع أن تنام نوماً هنيئاً على إثر قرار كهذا ، ولعله أشد وقعاً فى نفوس صغار الضباط منه فى نفسى . ولكنى منذ خمس وعشرين سنة وأنا أعوِّد نفسى إرسال الجنود إلى حتوفهم دون أن أجنّ » .

والجنود يعلمون أنه إذا أرسلهم إلى حتوفهم فلأن الضرورة تدعو إلى ذلك . وهم يقسمون بحياته ، ويقولون إنه أمين مخلص لعمله ، لا يأوى إلى سريره إلا ويفكر كيف يستطيع تسهيل مهمتهم .

وقد ثبت لهم منذ زمن بعيد ، أنه متصف بكل ما تقتضيه الحرب .

● جلس عمر بن عبد العزيز (أمير المؤمنين) ليلة وعنده قوم فى بعض ما يحتاج إليه من شؤون الخلافة ، فغشى سراجُه ، فقام إليه فأصلحه . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! ألا نكفيك ! فقال : ما ضرّنى ؟ قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

مكاتب أمريكي يطرح على مواطنيه هذا السؤال :

ما مستقبل أمريكا في آسيا ؟

ملخصة عن مجلة " ستر داى إيفننج بوست "

ديمارى بيس

مراسلها في الصين لمدة عشر سنوات ومؤلف « البحث عن ذهب السوفييت » بالاشتراك مع جون د . ليتلبيج

مستقبل المحيط الهادى ومنطقته أهم لعل للولايات المتحدة مباشرة مما عسى أن يحدث بعد الحرب فى بولندا أو يوغوسلافيا ، أو فرنسا أو اليونان .

وسيدبر الأوربيون أمورهم بمعونة أو بغير معونة منا بعد الحرب . وقد أوضح ذلك فى الشهور الأخيرة، الروسيون والفرنسيون والبريطانيون والهولنديون والبلجيكيون وبقية الآخرين . وأكبر حلفائنا — وهم البريطانيون والروس — معنيون مباشرة بمستقبل أوربا أكثر من الأمريكيين ، ومن أجل هذا ارتبطوا فى أوربا بما لا نزال نتردد فيه .

ولكن الأمر على خلاف ذلك فى المحيط الهادى ، فقد أخذت أمريكا فيه على عاتقها عهودا جسيمة دائمة . وقد تقبلنا المسئولية عن إقامة نظام بعد الحرب فى آسيا بعد أن يزول اليابان كدولة عسكرية .

وقد حاول مؤتمر القاهرة أن يجلو الأمر لنا فى هذه النقطة ، فنص على أن اليابانيين سيجردون من كل الممتلكات الإمبراطورية ، ويُردون إلى جزرهم المزدحمة — وعدتهم فيها ٧٣,٠٠٠,٠٠٠ — وأن تنال كوريا الاستقلال ، والمفهوم أن الصين لن تبقى كما هى فقط بل تتسع رقعتها أيضاً .

ولكن من الذى سيلزم اليابانيين أن يبقوا فى جزرهم ؟ ومن الذى سيضمن استقلال كوريا ، بينما يعد الكوريون الضعاف القليلو الخبرة أنفسهم للحكم الذاتى ؟ ومن سيستوثق من المحافظة على كيان الأرض الصينية ؟

لقد بنى مؤتمر القاهرة مشروعه كله فى الشرق الأقصى على افتراض أن الصين إحدى دول العالم الأربع الكبرى . وقد عشت فى الصين عشر سنين ، وأنا أعلم أن الشعب الصينى شعب عظيم ، ولكنى أعلم أيضاً أن

الأمة الصينية ليس لها من خصائص الدولة الكبرى إلا القليل ، إذا كان لها شيء من ذلك . وليس بالصين جيش حديث ولا أسطول ولا سلاح جوى ، وليس عندها صناعات ثقيلة ، وصناعاتها الخفيفة قليلة ، ويظهر أنه ينقصها كثير من الموارد الطبيعية مثل الفحم والحديد والزيت ، وهى لازمة لإقامة دولة صناعية حديثة ، أما مواردها المحتملة فى وجوه أخرى فمبالغ فيها .

وأقل من عشرة فى المئة من أهل الصين يقرءون ويكتبون ، وزراعتها بدائية ، ولا يكاد يكون فيها غابات ، أو قوة مائية مستثمرة ، وضبطها لفيضان أنهرها غير واف بالحاجة ، حتى إن الفيضانات تحدث مجاعات فى مناطق واسعة كل بضعة أعوام ، وطرقها وسككها الحديدية قليلة ومتباعدة.

يضاف إلى ذلك أن الأمة الصينية غير متحدة إلا على مقاومتها لليابان . وقد استطاع شيانج كاى شيك أن يوجد هدنة قلقة مع الشيوعيين الصينيين ، ولكنه ليس ثم مايكفل أن لا تتجدد الحروب الأهلية متى زال الضغط اليابانى .

وقد كتب حديثاً ، أرنست لندلى ، وهو صحفى فى وشنطون على اتصال وثيق بالبيت الأبيض يقول : « لقد كان المستر روزفلت دائماً يذهب إلى (١) وجوب معاملة الصين كدولة من الطبقة الأولى لمنع الحرب فى منطقة المحيط الهادى من التطور إلى حرب بين البيض والشعوب الملونة و(٢) أن الصين ستكون فى مدى جيل أو جيلين دولة من الطبقة الأولى . وهذه سياسة بعيدة النظر».

وأنا أجترئ على القول بأن النظر فى هذه السياسة أبعد مما ينبغى أن يكون ، إذ ماذا ترى سيحدث فى هذا « الجيل أو الجيلين » قبل أن تستطيع الصين أن تبلغ مرتبة دولة من الطبقة الأولى ؟ إن من الخطأ الشديد ستر الحقائق الحالية عن الصين ، لأن ذلك يوهم الأمريكيين أن كل ما علينا فى الشرق الأقصى هو أن نهزم اليابان ، فيسعنا حينئذ أن ننفض يدنا من الأمر كله وندعه لأصدقائنا الصينيين . وهذا خطأ ، لأنه لا يساعدنا على أن ندرك الكنه الصحيح لتعهداتنا التى ارتبطنا بها فى آسيا ، ومؤدى ذلك أن نعجز عن النهوض بهذه التبعات .

إن التبعات التى توليناها فى منطقة المحيط الهادى ضرب من التدابير السياسية القائمة على القوة ، لأن نظام ما بعد الحرب الذى وضع مشروعه فى مؤتمر القاهرة قائم على هذا . وقد تعهدت الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية بأن تكفلا مستقبل الأمم الأسيوية العزلاء نسبيا ، وهو تعهد منوط فى الوقت الحاضر بالقوة الحربية

الأمريكية والبريطانية فقط ، وقد أرجأت روسيا بيان موقفها فى آسيا إلى أن تنتهى الحرب فى أوربا .

ونحن نأمل أن نرى روسيا السوفيتية والإمبراطورية البريطانية تتعاونان تعاوناً قلبيا صادقاً معنا على احترام كيان الصين وإلزام اليابانيين البقاء فى جزرهم ، والأخذ بيد كوريا فى فترة من الوصاية تنتهى بالاستقلال ، ولكنه يحسن أن نتذكر أننا كنا أيضاً فى سنة ١٩٢٢ نرجو أن نكون قد أقررنا أمور الشرق الأقصى فى مؤتمر وشنطون على قاعدة ثابتة حين أقنعنا اليابان بالانضمام إلى معاهدة الدول التسع ، وأن لاتنتهك حرمة الأرض الصينية. وقد أخطأنا يومئذ فى اعتقادنا أن هذا الاتفاق لا يحوج إلى استعمال القوة الحربية الأمريكية ، بل لقد خفضنا قوتنا الحربية فى المحيط الهادئ على الرغم من أنها لم تكن كافية .

ولن يكون غيرنا جديراً باللوم إذا وقعنا فى هذا الخطأ مرة أخرى ، فإن اليابانيين — مهما تهزمهم أو تجردهم من السلاح — أمة حربية ، وأبرع فى فن الحرب من الصينيين . ولما كانت الصين ستخرج من الحرب الحالية مهدودة لاقدرة لها على دفاع ، فإن مشروع نظامنا بعد الحرب لا يمكن تحقيقه إلا باتفاق وثيق بين الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية، والإمبراطورية البريطانية وهذا النظام ، آخر الأمر ، لا يمكن أن يكفل إلا إذا كان الشعب الأمريكى مستعدا أن يؤيد بقاء وحدات عسكرية وبحرية قوية فى المحيط الهادى إلى أجل غير مسمى .

وهذه المواثيق الأسيوية التى أخذنا على عاتقنا إمضاءها، ليست حديثة كما يتوهم بعض الأمريكيين ، وتاريخها لا يرجع إلى مؤتمر القاهرة بل إلى بداية هذا القرن حين سبقت الولايات المتحدة الأمم الأخرى إلى انتهاج سياسة الباب المفتوح فى الصين ، واقتنعت الأمم الأوربية الاستعمارية بإقرار هذه السياسة ، وموافقتنا على وجوب احترام كيان الأرض الصينية .

ولكنا تعلمنا حينئذ أن مثل هذه الاتفاقات لا يمكن أن ينفذ إلا بالقوة العسكرية ، وهو ما كانت الأمة الأمريكية غير مستعدة له . وفى خلال فتنة « البوكسر » فى سنة ١٩٠٠ احتلت عدة أمم رقعاً شتى من الصين ، ثم أهملت روسيا القيصرية تعهدها بالانسحاب من منشوريا ، وزادت فضغطت الحكومة الصينية الضعيفة ونالت منها امتيازات إضافية. ولما تهربت روسيا من احتجاجات الرئيس تيودور روزفلت القوية، قال وزير خارجيتنا — جون هيز — بلهجة الأسف : « أحسب أن روسيا تعرف أننا لن نحاربها

من أجل منشــوريا لسبب بســيط هو أن هذا ليس فى مقدورنا » .

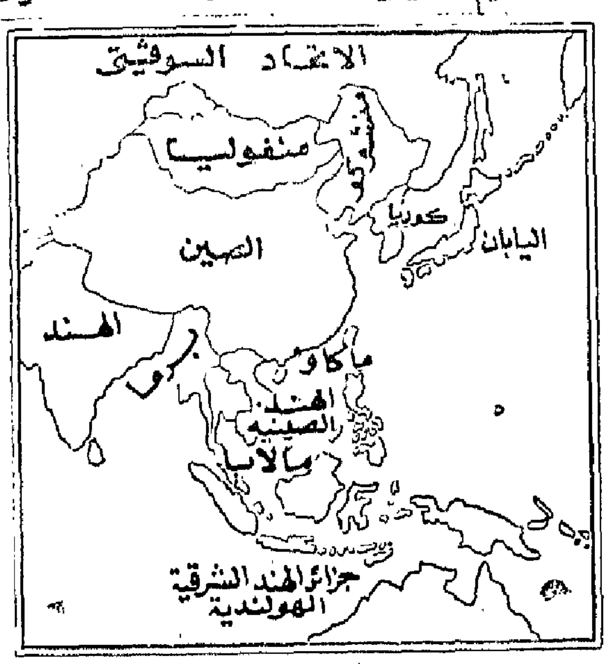
على أن دولة واحدة كانت مستعدة أن تحارب روسيا من أجل منشوريا ، وهـذه الدولة هى اليابان فى سنة ١٩٠٤ ، غـير أن انتصار اليابان لم يزد على أن أحلّ العدوان اليابانى محل العدوان الروسى ، وبعــد ٢٧ عاماً ضم اليـابانيون منشــوريا فى الواقع ، واقتصرت حكومة الولايات المتحــدة على الاحتجاج ورفض الاعتراف بمملكة منشوكو الصورية ، لأن الشعب الأمريكى لم يكن أكثر اسـتعداداً لمحاربة اليابان فى سنة ١٩٣١ مما كان لمحاربة روسيا لنفس السبب فى سنة ١٩٠٢ ، ولقد تعهدنا بأن نؤيد ونكفل كيان الصين ، ولـكنا أبينا أن نزود أنفسنا بالقوة العسكرية التى صار تعهدنا بدونها لا معنى له .

ولو كانت الصين أمة متحدة حقا فى سنة ١٩٣١ لـكان الصينيون قد نبذوا كل شئ آخر ليتسنى لهم أن يقـاوموا العدوان اليابانى ، ولـكنهم بدلا من ذلك بددوا قوتهم فى حروب أهلية عقيمة بين شيانج كاى شيك والشيوعيين الصينيين .

وهذا كله ماء فوق الخزان ، ولولا أن له أثراً مباشراً فى المستقبل القريب لمـا كان فى ذكـره فائدة ، والشعب الصينى العظيم يطرق الآن ببطء على سندان الحرب لتكون منه أمة ، غير أنه لا ينبغى أن يعمينا العطف على الصينيين — بالغاً ما بلغ — عن الحقيقة الواقعة وهى أن الصين ليست دولة كبرى ، وأنها لا يمكن أن تصبح كذلك قبل « جيل أو جيلين » على الأقل . وفى خلال ذلك يكون على الشعب الأمريكى بمقتضى تعهده ، سواء أكان يدرك ذلك أم لا يدركه ، أن يكفل كيان الأراضى الصينية ويدفع عنها كل عدوان .

وهكذا صرنا عاملا كبيراً فى سـياسة التوازن فى الشرق الأقصى ، وذلك بالمحافظة على الصين كورقة كبرى . وليس فى وسعنا أن نضطلع بما تعهدنا به فى ظل السلام إلا بالاحتفاظ بعلاقات دقيقة جداً مع الاستعماريين الأوربيين وبروسيا السوفيتية القوية وبالأمة الصينية .

ولروسيا منطقة نفوذ طبيعية فى كل هذه الأقاليم الأسيوية الواسعة التى تتاخمها — كوريا



ومنشوريا ومنغوليا والتركستان الصينية ، ومعروف أن الحكومة الصينية الحالية لم تستطع قط أن تسيطر سيطرة تامة على هذه الأقاليم ، التى كان يتحكم فيها فى السنوات الأخيرة روسيا أو اليابان . فهزيمة اليابان يكون معناها أن كثيراً من هذه الأقاليم الواسعة الغنية تصبح « فراغاً سياسياً » ، ومن المحقق أن الروسيين سيستخدمون نفوذهم بالقدر اللازم للمحافظة على مصالحهم.

وللإمبراطورية البريطانية أيضاً مصالح فى آسيا أوضح من مصالحنا ، وستسيطر بعد هذه الحرب ، كما فعلت من قبل ، على موارد الهند وبرما وملايا الغنية ، وستؤيدها بطبيعة الحال الدول الأوربية الأخرى ذات الممتلكات فى الشرق الأقصى — هولندا فى جزر الهند الشرقية ، وفرنسا فى الصين الهندية ، والبرتغال فى مكاو .

فهل الشعب الأمريكى مستعد أن يدفع الثمن الذى تتطلبه تعهداتنا وارتباطاتنا ؟ كلا ، على التحقيق ، إذا ظللنا نجهل هذا الثمن ما هو ، وكلا على التحقيق إذا تركنا سياستنا فى المحيط الهادى تنقلب كرة فى ميدان السياسة الداخلية ، فتدفعها إلى هذه الناحية أو تلك طوائف تصدر عن وحى العاطفة ، وليس لها رأى جلى فى أهدافنا الرئيسية ، أو فى حدود طاقتنا نحن .

مثال ذلك أنه ليس لنا أن نتوقع أن تقوم الدول الأوربية عنا بدورنا ، إذا جعلنا همنا أن نضعف قبضتها على ممتلكاتها فى الشرق الأقصى . وليس فى وسعنا أن نتكفل بتحرير الهند من البريطانيين ، وجزر الهند الشرقية من الهولنديين ، وأن ننتظر مع ذلك من البريطانيين والهولنديين أن يعاونونا على الاحتفاظ بالتوازن الدولى فى آسيا . وكذلك ليس لنا أن ننتظر من روسيا أن تؤيد نظاماً فى الصين يشن حرباً على الشيوعيين الصينيين ، كما فعل نظام شيانج كاى شيك فى الماضى ، وكما ينذر بأن يفعل فى المستقبل .

إن السلم فى المحيط الهادى بعد هزيمة اليابان ستكون سلماً قلقة جدًّا ، ولا سبيل إلى الاحتفاظ بالسلام إلا بأدق فهم وأعظم حلم وصبر من جميع من يعنيهم الأمر ، وسيتطلب نصيب أمريكا من هذا السلام مستوى عالياً من الاقتدار السياسى ، واحتفاظاً بقوة أمريكية عسكرية وبحرية إلى أجل غير مسمى .

ليس فى الدنيا أشياء لاتستحق المبالاة ، إنما هناك أناس كثيرون لايبالون .

[ج . ك . تشسترتون]

علموا أولادكم الحياة

خيارة فى زجاجة

عند ما كنت فى العاشرة من عمرى أرانى والدى خيارة فى زجاجة . وكان عنق الزجاجة من الضيق بحيث لا يمكن أن تنفذ منه خيارة بهذا الحجم الكبير . وسألت والدى : كيف نفذت إلى جوف الزجاجة ! فتناول والدى زجاجة وقادنى إلى الحديقة ، فرأيته ، وأنا شديد التطلع ، يدخل خيارة صغيرة عالقة بفرعها فى جوف الزجاجة . وعندئذ فهمت أن الخيارة نمت وهى فى جوف الزجاجة .

والتفت والدى إلى وقال : « كثيراً ما أرى يا بنى من عادات الناس ما يجعلنى أعجب كيف يطيق شخص عاقل أن يعتادها ، وأغلب ظنى أن هذه العادات تنمو فيهم كما تنمو الخيارة فى جوف الزجاجة فلا يستطيعون الخلاص منها ، فاحذر يا بنى مثل هذه العادات » .

ولم أنس إلى اليوم تلك الكلمات .

[س . و . بولوك]

بعد دقيقة

كنت فى طفولتى أتلكأ فى إجابة والدتى إذا نادتنى وأنا ألعب أو أقرأ ، وكنت أجيب : « بعد دقيقة » ولكن الدقيقة كانت تطول إلى دقائق .

وذات يوم علقت والدتى وجه ساعة من الورق المقوى على الحائط ، وكان له عقرب واحد جعلته والدتى يشير إلى الساعة الثانية عشرة ، وقالت لى إنها ستحرك العقرب إلى الأمام بقدر عدد الدقائق التى أتلكأ إذا ما نادتنى . وفى المساء كانت ترى مجموع هذه الدقائق وتستقطعها من وقتى ليلا ، فكان لزاماً علىّ أن أذهب إلى مخدعى مبكراً بقدر عدد هذه الدقائق .

وقد أسقطت من كلامى عبارة « بعد دقيقة » بعد أن اضطررت عدة مرات إلى أن أترك اجتماع الأسرة بعد العشاء ، وأن أذهب إلى مخدعى . وتعلمت المبادرة .

[آلن بتنام]

وفاء الجميل

كان أخى وزوجه ينفحان ولديهما بشىء من النقود إذا قاما لهما بعمل . وأخذ الولدان مع الزمن ينتظران أن يدفع لهما شىء عن كل ما يعملانه . وفى صبيحة يوم أحد وجد الوالد فى طبق فطوره قائمتين جاء فى الأولى :

الوالد مدين لهبرن

لكنس مماشى الحديقة ...	١٠	سنتات
للتمرين الموسيقى	٣٥	سنتاً
لنقل رسالة لوالدتى	١٠	سنتات
لتنظيف أسنانى	٢٥	سنتاً
لحصولى على علامة جيد + فى الحساب	٢٥	سنتاً
	١,٠٥	

وأنا فى حاجة إلى بطارية . «هبرن»

وجاء فى الثانية :

الوالد مدين لوالت

لمسح حذاء الوالد	١٥	سنتاً
لمسح حذائى	١٥	سنتاً
لأكلى الجزر	٢٥	سنتاً
لتلقى دروس القيثارة ...	٥٠	سنتاً
لتنظيف أظافرى	١٥	سنتاً
	١,٢٠	

وأريد مبراة . « والت »

فلم يقل أخى ولا زوجه شيئاً . وفى اليوم التالى ساعة العشاء وجد الولدان النقود المطلوبة مطوية بعناية فى قائمتى الحساب ، ومعهما ورقة أخرى جاء فيها :

هبرن ووالت مدينان للوالد والوالدة :

للعطف والرعاية والبيت ... ... لا شئ

للطعام واللباس ... ... لا شئ

للمدرسة والكتب ودروس الموسيقى لا شئ

لمخيمات الكشافة واللعب ... ... لا شئ

للدراجات ومشاهدة الصور المتحركة لا شئ

إننا نعطى لأننا نحبكم

« والداكم »

ولأول مرة فهم هبرن ووالت معنى كلمتى « الشكر » و « التعاون » .

[ب . إ . سميث]

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

● أصيبت سيدة بشلل الأطفال فى حداثتها إصابة شديدة ، فقال لها صديق يعطف عليها ويحاول أن يلطف كربها : « إن المحنة تلوّن الحياة » . فردت على الفور « وأنا أنوى أن أختار اللون » . [هارى إمرسون فزديك]

● كانت العبارة التالية شعار الكاتب جون جالزورذى ومبدأ حياته ، وقد كتبها على لوحة أقامها أمامه على مكتبه : سأسلك طريق هذه الدنيا مرة واحدة ، فكل خير أستطيع أن أصنعه ، وكل يد أستطيع أن أسديها لإنسان أو لحيوان أبكم ، فلأصنعه الآن ، ولأمتنع عن إرجائه أو إهماله ، لأننى لن أسلك هذا الطريق إلا مرة واحدة . [كتاب « رجال يستحقون الذكر »]

مولود مشوّه ... أمر موته أو حياته بيد الطبيب ...

لمن الحكم ؟

فردريك لوميس
الدكتور فى الطب وطبيب امراض النساء والولادة المعروف

ملخصة عن كتاب "كونسلتيشن روم"

مهما يكن شعور الأطباء فى بعض الأحوال حيال المحاولة الدائبة لجعلهم قضاة الموت والحياة ، فهم ولهم العذر يستنكرون هذه المحاولة ويتقونها . إن عبء التبعات الملقاة على كواهلنا ثقيل لا يحتمل هذه الزيادة ، وأنا نفسى أرى من واجبى أن أصون الحياة ، وأن أدرأ الموت عن المريض بكل ما أستطيع من قوة ، واضعاً نصب عينى دائماً أنه لا مجال لليأس مادامت الحياة . ولكنى لم أنج كسائر الأطباء من هذا المشكل ولا من هذا الإغراء .

وفدت علىّ فى عيادتى ذات يوم شابة نحيلة تتوقع ميلاد طفلها البكر ، ولم يكن تاريخ حالتها النفسية باعثاً على الرضا ، وإن كانت متحدرة من أسرة طيبة ، فقوّيت من عزيمتها ما استطعت ، ولم أتمالك على مرّ الزمن عن الإعجاب بالجهد الذى بذلته لتروض نفسها على الصبر والطمأنينة ، وتسيطر على نزوات أعصابها .

وانجلى فحصها الدورى قبيل موعد ولادتها بشهر عن أن الجنين سينزل منكوساً (برجليه قبل رأسه) . والعادة أن يثوى رأس الجنين فى الجزء الأسفل من الرحم قبل مولده بعدة شهور ، والطفل الذى يلفى منكوساً فى شهر الحمل الأخير — وهو نادر — كثيراً ما يستعيد وضعه الطبيعى بحيث يتجه الرأس إلى أسفل عند ما يتهيأ الجنين للميلاد . وكذلك نجد من بين كل ٢٥ ولادة جنيناً واحداً يولد منكوساً .

ومن حسن الحظ أنه كذلك ، فمعدل الوفيات فى الأجنة المتحدرين بالأعجاز أعلى منه فى الأجنة المنحدرين بالرؤوس ، ومردّ ذلك إلى الصعوبة التى تعانى فى إخراج الرأس المتخلف ، والحاجة الماسة إلى إخراجه بسرعة عقب خروج الجسد ، إذ يحشر الحبل السرى فى هذه اللحظة بين رأس الجنين الصلب والحوض العظمى للأم ، فإذا ما انقطع معين الأكسجين عن دم الجنين مات حتما فى بضع دقائق ، فإذا كان بكر أمه كان الحرج أبلغ .

وفى حالة هذه الوالدة الشابة كان «حتما» أن ينزل الجنين منكوساً ، فقد كانت سيقانه وأقدامه مطوية تحته كالجالس القرفصاء .

وأقسى ما يعانيه الطبيب فى إخراج الجنين المنكوس هو تنحية يديه عن العمل حتى تنتهى قوى الميلاد الطبيعية من إتمام توسيع أنسجة الأم المنقبضة التى تعوق الولادة . ولقد صبرت غاية ما وسعنى الصبر ، وأنا أبعث برسائل متوالية إلى الأسرة القلقة التى تنتظر بالباب .

وأخيراً آن الأوان فجذبت إحدى القدمين جذباً رفيقاً ، ثم جذبت الأخرى ولكنها لسبب لم أتبينه لم تهبط إلى مستوى أختها ، فأعدت جذبها بلطف ، واستعنت بالممرضة تضغط ضغطاً هيناً على بطن الأم . فهبط جسم الجنين قليلا ، وهالنى أن هذه القدم لن تكون فى مستوى أختها أبداً ، فقد كان الفخذ كله من الحوض إلى الركبة معدوماً ، فهذه القدم لن تصل حتى إلى مستوى الركبة المقابلة . وكان على هذه الأنثى الوليد أن تعانى طول حياتها هذه الآفة التى لم يعرض لى مثلها من قبل ولا من بعد .

وتلا ذلك أقسى ما قام بينى وبين نفسى من نضال ، فقد أدركت أى أثر مروّع سوف يتركه الأمر فى أعصاب الأم المتداعية ، وشعرت عن يقين أن الأسرة سوف تفنى أموالها فى زيارة كل طبيب معروف من أطباء العظام يستطيع أن يمد لها شعاعاً من الأمل .

وخيل إلى أنى أرى فوق كل شىء هذه المولودة وقد شبت بنية تجلس وحيدة محزونة ، على حين يكون لداتها مستسلمات للضحك ، والرقص ، والركض ، واللعب . فأدركت بغتة أن ثمة شيئاً يستطيع أن يمحو كل هذه الكروب إلا واحداً ، وأنى على هذا الشىء قدير .

من كل عشرة أجنة تولد منكوسة يموت واحد أثناء الميلاد ، لأنه لا يولد بالسرعة الكافية . والآن — ماذا يضير لو تمهلت فحسب ! لو رضت يدى على البطء ، لو أرغمت نفسى فأطلت تلك اللحظات القصار ؟ إنها لن تكون ولادة سهلة على أية حال ، ولن يعرف مخلوق ما صنعت ، ولعل الأم يسرها ، بعد انقضاء صدمة الحزن الأولى ، أنها فقدت طفلا مشوها هذا التشويه المحزن .

وهمس لى من ضميرى هامس : «لا تسلط عليهم هذا العذاب . . . إن هذه المولودة لم تتنفس نفساً واحداً ، فلا تدعها تفعل . . . وكأنى بك لن تستطيع أن تخرجها فى الوقت المناسب على أية حال . . فلا تتعجل !»

وأومأت إلى الممرضة أن تحضر الفوطة المعقمة الدافئة التى تجهز لى عادة فى كل ولادة منكوسة ، فالصق بها جسد الجنين ،

حتى لا يحدث مسّ الهواء البارد تنبيهاً له يتفتح له صـدره فجأة ، فيستنشق النخط (ماء المشيمة) أو المخاط ، وأحـدهما أو كلاهما ربما يقضى عليه .

ولـكن لم يكن للفوطة عمل فى هـذه المرة إلا أن تخفى ما رأته عيناى دون أعين الناس ، فقد كنت حزمت أمرى على قرار .

نظرت إلى الساعة فإذا ثلاث من الدقائق السبع أو الثمانى المقررة قد بقيت ، وكل عين فى الغرفة شاخصة إلىّ . لقـد شهدنى أولئك الممرضات أولد عشرات من الأطفال الذين يولدون أنكاسا بنجاح . أجل ، وقد شهدننى أخفق كذلك ، وسيريننى أخفق الآن كرة أخرى . ولأول مرة فى حياتى الطبية رأيتنى أتنكب ما تعلمت أنه حق ، لأفعل ما أيقنت أنه من الخير أن يكون .

ودسست يدى تحت الفوطة أجس نبض الجنين فى حبله السرى ، وهو الدليل الوثيق على حاله ، فأدركت أن دقيقتين أو ثلاثاً فيها الـكفاية . ولـكى أبدو كأننى أعمل عملا ما ، جذبت الطفل قليلا أحاول أن أبسط ذراعيه ، وهى الخطوة التالية فى مثل هذه الولادة . وعندئذ تحركت القـدم السليمة الوردية فخرجت من الفوطة الواقيـة ، فمست بقوة يدى التى اؤتمنت على حياة الأم وحياة الجنين . ثم اختلج الجسد فجأة ، اختلاجة الإحسـاس بالقوة والحيـاة .

وكبر على الأمر فلم أقوَ عليه ، فتقبّلت الطفـلة ذات الساق القصيرة الباعثـة على الشفقة ، ثم أنبأت الأسرة نبأها ، وفى اليوم التالى أخبرت الأم وصوتى يتهدج .

وكان كل ما خفت أن يكون ، فقد بقيت الأم عليـلة فى أحد المستشفيات شهوراً ، وهزلت حتى أصبحت كالشبح ، وبعد ذلك أخـذت أسمع عن الأسرة من طريق غير مباشر بين الحين والحين ، فقـد ذهبوا بالطفلة إلى روشستر بمينيسوتا ، وذهبوا بها إلى شيكاجو وبوسـطن ، ثم فقدت آثارهم فى النهـاية .

وطفقت على الأيام ألوم نفسى لوماً قاسياً على أنى لم أكن من القوة بحيث أستسلم لمـا كان يغرينى .

* * *

كان من عادة المستشفى الذى أعمل فيه أن يحتفل بعيد الميلاد احتفالا رائعاً يدعى إليه جميع موظفيه وممرضاته وأطبائه ، وكان حفل العام المـاضى بديعاً بنوع خاص .

وحيـن بدأ الأرغن يعزف الأنغام الأولى لأنشودة قـديمة ، تهـادى إلى حجرة الاحتفـال عشرون ممرضة يرتدين كامل كساهن ، وكل منهن رافعة بيدها شمعة موقدة ، وترتل أنشودة معروفة من

أناشيد عيد الميلاد بصوت رخيم .

ثم هبط على المسرح ضوء غامر أزرق أخذ يغشى شجرة الميلاد المفضضة فيضفى عليها بهاء يزداد لألاؤه ، حتى بدت كل حلية عليها كأنها تتوهج . وارتفع ستار فى الجانب الآخر من المسرح فإذا ثلاث موسيقيات فاتنات يتألقن فى ثيابهن البيض ، ويعزفن مع الأرغن ، إحداهن على قيثارة ، والثانية على « تشلو » والثالثة على كمان ، وإنى لواثق أنى لم أكن يومئذ الوحيد الذى اغرورقت عيناه بالدموع .

لقد كنت دائماً أحب القيثارة ، وأحب أن أرقب رشاقة العازف الماهر عليها ، ولكنى فتنت فتنة بهذه الصبية تعزف على قيثارتها ، فقد بلغ عزفها من الجودة مبلغاً عظيما ، فكأنها كانت تعشقها ، وكانت أناملها الرقيقة تنساب انسياباً على الأوتار . وبينما كان الممرضات يغنين كان وجهها الذى نضرت جماله هالة من الشعر العسلى ، يولى شطر السماء ، كأنما الدنيا فى هذه الساعة مكان قدسى بديع .

وبقيت بعد انتهاء العرض القصير لأهنىء رئيسة الممرضات بنجاح الاحتفال . وبينا كنت جالساً وحدى ، رأيت امرأة لا أعرفها مقبلة تهرول وتبسط يديها إلىّ صائحة : « ولىّ . . . لقد رأيتها ، ولا بد أنك عرفت فيها الطفلة التى أخرجتها بيديك . إن هذه العازفة على القيثارة هى ابنتى ، وقد رأيتك تطيل النظر إليها . . . ألا تذكرنى ؟ ألا تذكر طفلة ولدت بساق سليمة واحدة منذ سبعة عشر عاما ؟ لقد اتخذت الآن ساقاً صناعية . حاولنا كل شىء فى البداية ، ولكنك لا تستطيع أن تتبين الساق الصناعية . . . أليس كذلك ؟.. إنها تمشى بها وتعوم ، بل تستطيع أن ترقص أيضاً .

« ولكن خيراً من هذا كله أنها تعلمت خلال هذه السنوات ، أيام كانت عاجزة عن القيام بشىء من هذا ، أن تستعمل أناملها هذا الاستعمال البديع ، وستصبح عازفة عظيمة على القيثارة ، وستدخل الجامعة هذا العام عند ما تكمل السابعة عشرة . إنها حياتى كلها الآن ، وإنها لسعيدة ، وتلك هى » .

وبينا نحن نتكلم أقبلت الصبية الحسناء تتهادى وعيناها تتألقان .

قالت أمها بصوت مضطرب : « هذا أول أطبائك يا عزيزتى ... هذا طبيبنا » . ورأيتها تطوى مثلى سنين الأسى طيًّا لتعود إلى ذلك اليوم الذى أنذرتها فيه بما ستواجهه من المحن .

واندفعت اندفاعاً فاحتضنت الطفلة ، ومن فوق كتفها الصغيرة الدافئة خيل إلى أنى أرى ساعة غرفة الولادة تزحف عقاربها

منذ سبعة عشر عاما ، وأنى أرجع القهقرى فأحيي تلك الدقائق المروّعة التى كانت حياتها فيها بين يدى ، والتى اعتزمت فيها قتلها عامداً . ونحيتها وأنا لا أزال ممسكا بها ، وتطلعت إليها وأنا أقول :

« لن تعلمي أيتها العزيزة ، ولن يعلم مخلوق ما أجد فى نفسى هذه الليلة . تكرمي فعودى إلى قيثارتك لحظة ، واعزفى لى وحدى ، فإنى أحمل عبئاً لم يحمله قط إنسان ، عبئاً أنت وحدك القادرة على أن ترفعيه عن كاهلى » .

وجلست أمها بجوارى ، ووضعت يدها على يدى بهدوء ، وابنتها تعزف ، ولعلها أدركت ما كان يجول بخاطرى ، فلما أشرف اللحن على نهايته خيل إلى أنى وجدت الجواب على سؤالى : « لمن الحكم ؟ » ووجدت الراحة كذلك ، الجواب والراحة اللذين افتقدتهما هذا الأمد الطويل .

الفروق عظيم

فتح ضابط بريطانى فى القاهرة برقية تلقاها من إنجلترا ، فجحظت عيناه فزعاً إذ قرأ : « ولد لك ولد » . وبعد بحث ملحّ فى مكتب البرقيات تبين له أنه تلقى فعلا البرقية المرقومة ٨٥ — ومؤداها « تصلنى أخبارك أحياناً » — فأرسل إليه خطأً نص البرقية المرقومة ١٨٥ — ومؤداها « ولد لك ولد » . فسرّى عن الضابط حين تبين ذلك ، لأنه لم ير زوجته منذ سنتين . [مجلة تايم]

فى المكان المناسب

قرر قائد فصيلة بحرية أمريكية فى إحدى جزائر المحيط الهادى المتوسط أن عادة فتيات الجزيرة فى الاستغناء عن كل ملبس غير إزار من العشب ، ليس من شأنه أن يعزز الروح المعنوية فى رجال فصيلته . فأهدى إلى كل فتاة قميصاً تحتيًّا من القطن من قمصان رجال البحرية التى لا يزيد طول أكمامها على بوصتين أو ثلاث . ففرحت الفتيات أيما فرح ، وطلبت كل منهن قميصين .

ولعلك تستطيع أن تتصور دهشة القائد حين رأى طائفة من الفتيات فى اليوم التالى وقد خطرت كل منهن فى قميص جديد نظيف ، بعد أن قصت فتحتين مستديرتين فى المكان المناسب ! [الملازم و . ثم ولش]

ظل سام — ذكر البط — مسلاة البيت، حتى استجاب إلى دعاء الغاب

وداعاً يا سام

بول كرانستون
محرر باب المقالات
في صحيفة "فلادلفيا ايفننج بولتين"

ملخصة عن مجلة كورونت

جاءنا سام، ولم يجاوز الشهر الثالث من عمره، وكان هدية الزفاف من موظفي المكتب. وقد ألبسوه لهذه المناسبة ثوب سهرة صغيراً فُصِّل على قد عُلجوم (ذكر البط) وأحيطت رقبته ببنيقة من الورق المقوى، وربطة كالأنشوطة، ووضعت على رأسه قبعة عالية سوداء مائلة إلى جانب إحدى عينيه.

وقالت زوجتي: «لقد سمعت ببعض هدايا زفاف تنم على الخبل، ولكني لم أسمع قط ببطة كهدية زفاف!».

فسألتها: «ولكنك ستستبقينه بلا شك، أليس كذلك؟»

فنظر إليها سام في هذه اللحظة، فكانت نظرته فصل المقال.

وبدا لنا أن من الطبيعي أن نسميه «سام» والظاهر أن الاسم أعجبه، وكنا ندعوه باسمه من أية ناحية من نواحي البيت فلا يفوته أن يحيينا ببطبطة.

وجعلنا له بيتاً صغيراً في المطبخ، وكان يقضي نهاره في حديقة الدار، كأنه مالك يرقب ما يملك. فإذا أقبل الليل وكان الغسق، ظهر عند الباب الخلفي وجعل ينقر الحجاز طالباً الدخول.

وكان سام لا يعبأ بمقتضيات الحياة في الريف، فكان ينام إلى الثامنة صباحاً، وبعد ١٥ دقيقة يطلب طعامه، فإذا لم يطعم في الساعة الثامنة والربع هبط إلى أسفل درجات السلم وبطبط معرباً عن استيائه.

وكان لا يصبر على الكلاب الأخرى أو يطيقها، ولكنه صادق «ماك» كلبنا الصغير، فكان يسند جنبه إلى أذن ماك الملساء وينام في القيلولة، فإذا جاء كلب آخر من كلاب الجيران، هجم عليه، فيلوذ الكلب المروَّع بالفرار.

وكانت روح المثل في سام بارزة جداً. وقد اعتاد أن يتبع زوجتي في حيثما تكون من أرض البيت، فإذا جاء أصدقاؤنا ورأى نفسه مهملا، أطرق يفكر، أما إذا التفت إليه فإنه يستطيع أن يسليك طول النهار.

ولما أتم السنة الثانية من عمره ، رأت زوجتى أن الأوان قد آن لتزويجه، فلم أقتنع، فإن المرء ، حتى لو كان سعيداً فى زواجه ، يحترم نعمة العزوبة التى يفوز بها الذكر ، بطة كان أو إنساناً ، ولكن النساء كلهن بغاة تزويج . وقد عدت ذات ليلة فألفيته يلعب على أرض الحديقة مع بطة بيضاء صغيرة

وقالت زوجتى : « اسمها جيرت . وقد حملت سام إلى ضيعة جونسون ، فأهمل كل البطات الأخرى ، ومضى لوقته إلى هذه » .

وكان سام ثرثارةً مسلياً ، أما جيرت فكانت هادئة حييّة ، وكان يشركها فى طعامه ويؤثرها على نفسه بخير المواضع الظليلة فى الفناء . وكان بيته أصغر من أن يتسع لزوجين ، فأقمنا لهما بيتاً جديداً عند السقيفة الخلفية .

وكان زواجهما موفقاً ، وقد بقيا طول ذلك الشتاء قريبين من البيت ، حتى إذا جاء الربيع لاحظنا تغيراً فى سام ، فقد دعته ، أنشودة الجدول فلباها ، على الرغم من العزلة التى عاش فيها .

ولما مضى سام بزوجته الصغيرة إلى الغابة أول مرة أدركنا أن الطبيعة غلبته ، وأن قلبه لن يعود كما كان أبداً . وكانا كل يوم يزدادان إيغالا ، وترف جيرت بجانب سام على نحو ما تفعل النساء حين يردن الاحتجاج على ضرب بعولتهن فى فجاج الأرض .

ثم كانت ليلة لم يعد فيها سام وجيرت ، فذهبنا ومعنا الكلب ماك نبحث فى الغابة المحيطة وعند الجداول ، وندعو سام باسمه ونحن نمشى . واهتدى ماك إلى الأثر مرتين ، ثم فقده ، وكان مما يعصر قاوبنا أن نتصور سام وجيرت وحدهما فى حيث تكثر الثعالب والظرابين ، والنُّموس ، فلم تنم إلا غراراً فى تلك الليلة .

وكان الفجر حين سمعنا بطبطة سام ، وكان صوته شجيا ، غير مألوف، وجعل يعاو ويزداد إلحاحاً . لقد عاد سام وحده ، وجعل يخبط حول الدار بأسرع ماتستطيع رجلاه.

وفتحنا الباب فأسرع إلينا وجعل ينقر أقدامنا ، وتبعناه من السقيفة فجعل يحرك ذنبه كأنما يريد أن يشكرنا ، واجتاز بنا المرج ودخل بنا الغابة إلى الجدول ، وأدار نظره إلينا كأنما يريد أن يستوثق أننا ما زلنا معه ، ثم نزل إلى الماء وسبح مع التيار ، فسرنا على الشط ، فلما بلغ منعطفاً فى مجرى الجدول خرج سام إلى الشط ، فإذا هناك جثمان جيرت البيضاء الصغيرة .

ولم نجد من آثار العنف إلا نقرة صغيرة فى العنق ، فالظاهر أن عرساً أصابتها هنا . وحملنا جيرت ودفناها فى قبر صغير على مقربة من البيت .

وحزن سام أياماً ، وأبى أن يأ كل حتى ما كان يستطيب ، وحاولنا أن نحجزه فلا يشرد ، ظنا منا أنه خليق أن ينسى وأن يعود إلى حياته القديمة ، وإلى سيرة المالك الذى يتعهد ما يملك ، ولكن سام جاهد ليتحرّر ، ولا يكاد يخرج حتى يمضى إلى حيث ماتت جيرت ، وهناك يقضى الساعة بعد الساعة ، ولا يفارق البقعة إلا إذا حملناه عنها وعدنا به . ونحل صدره الخشن ، وصارت رجلاه لا تكادان تقويان على حمله .

وفى أوليات سبتمبر هبطت بطتان بريتان كانتا متجهتين إلى الجنوب ، فى بركة صغيرة على مسافة ميل منا فى الوادى ، ودَفُؤ الجو فتلكأتا أسبوعين تقريباً ، وكنت تراهما كل يوم تسبحان فى البركة ، وإذا بالعلجوم الكبير يختفى ذات صباح ، فقد أصابه أحد أبناء الفلاحين ولم يستطع أن يقاوم رغبته فى تجربة براعته فى الرماية .

وجعلت البطة البرية تبطبط حزناً على إلفها وتبحث عن هاجرها ، وكان سام على مسافة ميل ، فى حيث ماتت جيرت ، فسمع وفهم ، والتقيا فى مكان ما ، وسط الطريق — سام الأبيض الريش ، المنطرح فى حركته ، الذى أبت عليه الطبيعة أن يطير ، والبطة البرية السمراء الهيفاء الثوية الجناحين ، ولكنهما وجدا فى الجدول القريب الغور حلبة مشتركة . فلم يعد سام إلى البيت بعدها أبداً .

وكنا كثيراً ما نراهما ونحن نمر بسيارتنا بتلك الناحية . ولا شك أن ظرفه قد حببه إلى قلب البطة البرية كما حببه إلى قلوب الآدميين ، فقد بقيت مع سام فى الوادى زمناً طويلا بعد أن عبرت بها الأسراب المقبلة من الشمال .

وصح بدن سام ، وامتلأ ، وكثر الريش على ذيله ، وازداد نعومة وأناقة . وكثيراً ما كنا نذهب إلى الجدول لنحييه فيهز ذيله مغتبطاً ، ولكنه كان يقف بيننا وبين إلفه ، فقد اختار ، وليس لنا أن نجتذبه إلى عالم كان يدرك أن بطته لا يسعها إلا أن تشعر دائماً أنها غريبة فيه .

وقلت رؤيتنا لهما مع اشتداد البرد ، ثم أخذت عيوننا ذات صباح منظراً لا يكاد يصدقه العقل ، فقد أقبل موكب غريب فوق المرج على رأسه سام رافعاً رأسه زهواً ووراءه زوجته البطة البرية ، ومن خلفهما خمسة أفراخ من أجمل مارأت العين . اثنان منها من فصيلة البكين — أرجلهما صفراء وكذلك منقارهما ، وواحد برى بلا شك ، والآخران هجينان نصفهما من فصيلة البكين والنصف برى .

فلما اقتربنا من هذا الموكب تردد سام

لحظة كأنما عاودته ذكرى الماضى ، ثم بطبط على سبيل التحية المألوفة ودفع بأسرته إلى الجدول .

واضطرب جناحا « السيدة » سام على سطح الماء ، وبدت كأنما لا يصدّها عن الطيران الذى هو فيها طباع ، إلا عاطفة الأمومة ، وسبح سام فى دائرة حول أسرته ، ولم ينظر إلينا سوى مرة واحدة وهو يجمعها معاً . ثم كأنما تلقى إشارة سحرية ، فمضى السبعة مصعدين فى النهر .

وأحسب أن سام كان يدرك أنه لا يستطيع أن يخاطر بمفارقة أسرته العجيبة، التى نصفها من بنات الأرض ونصفها من بنات الجو . وما لبثوا أن داروا مع منعطف فى الجدول فغابوا عن النظر . وإنى لأرجو أن يكونوا قد وجدوا أرضاً سعيدة . نعم أرجو لك ذلك يا سام — ولو إلى مدى قصير .

ترويض الأسد

دعيت الأديبة فرانسيس ماينيل ، مؤسسة « مطبعة ننستش » إلى إلقاء خطبة بعد العشاء فى إحدى المآدب فروت القصة التالية :

كان الرومانيون فى عهد نيرون يزدحمون فى الكوليزيوم لمشاهدة النصارى يلقى بهم إلى الأسود . وكان نيرون قد أعدّ أحد عشر أسداً ضارياً حرمت الأكل أسبوعاً كاملاً ، لافتراس أحد هؤلاء .

فلما هجم الأسد الأول على النصرانى تطلع إليه الحاضرون ، ولكن الرجل انحنى فى هدوء وتؤدة وهمس شيئاً فى أذن الأسد ، فانثنى من الساحة وذيله بين فخذيه . وعلى هذا المنوال هجم على النصرانى ستة من ملوك الغاب الضوارى ، ثم انثنت ، والجمهور المحتشد يصيح مطالبا برد ماله .

فاستدعى نيرون الرجل وقال : إذا قلت لى كيف تستطيع أن تحمل هذه الأسود على أن تفعل ما فعلت ، عفوت عنك عفواً تاما .

فقال : المسألة غاية فى البساطة . يامولاى إننى أهمس فى أذن الأسد : إعلم أنه ينتظر منك أن تلقى خطبة بعد الطعام ! [بنيت سيرف فى « مجلة سترادى الأدبية »] .

الملاكم الأعمى

برترام ب. فاولر . وآل لانى

+

ملخصة عن صحيفة "ذى بالتيمور سنداى صن"

لم يزل سام لنجفورد العجوز، فتى بوسطن الزنجى، ملاكم الأمس الممتاز، يجد المتعة فى الحياة.

كان قد مضى عليه أعوام، حين وجدناه جالساً يستمع إلى الراديو فى حجرة نوم صغيرة بهارلم، حى الزنوج فى نيويورك، فشق علينا أن نصدق أن هذا هو سام لنجفورد، الذى غدا ذكره أسطورة من الأساطير، والذى شقت له قبضتا يديه فى تاريخ الرياضة سيرة من أعجب السير — الرجل الذى لم يهزم بالضربة القاضية إلا مرة واحدة فى ٦٤٠ مباراة. لقد كان بطل جيل من عشاق الرياضة من بوسطن إلى بناما، أما الآن فهو كفيف فقير، يعيش بما يعان به من مال، منسىّ حتى من بنى جنسه.

وتوقعنا أن نقابل رجلا عجوزاً ناقماً على الحياة، قد ذهبت بعقله ثلاث وعشرون سنة أنفقها فى الملاكمة، ولكن وجدنا رجلا يتصف بذاكرة تكاد تكون خارقة، مرهف العقل كعهده حين كان يبذّ أحسن الملاكمين بسرعة الخاطر والمهارة فى النزال.

وتألق وجهه بابتسامته المشهورة وقال: « ليس بأحد حاجة إلى أن يرثى لحال سام العجوز، فقد مرت بى أوقات سعيدة، ووجدت فى الملاكمة بهجة عظيمة. ولو كان فى جيبى قليل من المال لعشت اليوم فى نعمة ».

عسى أن لا يكون سام لنجفورد أعظم ملاكم ظهر، إلا أن ذوى الذاكرة القوية من الكتاب الرياضيين أجمعوا على أن يضعوه فى مرتبة خاصة، لأن قيوداً ثقيلة كانت ترهقه فى كل نزال. فقد ضعف بصره على أثر حادث وقع له فى صباه، وكان طوله خمس أقدام وست بوصات لا غير، ولم يزد وزنه قط عن ١٦٠ رطلا، مع أن أغلب مبارياته كانت مع ملاكمين من الوزنين الخفيف الثقيل والثقيل، لأن الرجال الذين يماثلونه وزناً كانوا يرهبون لقاءه، فكان ينازل رجالا يفوقونه ٤٠ أو ٥٠ رطلا فى الوزن ويفرعونه طولا. ولكنه كان ضخم الكتفين مديد الذراعين، فائق المهارة فى تحريك قدميه، وقد قال كاتب رياضى إن « حركاته تسبق الزمن ». وقليل من كان يستطيع أن يحتمل إحدى لكماته الصواعق ولا يخرّ.

ولد، كما يقول، منذ ٥٨ سنة فى مدينة ويموث من مقاطعة نوفاسكوشيا (كندا)

وماتت عنه أمه وهو فى التاسعة ، وأساء أبوه معاملته ، فأخذ الصبي الصغير مصطاف رقيق القلب إلى منزله ببوسطن .

وفى الخامسة عشرة كان سام يقوم بأعمال شتى فى إحدى الحانات . وفى يوم من الأيام دخل رجل ضخم فجرع ثلاث كؤوس من الجعة فى غيبة صاحب الحانة ، وهم بالخروج دون أن يؤدى ثمنها . وعاد صاحب المحل حين كان سام يرفع عقيرته مطالباً بقروشه الثلاثة ، فقال له صاحب المحل : « لم أناوله شيئاً يا سام ، فعليك أنت التحصيل » .

ومع أن وزن سام لم يزد على ١٢٠ رطلا فقد انتهت المعركة بسقوط الرجل الضخم مصروعاً على الأرض أمام الحاضرين المحملقين دهشاً . وشجعه رئيسه على أن يتخذ الملاكمة حرفة . وطمح سام ، أيام كان يلاكم مقابل خمسة ريالات أو عشرة ، أن يرتقى إلى حيث يكتسب من المال ما يشبع شهوته إلى شرائح اللحم المشوى والبفتيك ، إذ لم يكن دخله فى أغلب الأحيان يتيح له إلا شراء اللوبيا أو اللحم المسلوق والحساء أحياناً . بل لقد دخل الحلقة فى إحدى ملاكماته الأولى العنيفة ، وقد جلد على وجبة قوامها ست فطائر صغيرة وكوب من الماء .

ولما كان فى السابعة عشرة ، وكان من ملاكمى الوزن الخفيف ، انتصر على جو جانس أشهر الملاكمين فى ذلك العهد . ثم لاكم وهو فى العشرين ، ووزنه ١٤٨ رطلا جاك جونسون ، البالغ وزنه ١٩٤ رطلا ، وكان جونسون حينئذ فى أوج قوته ، ثم ظفر بعيد ذلك ببطولة العالم فى الوزن الثقيل . وألقى جونسون بسام على الأرض فى الجولة السادسة ، ولكن سام طرح غريمه فى الجولة التاسعة . وفى نهاية الجولات الخمس عشرة ، ارتاح جاك إلى الخروج من الحلقة ، وقد فاز ولما يكد .

ولم يكن سام قد درس الملاكمة قط ، فأخذ بيده بعد تلك المباراة مدرب مشهور ولقنه دقائق تلك الرياضة . ومن يومئذ خابت جميع وسائل الإغراء ، من مال وغيره ، فى أن تحمل جاك جونسون على أن يبارى سام مرة أخرى . وقصة مطاردته جونسون فى كل مكان من الأرض جزء من الأسطورة التى حيكت حول سام لنجفورد ، فكان يجد لذة فى أن يتعقب جونسون إلى المطاعم والحانات فيتحداه للنزال فى أى مكان وأى زمان بأى شرط كان ، فإن لم يكن ذلك النزال للمال ، فليكن رغبة فى القتال ، فى أى زقاق أو فى الحانة نفسها . على أن جونسون آثر أن يحتمل غمزات سام وسخريته على أن يلاكمه .

فى تاريخ الملاكمة ملاكمون خلطوا الهزل

بالجد ، أما سام فكان في الملاكمة كالشعراء الطوافين في القرن الثالث عشر ، فمضى في طريقه حراً لا يبالي ، يلاكم كل من يرضى ملاكمته دون أن يهتم بوزن الملاكم أو أحوال الملاكمة ، فاشترك في ٦٤٠ مباراة خلال ٣٣ عاماً . أما اليوم فإن الملاكم الذي يشترك في ٣٠٠ مباراة يعد معجزة .

وفي سنة ١٩١٧ ، أجهزت لكمة خفيفة من فرد فولتون ، وهو ملاكم بين بين من الوزن الثقيل ، على عصب البصر في عين سام اليسرى ، وأقنع الطبيب سام بأن يحتفظ بذلك الأمر سراً ، واستمر يلاكم ، مع أن عينه الأخرى كانت قد بدأت تعشى .

وفي سنة ١٩١٨ ، خط سام في تاريخ الملاكمة فصلا من أشد الفصول وقعا في النفس ، وكان قد عمي حينئذ أو كاد ، وكان يرى الأشياء ليلا كأنها أشباح ، ولكنه كان عاجزاً عن أن يبصر في ضوء الشمس شيئاً يبعد عنه قدماً واحدة . وأمضى عقداً بملاكمة باتلنج سافيدج ، بطل المكسيك ، على أن تكون ليلا في حلقة مصارعة الثيران ، ولكن سرّه انفضح ، وتمكن معضدو سافيدج من تحويل وقت المباراة إلى العصر .

وقاده مساعده إلى الحلقة في وهج الشمس وكان عمره يومئذ ٣٢ سنة ، وهي سن متقدمة حتى على ملاكم يتمتع بجميع قواه . فلما أذاع الحكم تعليماته على الملاكمين ، وردّ كلا منهما إلى ركنه انتظاراً للجرس ، بقي لنجفورد وسط الحلقة . ويفسر سام ذلك فيقول : « عجزت عن تبين طريقي إلى ركني » .

وحين دق الجرس شب سافيدج إلى الأمام ، ودار حول لنجفورد ، يزنه بنظره ليعاجله بضربة قاضية . ودار سام متهادياً في خفة ، وقد دفع برأسه إلى الأمام ، وهو مازال يحاول أن يبصر ولو خيالا مطموساً ، واقترب سافيدج وهو يخطر فصوب لكمتين مستقيمتين بيسراه ، وأطلق سام مع الضربة الثانية يمناً مقاطعة ، فهوت كالصاعقة . وسقط سافيدج كأنما صرعته هراوة .

ويكتم سام ضحكه وهو يقول : « لا أعرف أين لكمته ، فكل ما أعلمه أنه أصابني مرتين ثم أصبحت بطل المكسيك » .

ولم يكن سام يعدّ الملاكمة حرفة قط ، بل مسرة وغبطة ، وكان يجد المتعة في الطعام الجيد والعشرة الطيبة والضاحكة البهيجة ، وكان يقهقه في ضحكه فلقب « بهوهو » ، ولكن كان عنده للهزل حد لا يتعداه .

وقد تعاقد مرة على منازلة ملاكم أبيض مشهور من الوزن الثقيل ، ولكن جعله لم يكن قد حدد كتابة . وأخبره منظم المباراة قبيلها أن عدد الحاضرين خيّب

الآمال ، فليس ثمة سوى ٢٨٠٠ ريال هى نصيب الملاكمين . ولما كان جعل الملاكم الأبيض مضموناً بعقد ، فلن يكون نصيب سام إلا الباقى وهو ٣٠٠ دولار . وقال منظم الحفلة : « اجعلها مباراة شائقة ياسام » .

فأجابه سام فى جد : « أيهـا الرئيس ، ستكون أقصر مباراة رأيتها فى حياتك » .

وحين دق الجرس خرج سام من ركنه ، كأنما هو نمر أسود ، وصرع غريمه بضربة واحدة .

ومن خصائصه أمر آخر عجيب ، فقد كان يتنبأ بإصاباته مما لم يفعله قط أى ملاكم سواه . ففى بدء الجولة الخامسة من مباراته مع جاك لستر ، وكان من أحسن ملاكمى وزن خفيف الثقيل ، تقدم سام من ركنه ماداً يديه ليصافح غريمه ، فنظر إليه لستر دهشاً وقال : « ما وراءك ؟ ليست هـذه بالجولة الأخيرة ! » .

فابتسم سام وقال : « هكذا تظن يا ولدى ! » وانتهت المباراة بعد دقيقة ، وقد خرّ لستر صريعاً على بساط الحلقة .

وحين لاكم جيم فلين ، وكان من أحسن ملاكمى الوزن الثقيل فى زمانه ، أخـبره المصور السينمائى أن معه شريطاً يكفى لتصوير ثمانى جولات فقط .

وطمأنه سام قائلا : « لا تحفل بذلك ، فسـتحصل على صورك حتما ، وسـتكون كاملة » .

واندفع المصور القلق ، فما بين الجولتين السابعة والثامنة ، إلى ركن سام وهو يلوّح حانقاً ، فاكتفى سام بالابتسام وقال : « استمر فى إدارة آلتك واطرح الهم جانباً » ثم اندفع إلى الأمام ، وحام حول فلين حتى دفعه إلى موضع يقابل المكان الذى جلس فيه مديره ، وخطا إلى الخلف وهو يقول : « أيها الرئيس هذا هو بطلك » . ومال ثم أطلق يمينه ، فارتفع فلين مقـدار نصف ياردة كاملة فوق بساط الحلقة مدفوعا من خلال الحبال ، وسقط فى حجر مديره .

أما المرة الوحيـدة التى هزم فيها سام بالضربة القاضـية ، فكانت فى بناما وهو يلاكم هارى ويلز . وكان ويلز فى أوجه ، ويزن ٢١٥ رطلا ، سريع الحركة ، ذا يمين قاتلة . ويقول سام إنه « تهاون فغفل عن أن يتجنب اللكمة بإحناء رأسه » . على أن سام محا هذا العار بعد ذلك ، بانتصاره مرتين على ويلز بالضربة القاضية .

ودافع لنجفورد عن بطولة المكسيك حيال جميع من تحدوه أربع سنوات ، بعد ظفره بها وهو على حافة العمى ، وكان يمكنه أن يصر على أن تقام المباريات ليلا لأنه كان البطل . ولما نضب معين المباريات فى

المكسيك عاد إلى الولايات المتحدة ، وقد أخذت الغشاوة تنسدل على عينيه ، وقد ترهل وتقدمت به السن .

وفى سنة ١٩٢٤ نازل أدى ترمبلى فى مدينة فنيس من أعمال كاليفورنيا . وجلس مكاتب رياضى ، كان قد سمع بضعف بصره ، بالقرب من الحلقة ومعه طبيب . وألقى سام بغريمه أرضاً ثم لم يتبين مكان سقوطه ، ودار ببطء يحاول العثور عليه . فاقتنع الطبيب بهذا ، وعدّ سام كفيفاً أو يكاد . فكانت الخاتمة المحزنة لحياته العجيبة .

وأما سام فلم تطوَ على حزن جوانحه ، فهذا ضحكه ينطلق من أعماق صدره ، وإنك لتكاد تقسم بأنك تلمح عينيه الكفيفتين تتألقان وهو يقول : « لقد غررت بهم حتما ، فلا كمت سبع سنوات قبل أن يكشفوا عجزى عن الإبصار » .

وأخيراً ، غاص سام فى زوايا النسيان حتى تقصينا آثاره إلى تلك الحجرة الصغيرة . ثم كتب عنه أل لانى مقالا فى صفحة الرياضة من جريدة نيويورك هيرالد تريبون ، فكان له صدى عجيب . وتدفقت الرسائل من عشاق الرياضة يذكرونه ، ومن أناس لم يروه قط . واحتوى كل خطاب تقريباً على شيك أو بعض النقود ، وجمع مبلغ ليوقف عليه فيغنيه عن الإعانات — ويمكنه من التمتع بشرائح اللحم المشوى التى كان يستطيبها دائماً .

وقد سيطرت على حياة سام جميعها تلك البسالة التى تحركه اليوم . وقد تجلت فى الاجتماع الذى سبق مباراته فى لندن مع بطل إنجلترا ، تايجر سميث . وكان لورد لونزديل يرأس الاجتماع . واحتدمت المناقشة حول من يعين حكما فى المباراة ، وجلس سام منزوياً فى ركن طوال المناقشة غير مهتم بها .

والتفت لورد لونزديل إليه أخيراً وسأله فى أدب : « وأنت يا مستر لنجفورد ، ما هو رأيك فى الحكم المرشح ؟ » .

وابتسم سام ابتسامة عريضة وقال : « أيها الرئيس ، فلتختاروا أى حكم تريدون ، فأنا لا أبالى ، لأنى أحمل معى دائماً حكمى الخاص أينما ذهبت » .

وهتف لورد لونزديل : « حكمك الخاص ! ما ذا تعنى ؟ » .

فرفع سام قبضته اليمنى وقال : « أيها الرئيس ، هذا هو حكمى ، فإذا ما حكم فقد بطل كل جدل » .

"كيف ندخل البلاد"

« أول يوم من أيام أحد ضباط حكومة الحلفاء الحربيـة بمدينة من مدن صقلية »

* * *

وليم ل . هوايت
مؤلف كتاب "المكافآت بمقتضى كريمات" وغيرها

ملخصة عن مجلة "ذى اميريكان ليجيون"

حدثنا ضابط(*) فى حكومة الحلفـاء الحربية قال :

« دخلنا تلك المدينة عند تبلج الفجر ، وقد تبينا ، حتى قبل أن نبلغها فى سيارة « جيب » ، ما ينتظرنا من المتاعب ، فقد استطعنا أن نحصى عشر حرائق مشبوبة اللظى على سطح دورها ، وفيما عدا ذلك كانت المدينة مثل سائر المدن فى جزيرة صقلية التى بها ثلاثون ألف نسمة ، صفر الوجوه غبر شعث ، يجلسون فى وسط سهل مترب خلفه جبال يضرب لونها إلى الزرقة ، وكان جيش الجنرال منتجمرى قد مر بها فى الليـلة السالفة ، وكان قصف المدافع الضخمة لا يزال يسمع عن بعد .

« وكان معى الضابط أندرو مالتستا ، وهو من مدينة سيراكوز بولاية نيويورك ، وهو مثلى ضابط للشئون المدنية، وكان أندرو يتكلم لغة القوم كأحد أبنائها ، ويفهم الأهالى ويعطف عليهم ، وكان علينا نحن الاثنين أن نقضى يوماً فى المدينـة لتنظيم الأحوال ، ثم نشد الرحال ونترك أحد ضباط حكومة الحلفاء الحربية ليأخذ بزمام الأمور .

« بدت لنـا المدينـة كالمهجورة ونحن نسـير فى شوارعها الضيقة ، لولا قليل من الناس كانوا يبحثون فى أطلال المنازل التى ضربت بالقنابل ، أو يقفون إلى جانب جثة قد سحبوها إلى الشوارع من تحت الأنقاض. ومع ذلك فقد وجدنا ، عندما بلغنا ميدان دار البـلدية ، مئات من النـاس يروحون ويجيئون أمام البلدية ، حيث أقام بعض البوليس الحـربى البريطانى الذى خلفه منتجمرى ، مقراً مؤقتاً فى الثكنات التى تركها بوليس الحكومة الإيطاليـة ، وقد أخبرنا البوليس الحربى أن العمدة قد هرب مع الألمان ، وأنهم قد ألقوا القبض على أحد موظفى البوليس، وهم الآن ينظرون فى أمره.

« وكان الموقف لا يسر ، فهناك هـذه الحرائق العشر الملتهبة، ومئة وخمس وعشرون

(*) أحد ضباط حكومة الحلفاء الحربية فى البلاد المحتلة ، وكان قبل ذلك من الصحفيين الأمريكيين المعروفين ، وقد طلب إغفال اسمه .

جثة قد بدأت تتعفن تحت الأنقاض فى جو يوليو الحار ، ومثتا جريح من المدنيين يقيمون فى بنـــاء مدرسة قد حولت إلى مستشفى ، وبدلا من أن يخف الإيطاليون إلى العمل فى تطهير المدينة،أخذوا يسألوننا : « ماذا تريدوننا أن نفعل ؟ » فقد كانوا ذاهلين مضطربين ، وفيهم آثار من صدمة القنابل ، فهم ينتظرون منا أن نأمرهم بترميم محطة توليد الكهرباء ونظام توزيع الماء .

« وكان الجيش الإيطالى قد ترك إحدى وحداته الطبية فى بناء المدرسة ، ولكن لم يكن لدى الأطباء شىء من المعدات الطبية حتى ولا ضمادات الجروح . وكان أكثر المصابين رقوداً على الأرض أو فوق المكاتب. وكانت هناك فتاة صغيرة قد نسف أنفها ، وغلام لا يتجاوز الخامسة (فى مثل سن ولدى) قد أصيب بعشرين جرحاً من شظايا القنابل ، وكانت قشور الجروح قد أخذت تجف ، فكان الطبيب الإيطالى ينتزعها حتى لا يدب تحتها التعفن ، ولم يكن هناك مخدر ، فخطر لى أنه لو أعطى شيئاً ليمضغه فعسى أن ينقطع صياحه ، فبادرت إلى السيارة وأحضرت معى علبة من البسكوت فاختطف واحدة وحشا بها فمه ، وبسط يده يبغى أخرى ، فساءلت نفسى : ترى متى كان آخر عهدهم بالطعام ؟

« وقد اتخذ الأطباء من مكتب المدرس منضدة لإجراء الجراحات، وكان أحد الجنود الإيطاليين منطرحاً عليها وهو يصرخ ، والطبيب يريغ مكمن قطعة من الصلب قد استقرت عند الكليتين . وعلى مائدة أخرى سيدة مصابة بجرح بليغ فى صدرها ، وكان حولها أطفالها الستة الصغار يبكون خوفاً وجوعاً ، وقد استعمل الأطباء ملاءة قديمة فى تضميد المكان الذى انتزع منه ثدياها .

« وقال رئيس الأطباء ، وهو يمسح يديه فى خرقة ملوثة بالدماء ، إن رجاله يكادون يسقطون من الإعياء ، فهم لم يذوقوا النوم منذ يومين ، ولا الطعام منذ ثلاثة ، وليس فى وسعهم أن يبذلوا عوناً لهؤلاء الناس بلا أدوية ، ولا ضمادات ، ولا أثير ، فلماذا لا يذهبون إلى مستشفى كاتانيا ؟

« ووعدنا بتقديم ما يلزمهم من المعدات الطبية ، وأفهمه أندرو بأن يقول لمعاونيه إن هذا هو مكانهم ، فإذا برحوه عرضوا أنفسهم للعقاب .

« وعدنا إلى البلدية ، فوجدنا رجال البوليس الإيطالى قد أحضروا نائب العمدة وبعد مناقشة طويلة اتفقنا على أنه يصلح ، وهو وإن كان عضــواً فى الحزب إلا أنك تستطيع أن تلمس حبه لبلدته ، وكان يعرف خفايا الأمور . وقلنا له :

« إن أول ما يجب عليــه هو إرسـال الطعام إلى الأطباء .

« فقال متسائلا : « من أين ؟ »

« فقال له أندرو : « لا أين ! من المخزون عنـدك أو عند أى شخص آخر ، هاته ، وهاته الآن » ، فقد عرفنا بالتجربة أن جميع كبار الفاشيين قد اختزنوا الأغذية فهذا الرجل يعلم أين هى وأسرع مبادراً .

« وأحضر رجال البوليس الإيطالى رئيس المطافىء ، وأمرناه بإطفاء الحرائق العشر . ولما شكا إلينا أنه لا يجد من يعينه أعطيناه شارة لوضعها على ساعده مكتوب عليها « بوليس الشئون المدنيـة » ، فسره ذلك فغدا من أعواننا ، وأصبح الناس يطيعونه . وأمرناه بأن يجمع جماعة لمكافحة النيران ، وإذا امتنع أحد فليلقه فى السجن لننظر فى شأنه بعد ذلك .

« وانقضى شطر من الصباح فأخذ الناس يعودون من التلال ، وازدحم فى ميـدان المدينة خمسة آلاف نسمة أو نحوهم ، وكنت ترى امرأة ، وأبناؤها متشبثون بأذيالها ، والجميع ينتحبون أمام منزل مهدم ، ثم لا تنقضى دقائق حتى يترك الأطفـال أمهم ويبدأون يتسلقون الأنقاض لعباً مرحاً .

« وبدأ السلب والنهب ، وكان للسلابين حيل كثيرة ، فجماعة منهم توحىء إلى البوليس الحربى وتشـير إلى باب مقفل من أبواب المخازن وتقول « فاشستى تيدسكى » أى إن فى هـذا المكان رجالا من الفاشيين أو الألمان ، فيقتحم البوليس الحربى البـاب ، وينفضْ المكان ولا يجـد أحداً ، وبعـد انصرافهم تبدأ الجماعة فى نهب ما على الرفوف .

« وبادرنا إلى إذاعة منشوراتنا وأعطيناها للبوليس الإيطـالى ليلصقها على كل الجدران التى لاتزال قائمة ، وبينا فيها أننا إنما جئنا لنرد إلى الناس حريتهم ، ولنحررهم من الفاشية . ثم شرحنا قواعدنا المرعية ، وأخبرناهم أنهم أحرار فى أن يقولوا ما يشاءون ، وأن يستمعوا إلى الإذاعة الفاشـية من روما إذا شاءوا ، ولـكن عليهم أن يسلموا أسلحتهم وأجهزة الإرسال اللاسلـكية بإلقائها فى دار البلدية . وكل من يضبط وهو يباشر السلب والنهب يعدم رمياً بالرصاص . ووضعنا قائمة لتحويل نقودنا إلى ليرات ، وعينا الساعات التى يجب أن يأوى فيها الناس إلى بيوتهم من مغرب الشمس إلى مطلعها .

« ولما كنا نعلم أن من يعرف القراءة يبلغ نصف السكان وحسب ، أرسلنا من يذيع البيان الذى أصدرناه فى الشـوارع ، وطلبنا إلى القسيس أن يقرأه فى الكنيسة يوم الأحد التالى .

« ثم شرعنا فى إصـلاح الأمور ورتق

الفتوق ، وكانت المدينة بلا ماء ولا كهرباء ، ولكن الجثث المطمورة تحت الأنقاض مقدمة على سواها ، وحفر القبور يستلزم عمالا كثيرين . ولما جعلنا نفكر فى تدبير ذلك . أقبل علينا رجلان مفوّهان وقالا إن متاعبنا قد انتهت ، وأنهما زعيما الحركة المحلية لمقاومة الفاشية ، وأنهما شقيا عشرين عاماً تحت الحكم الفاشى ، ولكن أتباعهما فى المدينة كثيرون ، وما علينا إلا أن ننقل زمام الأمر إليهما وهما يكفياننا كل مشقة .

«وأخبرها أندى أن أيام محنتهما قد انتهت ، وأننا غرباء هنا ، وأن علينا أن نستقصى الأمر ، وذكرنا لهما أمر الجثث ، وطلبنا إليهما أن يذهبا ويجمعا بضع مئات من أصدقائهما الذين يعدون بالآلاف ، وأن ينظموهم جماعات لجمع تلك الأجساد قبل أن يتفشى الوباء ، وقلنا إن السرعة والإتقان فى القيام بهذا العمل سيبينان لنا منزلتهما عند أنصارهما .

« وانصرف الرجلان وملء قلوبهما الحماسة ، وكان هذا آخر عهدنا بهما ، إلا أن ضابط حكومة الحلفاء الحربية الذى عهدنا إليه فى الإشراف على المدينة ، أنبأنا بعد أسبوعين أنه فاجأ هذين المفوهين يصيحان فى صدر أحد الاجتماعات : «لتسقط الفاشية ، ولتعش الديمقراطية » ، ولا شك فى أنهما كانا أصلح لهذا منهما للبحث عن الجثث فى يوم شديد الحر .

« ومهما يكن من أمر فإن القائم بأعمال العمدة جمع لنا بضع جماعات للقيام بهذا العمل ، وساعد القسيس على التعرف على أصحاب الجثث ، وحصلنا على إذن منه بإحراقها ، لأنه رأى بعينه أنه ليس هناك من يقوم بحفر القبور ، ولا هناك متسع من الوقت لحفرها ، وبعد موافقته رضى الناس بذلك . فشىء كهذا لا يمكن تأجيله فى إبان الصيف .

«وكانت المسألة العويصة الأخرى هى مسألة الطعام ، فطلبنا إلى القائم بعمل العمدة أن يرسل عربات تجرها البغال ، وعربات تدفع باليد ، إلى القرى لشراء الفواكه والخضر . ولحسن الحظ كان الجيش الإيطالى قبل أن يولى الأدبار مع الألمان ، قد خزن فى سجن المدينة من الدقيق ما يكفى يومين ، فأمرنا القائم بأعمال العمدة أن يأمر الخابز بالعمل ، وإذا احتاجت إلى الوقود فليستعملوا كتل الأخشاب من أنقاض المنازل التى هدمتها القنابل . ولكنه تلكأ وأخيراً سألنا محيراً : « من الذى يتولى الإنفاق على ذلك ؟ » فبينا له ذلك ، وأظهرنا له حزم الأوراق المالية التى أحضرناها ، فانطلق إلى عمله . وعبء هذه النفقة يقع فى آخر الأمر على كاهل السكان ، لأن مثل هذه النفقات ستحسب على البلدة ، وتستقطع من الضرائب المحلية .

« وبعد هذا استطعنا أن ننظر فى تدبير أمر ضابط يمثل حكومة الحلفاء الحربية . كان ألزم ما يلزم له مترجم ، وكان هنــاك كثيرون من التطوعين ، لأن الكثيرين من هؤلاء الناس كانوا يتكلمون الإنجليـزية ، ولـكننا عرفنا بالتجربة أن معظم أهل صقلية لا يستريحون إلى هؤلاء الذين قضوا عشر سنين فى أمريكا ، ثم عادوا إلى بلادهم يفخرون بما فى جيوبهم من أوراق مالية ، ويخبرون قومهم أن كل شئ فى نيويورك أحسن مما هو فى بلادهم . وفضلا عن ذلك فإن المترجم اللئيم الطبع سيناصر أصدقاءه ، ويحاول الإساءة إلى أعــدائه ، وسرعان ما يحاول أن يملى رأيه فى تدبيرشئون البلدة ، ولـكن أندى اهتدى فى النهـاية إلى مترجم يجيــد الإنجليزية ، وليس له على ما يظهــر مطامع سياسية .

« أما وقــد نظمنا كل شئ فإن ضابط حكومة الحلفـاء الحربية الدائم يستطيع أن ينهض وحده بالعبء ، وكان شابا كدوداً تولى حيناً ما منصب عمدة لبلدة صغيرة فى أواسط الولايات المتحدة ، ولا بد أنه أحسن القيام بعمله ، فقد سمعنا أن الإيطاليين أحبوه حتى نادوه يوم ســقوط موســولينى ، ليشرف عليهم من شرفة منزله ، ويتلقى تحيتهم ، وقد احتفلوا يومئذ احتفالا كبيراً .

« وركبنا سيارتنا وقصدنا المدينة التالية ، وهى على بعد كيلو مترات قليـلة فى الطريق الذى سلـكه جيشنا ، وهناك اكتشفنا مخبأ سريا من مخابئ الجيش الإيطـالى ، به مطهرات ومقـادير من الأتبرين واليــود ، والمورفين والأثيروالضمادات ، فجمعنا ذلك كله فى سيارتنا ، وقصدنا إلى أحد مراكزالتموين الأمريكية ، وحملنا مقاديرأخرى من جرايات الطعــام ، وعـدنا إلى الأطبــاء الإيطاليين الجياع ، فسروا برؤيتنا سرورا عظيما !

« وهكذا انتهى عملنا فى اليوم الأول . وعلى هــذا الغرار تعمــل حكومة الحلفـاء الحربية فى كل مدينة أجنبية تدخلها وراء جيوشنا المتقدمة » .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

أتسـألينى . . ؟

فى أحد مقاصف الجنود بهوليوود شكا أحد البحارة البريطانيين التهاباً خفيفاً فى الحلق ، فسألته سـيدة شغلها أمره : أجربت الغرغرة بالمـاء الملح ؟ فقـال : أتسألينى ذلك ؟ فمن ذا الذى أصاب الطربيد سفينته ثلاث مرات ؟ !

[هدا هوبر]



تغل مزارع ميادين القتال بالمحيط الهادى
١٥٠٫٠٠٠ طناً من الخضر قيمتها ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ ريالا

الزراعة فى الميدان

بقلم جورج دوينج + + ملخصة عن مجلة « ذى ليدرنك »

في يوم عيد الميلاد الماضى وقف جندى من البحارة الأمريكيين فى أحد الخطوط الأمامية بالمحيط الهادى ، وجعل يقرص نفسه ليستيقن أنه فى يقظة ، فقد رأى بعيني رأسه رجال غرفة الطعام يقدمون الخضر للجنود ، وكانت هذه أول خضر رطبة رآها الجندى منذ غادر أمريكا .

وفى ذلك اليوم أكل جميع أفراد القوة فى تلك القاعدة من الخضر الغضة ، فقد استصلح ما يزيد على ٠٠ ره فدان من أراضى الغابات بين وادي الكنار وبوجنفيل . وكثيراً ما كان الجنود الزراع يعملون على مرمى المدافع ، على حين كان الرجال الذين قاموا بحراثة الأرض لأول مرة يضعون بنادقهم على مقربة منهم خشية أن يلاقوا بعض القناصة اليابانيين التائهين .

وتغل مزارع ميادين القتال هذه جميع أنواع الخضر التى تزرع فى حدائق المنازل بأمريكا . ويحصد الزراع من تلك التربة البركانية الخصبة أربعة محاصيل فى العام ، وينتظر أن يربى محصول هذه السنة على ١٥٠٫٠٠٠ طن تزيد قيمتها على ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

فى خريف عام ١٩٤٢ خطر لاثنين من ضباط البحرية ، أثناء معالجتهما المسائل المتضاربة المتعلقة بالاقتصاد فى أمكنة النقل بالسفن وتحسين الغذاء للجنود ، أن تزرع تلك الأراضى الخصبة . فقد كان من غير الممكن نقل الخس والبطيخ إلى الجنود إلا بمقادير محدودة فى السفن المجهزة بصناديق التبريد على حين كان من الممكن نقل البذور والمحاريث .

كان الجنود أثناء تنوير أول محصول من القرع والبطيخ يدأبون جيئة وذهاباً فى خطوط الزراعة الطويلة ويلقحون كل زهرة بأيديهم إذ ليس فى وادي الكنار نحل يقوم بذلك ، وقد التهمت الطيور كثيراً من خلايا النحل التى استوردت . واكتشف الزراع ، عندما بدأت تظهر براعم ثمر البطيخ الذى لم يتم تلقيحه باليد ، أن النمل المنتشر فى تلك البقاع قد أفاد فى ذلك . ويقوم النمل الآن بجميع ما يقتضيه التلقيح .

ويتطلع البحارة والجنود المرابطون فى وادى الكنار إلى ذلك اليوم حين يقدم لهم الموز مع الحبوب المطهية التى يتناولونها فى الإفطار ، وقد قاموا بتجربة زراعة فروع من أشجار الموز ، وزرعوا نصف فدان من الأناناس فإذا نجحت التجربة ظفروا بأول محصول من الموز قبل انتهاء هذه السنة .

ويمارس اليابانيون أيضاً هذه الزراعة ولكنهم لا يغلون منها محصولا وفيراً . فقد زرعوا مساحات واسعة من الخضر — بعد أن قطعت عنهم السفن وامتنع إرسال الأغذية إليهم بالهابطات — وأقاموا حولها مدافع ثقيلة من المدافع المضادة للطائرات .

ويترك الأمريكيون العدو يزرع أراضيه حتى يحين حصاد المحصول فيلقون عليها قنابل مملوءة بزيت الآلات والبنزين تتناثر فى طول الزراعة وعرضها ، فإذا سلمت الأشجار من الحرق لم تسلم من رشاش الزيت الذى يفسدها وهكذا يجوع اليابانيون ويعيدون الزراعة كرة أخرى .

معجزات الدم يرفع عنها الستار

لويس ماتوكس ميلر
ومساعدها فى الابحاث شيودور إروين

ملخصة عن مجلة "هايجيا"

[أصبحت هبات الدم ، مع التقدم الحديث الهائل فى الأبحاث ، أشد ما كانت نفعاً ، لا في إنقاذ حياة الجرحي فحسب ، بل في مكافحة كثير من الأمراض] .

كلنا يعلم كيف خفضت هبات مصل الدم عدد الوفيات من المحاربين ، لكن ما لا يعرفه إلا القلائل : أن عباقرة العلماء ، ضناً بأن تضيع أيّ أثارة مما جاد به الواهبون ، قد صنعوا المعجزات من منتجات الدم التى كانت تنبذ فى الماضى على أنها لقىً لاخير فيه ، بعد أن يفصل عنها المصل المطلوب .

فى أحد مستشفيات ديترويت فى العام الماضى كان الموت يرفرف على عجوز فى الستين من عمرها تعانى فقراً خبيثاً فى الدم مضاعفاً بالتهاب رئوى . ولكل من المرضين خطره ، وكان أحدهما فى الماضى خليقاً أن يكون فيه حتفها . ومع ذلك فإن هذا التحالف المميت بين المرضين لم يقلق طبيبها ، فقد صدّ زحف الإلتهاب الرئوى بعقاقير السلفا ، ثم عالج فقر الدم بحقنها بكرات دموية حمر ، وهى واحدة من المشتقات المحنية للدم الموهوب . وكان تقريره عن الحالة غاية فى الإيجاز : « سير مطرد نحو الشفاء » .

ويجوب أنحاء نيو إنجلند اليوم قرابة ٢٥ شخصاً استبدل لهم غشاء المخ الذى يلى الجمجمة (الأم الجافية) خلال جراحة مخية ، بغشاء صناعى له رقة « النيلون » مستمد من الفيبرونجين وهو أحد المفردات التى يتألف منها الدم .

وتزخر الصحف الطبية اليوم بتقارير إكلينيكية عن الخدمات التى تسديها مفردات الدم لإبراء الجروح وشفاء الأمراض ، والتى لم تخطر قط على بال . وإزاء السخاء المنقطع النظير فى الجود بالدماء ، لا يفتأ العلماء دائبين على اشتقاق عناصر الدم منه ، حتى ليبدو أن كلا منها يهب شفاء من علة كانت قبل مستعصية على الشفاء . وإن كل غاية جديدة تنال ، هى معجزة من معجزات الدم التى لا يزال كل يوم يرفع فيها الستار عن جديد .

ظل الأطباء يحاولون عدة قرون بنقل الدم من الأجسام السليمة القوية إلى أوردة المرضى والمحتضرين ، ولكن كل محاولاتهم باءت بإخفاق ذريع . وظل سر هذا الإخفاق مجهولا حتى كانت سنة ١٩٠١ ، إذ قام العالم النمسوى كارل لاند شتينر (الذى اشتغل فما بعد بمؤسسة روكفلر فى نيويورك عدة سنين) فكشف عن سبب من أسبابه

المهمة ، وهو أن الدم البشرى ينقسم إلى أربعة أنواع واضحة الحدود ، إذا حقن نوع منها فى وريد شخص ينتمى دمه إلى نوع آخر ، قضى عليه .

وظل نقل الدم مباشرة من شخص إلى آخر — حتى بعد أن عرف الأطباء كيف يميزون نوع الدم المطلوب — عملا شاقاً مؤلماً محفوفاً بالأخطار . يضاف إلى ذلك أن الدم لا يكاد يفارق صاحبه حتى يتخثر (يجمد) فيما بين دقيقتين وعشر دقائق .

وفى سنة ١٩١٤ بدأ الدكتور لويس آجوت من الأرجنتين يبحث عن مادة مانعة للخثورة ، وفى نهاية ستة أشهر أخفقت كل المواد التى جربها . ثم مرّ ذات يوم بمطعم ، وكانت نافذة المطعم ممتلئة بالبيض ، فهفا بعقله خاطر ، فصاح : « إن زلال البيض تقيه سترات الصودا من التجمد ، والزلال واحد من مفردات الدم . فلنجرب سترات الصودا » وعاد الدكتور آجوت إلى المستشفى بهرول ، فاستوقفه أحد الأتباع قائلا له إن مريضاً فى أمس الحاجة إلى فصد الدم ينتظره .

قال آجوت : « سأفصده بنفسى » ، ووضع مقداراً قليلا من سترات الصودا فى قارورة واستنزف فيها ما أراد من دم المريض . وبعد عشرة أيام وجد الدم لا يزال سائلا ، وما من أثر فيه للخثورة . وظل ممعناً فى تجاربه ستة شهور محاولا أن يقرر بدقة أقل مقدار من سترات الصودا يمنع الخثورة

وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٤ استطاع الدكتور آجوت أن يعلن للملأ أن جزءين من عشرة أجزاء من واحد فى المئة من سترات الصودا فى الدم البشرى يقيانه التخثر . وأدى ذلك إلى أن يصبح نقل الدم من الواهب إلى الموهوب له عن طريق غير مباشر أمراً ميسوراً مأموناً ، ولكن لم يكن حفظ الدم مستطاعاً أكثر من أسبوع .

وفى باكورة العقد الرابع من هذا القرن أجرى الدكتور يودين من موسكو تجارب واسعة النطاق ، أعلن فى نهايتها عن توفيقه إلى طريقة لحفظ الدم واختزانه ٣٥ يوماً .

وبعد اختبار طريقة يودين أسس مستشفى إقليم كوك بشيكاجو سنة ١٩٣٧ أول مصرف حقيقى للدم ، تتبع فيه الأنظمة المصرفية المحض ، فإذا ما استدعت حالة مريض أن يحقن بالدم صرفت له حاجته منه ، ثم يتطوع أصدقاؤه أو أقاربه لسد العجز فى الرصيد بما يجودون به من دمائهم . وكذلك أصبح الدم على كافة أنواعه قريب المنال فى الحال ، ولم تعد هنالك ضرورة للعجلة فى استدعاء الواهبين للدماء .

وكان أول نجاح شامل للدم المختزن ، بعد علاجه بسترات الصودا ، فى أثناء الحرب

هذا العمل الدقيق لنقل الدم عند الملمات ، من اليسر بحيث يمكن أن توكل بلا خوف إلى مساعدى الأطباء .

وفى سنة ١٩٣٦ سجل الدكتور جون إليوت من سالسبرى بكارولينا الشمالية نجاح استعمال مصل الدم السائل فى العلاج . ويمكن الحصول على هذا المصل بوضع قوارير الدم فى جهاز للتركيز يدور بها حتى ترسب كتل كثيفة من كرات الدم الحمر والبيض ، ومن ثم يؤخذ المصل الحنطى اللون من فوقها . وفى سنة ١٩٤٠ كشف الدكتور ماكس م . ستروميا من مستشفى برين مور عن طريقة استعمال المصل المجفف الذى يجعله التجفيف من يسر المنال كزجاجة الأسبرين .

وخلال ضرب لندن بالقنابل من الجو منذ أربعة أعوام ، أسس الصليب الأحمر الأمريكى أول مشروع لمصل الدم على نطاق واسع . فلما زاد عدد المصابين فى الغارات وأرهقت الأمداد الطبية إلى حد لا يتصور التجأ الإنجليز إلى الولايات المتحدة لإمدادهم بالمصل السائل والمصل المجفف . وفى أوائل سنة ١٩٤١ ازداد الطلب عليهما من الجيش الأمريكى ، ومن يومئذ بلغ الموهوب منهما نيفاً و ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ لتر .

ولكن المصل ليس إلا لمحة واحدة من صورة ضخمة لمعجزات الدم الكبرى ، قد انجاب عنها الستار . ففى سنة ١٩٤٠ أناط مجلس الأبحاث الوطنى والصليب الأحمر الأمريكى بالدكتور أدوين ج . كون من رجال جامعة هارفرد وأحد نوابغ علماء أمريكا فى الطبيعة والكيمياء ، رياسة مشروع للبحث واسع النطاق ، فوجه الدكتور كون ومعاونوه جل اهتمامهم إلى تحليل مصل الحياة إلى عناصره ، واكتشاف المزايا الطبية لكل منها على حدة .

وكان زلال المصل أول ظفر دنت لهم قطوفه ، وهو بديل جديد مركز ، يعمل عمل المصل فى علاج الغشية الناشئة من الجروح ، وله على المصل مزية كبرى ، وذلك أن ما يلزم منه للجريح خمس ما يلزم من المصل الكامل . وتوجد اليوم سبعة مصانع تخرج كل يوم آلافاً من وحدات الزلال . وقد صرح الدكتور روس ت . ماكنتير كبير أطباء البحرية الأمريكية حديثاً أن زلال المصل يصنع فى جرحى معركة الباسيفيكى ما يصنع السحر ، وهو رحمة أرسلها الله للغزاة من الفدائيين الخفيفى الأحمال ، وللجنود الذين ينقلون من مكان إلى مكان على متن الهواء .

وبعد ذلك أخذ بحاث جامعة هارفرد يعالجون جاوبيولينات المصل (مواد زلالية) ، وهى مفردات الدم التى تنطوى فيها الأجسام المضادة للميكروبات والأمراض ، فإن أغلب

الواهبين للدم يختزنون عادة فى دمائهم خليطاً من هذه الأجسام الواقية ، اكتسبوه خلال النضال الموفق ضد الأمراض على طول السنين . فلم لا تحرر هذه الأجسام الواقية وتطلق لتعمل ؟ .

وكانت المحاولة الأولى موفقة ، فهذا جاوبيولين الحصبة ، الذى تتركز فيه الأجسام المضادة للمرض ، قد قضى بلا ضجة على ثلاثة أوبئة فى الشتاء الماضى . وتحضر منه الآن مقادير ضخمة لوقاية من لم يصابوا بالمرض من جنود الولايات المتحدة المحاربين . ولا تزال الأبحاث الخاصة بالجاوبيولين تشق طريقها للوقاية من بعض الأمراض المعدية الأخرى كالنكاف ، والحمى القرمزية ، والدفتريا ، والسعال الديكى ، ويبدو أن الاحتمالات المتوقعة للانتفاع بها فوق الإحصاء .

وفى أثناء ذلك أتاحت عناصر المصل الخاصة بتخثر الدم — وهى الثرومبين (خميرة التخثر) والفيبرينوجين — أشياء تدعو للذهول ، فمن مزجهما سائلين يتكون الفيبرين المتجمد . فبدأ العلماء ينشئون من هاتين المادتين أفوافاً (اغشية رقيقة) ورغاوى ، وعجائن قابلة للتشكل ، وأنواعاً من الغراء يمكن استعمالها جميعاً فى أدق الجراحات .

ومن هذا الفيبرين تصنع تلك الأغشية التى تحل محل الأم الجافية للمخ إذا أصابها تلف أو عطب من جراح الرأس . وقد اتخذ جراحو مستشفى بيتر بنت بريام ، ومستشفى الأطفال ببوسطن ، من الفيبرين أفوافاً تقى نسيج المخ العارى السريع العطب ، فتغمر هذه الأفواف الناعمة القوية المرنة فى الماء ، وبذلك يتيسر إسدالها على المخ . وتدل التجارب على أن الجسم يبنى عليها غشاء زائفاً يحل محلها على مر الزمن .

وقد برهنت رغاوى الفيبرين على أنها مخثر عجيب للدم ، ففى الجراحات العصبية الدقيقة — حيث يستمر النزف من نقط لا عداد لها ، هى من الضآلة بحيث يستحيل وقف النزف منها بكلابات الشرايين — يمكن سد هذه النقط المتحلبة برغاوى الفيبرين الإسفنجية ، فينقطع النزف فى الحال .

ويستعمل الدكتور تراسى بتنام ، جراح الأعصاب بمؤسسة الأمراض العصبية بنيويورك ، قطناً خاصاً جديداً مصنوعاً من السليولوز المؤكسد مشبعاً بالثرومبين . وهذا القطن يمكن تركه فى الجهاز العصبى بعد الجراحة ، فتمتصه خلايا الجسم الأكالة ، شأنه فى ذلك شأن أفواف الفيبرين .

أما غراء الفيبرين فنعمة أتيحت لتطعيم الجلد ، فقد كان جل اعتماد الأطباء فى الزمن الماضى على خياطة الطعم الدخيل فيما حوله من الجلد الأصيل ، ثم صيانة الطعم فى

مكانه بالضمائد الضاغطة بل بالجبس أيضاً فى بعض الأحيان . وطالما عانوا عسراً مذكوراً فى رمّ الأجزاء ذات الحنايا من الجسد ، كالأنف والأذن التى تستلزم الضرورة تطعيمها بجلد جديد .

وليس على أطباء الجيش والبحرية اليوم سوى أن يرشّوا رزاذ الثرومبين على الأعضاء المحرقة أو الجريحة ، ثم يغمسوا الطعم الجلدى فى سائل الفيبرين ويضعوه مكانه ، دون أن يخيطوه البتة فى بعض الأحوال ، فتستقر الطعوم فى مواضعها على عجل ، وينقطع النزف ، ويسهل التضميد . وحتى فى تلك المواضع المتعبة ، كالأغشية التى بين أصابع الأيدى والأقدام ، يمكن أن يلصق الجلد الجديد .

وآخر ما استغل من مشتقات الدم هو الكرات الحمر التى تؤلف حوالى ٤٦ فى المئة من الدم الكامل . ولما كانت هذه الخلايا الرقيقة سريعة العطب ، صارت تنبذ نبذ اللقى لا خير فيه .

وأدرك الدكتور وارن ب . كوكسى من ديترويت أن كثيراً من المحتاجين إلى مصل الدم لا ينالونه ، على حين تضيع كل يوم مقادير ضخمة من خلايا الدم الحمر . فأخذ يبحث عن طريقة لحفظ هذه الخلايا حيَّة ، فحاول أن يصونها فى محلول ملحى بسيط . فاستطاع هذا المحلول الملحى العادى أن يصونها حوالى خمسة أيام .

وجرب الدكتور كوكسى حقن هذه الخلايا فى ٢٠٠ مريض بفقر الدم ، فثبت له أنهم ينالون من الفائدة من هذه الخلايا الحمر مثل ما ينالونه من الدم الكامل . ومن أجل ذلك عمدت ، فى العام الماضى ، هيئة الجود بالدم فى الصليب الأحمر بديترويت ، إلى ملء قوارير من هذه الخلايا الحمر المعلقة فى محلولها الملحى الجديد ، وإرسالها إلى مستشفيات الإقليم .

وستنتشر طريقة ديترويت هذه قريباً حتى تعم الأمة . وإن هذه الخلايا الحمر لتستعمل اليوم فى كفاح قائمة من الأمراض تبدأ بالرثية (التهاب المفاصل الحاد) ، وتنتهى بالدرن

لكن قصة الخلايا الحمر لا تنتهى عند نقلها من شخص إلى آخر ، فإن الطبيبين جورج مورهيد وليسترج أنجر من نيويورك ، قد اكتشفا أن هذه الخلايا المنبوذة ذات قيمة لا تضارع فى علاج الجروح الملوثة والحروق والقروح ، فأخذا يعالجان بؤر المرض الفاغرة بهذه الصبغة من الخلايا الحمر ، ووجدا أن الصديد يختفى ، وأن الألم يزول بأعجوبة ، ويسرع إليه الالتئام .

ولما كانت حياة الخلايا الحمر ، فى محلول كوكسى وصبغة مورهيدو أنجر ، حياة محدودة ، فقد ابتدع أطباء عيادة مايو

برشستر فى مينيسوتا مسحوقاً من الخلايا الحمر لا يتلف أبداً . وذرّ أطباء هذه العيادة ذرور هذا المسحوق يومياً على قرحة متسعة نشأت عن دوالٍ (انتفاخ الأوردة وتعرجها) ، واستعصت على كل علاج آخر ثماني سنوات ، فالتأمت القرحة كل الإلتئام فى ثمانية أسابيع . وقد وصلوا إلى نتائج طيبة كذلك من ذرّ المسحوق على جذور الجوارح المبتورة ، وعلى جروح الصدر وغيرها من الحالات التى لم تتخذ سبيلها الطبيعى للالتئام، فنجحت هذه الخلايا الحمر .

وإذا قدر لهذا الينبوع من الدم الموهوب أن يدوم تدفقه بعد الحرب ، فقد يصبح الدم شفاء من كل داء .

هذه هى سيماء الحرب

لم تحاول قيادة القاذفات الأمريكية فى بريطانيا ، أن تستخف يوماً ما بالطيارين الألمان وطائراتهم. فلما أعدت إحدى الشركات فى أمريكا إعلاناً ظهر فيه طيار أمريكى ، يضحك ساخراً ويسأل : « من ذا الذى يخشى طائرة فوك ولف الجديدة ؟ » قصّ أحد رجال القيادة فى بريطانيا هذا الإعلان وعلقه على لوحة النشرات فى مقرها ، وكتب تحته « وقّع هنا » ، فوقّعه جميع ضباط القتال فى الجماعة وكان قائدهم فى الطليعة [كتاب : «الهدف ألمانيا»]

* * * * * *

سئم ضباط القاذفات الأمريكية فى بريطانيا ، الوتيرة الواحدة فى البلاغات الألمانية عن غاراتهم ، فلفقوا البلاغ التالى على لسان الدكتور جوبلز .

« أقبلت أسراب كبيرة من القاذفات الأمريكية والبريطانية ، حازمة أمرها على مألوف عادتها ، على تدمير المستشفيات والكنائس ، فتصدّى لها عدد يسير من المطاردات الألمانية ، ودمرها تدميراً ، وقد هب رجال سلاح الطيران الألمانى للدفاع عن المدنيين العزل ، فأسقطوا أكثر من ٣٠٠ طائرة ضخمة ، وتركوا الخمسين الأخرى مصابة إصابة بالغة ، تتعذر معها عودتها إلى قواعدها .

« ولم نفقد أحداً من الطيارين الألمان البسّل ، ولا طائرة من طائراتنا، « وفقدنا إحدى مدننا » [فرانك شوت]

يعرف كيف يستأثر باهتمام الناس

« جيمى چميل » المصور المنقب أشد الناس فضولا في أمريكا ، يستطلع بغير خجل حياة الناس الخاصة . والناس يستحسنون ذلك

مورت وايزنجر — ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

هو أعظم الناس فضولا فى العالم ، فحين سأل ربة بيت نيويوركية عن زوجها : أهو عاشق مشبوب العاطفة ؟ صفعته . وقد سأل مرة فتاة : « لماذا تصبغين شعرك » فلكمه خطيبها على ذقنه ، وحبس . وقد قضى ليلة فى مستشفى للأمراض العقلية فى مدينة جيرسى لأنه سأل امرأة نصفا : « هل تتذكرين القبلة الأولى ، وكيف نعمت بها ؟ »

وجيمى جميل « المصور المنقب » لصحيفة ديلى نيوز النيويوركية ، يوجه آلته المصورة كل يوم إلى الغنى والفقير والشحاذ واللص ، ويحادثهم على قارعة الطريق ، لينقل صورهم وأحاديثهم إلى ستة ملايين قارئ من قراء الصحف . وقد وجه جميل أسئلته وسدد آلته المصورة ، إلى « رجل الشارع » مئتى ألف مرة خلال الثلاث والعشرين سنة الأخيرة ، ونشر من صوره فى صفحة المقالات الرئيسية من صحيفته أكثر من ستين ألف صورة ، كل ستة منها فى عمود ، وتحتها عبارة مؤلفة من خمسين كلمة ، تنطوى على الحكمة العملية التى يستخلصها من أحاديث الجماهير .

« أيجب على الزوجة أن تصدق ما يقوله زوجها فى نومه ؟ » ، « ما أكبر كذبة كذبتها ؟ »

هذا الفضول فى مصور النيوز ، زحم خطوطها التلفونية بالرسائل ، وكثير منها من قراء محنقين ، ودفع بالمحامين إلى الإكباب على كتب القانون ينقبون فيها . ولكن حين استفتت النيوز خمسة وعشرين ألف نيويوركى ، فى المقال اليومى الذى يفضلونه ، ظفر مقال المصور المنقب بالمقام الأول غير منازع .

وقد اعترف كل فرع تقريباً من فروع وزارة الحربية الأمريكية بأن جميل مكتب نشر قائم بذاته . فحين أراد الأسطول مجندين « لكتيبة البناء » ، عمد جميل إلى سؤال ستة من البحارة القدماء : « لماذا التحقتم بعمل مرهق خطر كالعمل فى فيلق البناء ؟ » فلم تكد الأجوبة الموجزة تظهر فى الصحيفة ، حتى غمر المتطوعون مكتب التجنيد .

وقد وجه جميل عدسته منذ عهد قريب

إلى ست والدات التحقت بناتهن بالأسطول وسأل كلا منهن : « كيف انتفعت ابنتك بالعمل فى الأسطول ؟ » فكانت الأجوبة الصادرة عن إخلاص من الأمهات ، باعثاً على زيادة تطوع الفتيات للأسطول زيادة سريعة كبيرة .

وقد أتقن جميل منذ سنين هذا الأسلوب البارع فى توجيه الأسئلة التى تخدم غرضاً اجتماعيا نافعاً . فحين كانت هيئة البوليس النيويوركى تجأر بالمطالبة برفع مرتبات البوليس ، انطلق جميل يسأل : «أترضى أن تكون رجل بوليس إن قضيت خمس سنوات قبل أن تبلغ مرتباً قدره ٢٥٠٠ ريال فى السنة ؟ » فكان جواب الستة الذين نشر صورهم : لا ! وانهالت الخطابات من القراء فعاونت هيئة البوليس على تحقيق طلبها .

« كيف تستوحى أغانيك ؟ » سؤال وجهه جميل إلى منشئ الأغانى ، فى شارع نيويورك المشهور باسم « زقاق بان » ، فذهب « بلى هيل » بالمصور المنقب إلى داره ، وكانت مسز هيل حاملا متبرمة ، وكان الغاز قد قطع عن الدار لأن هيل لم يوف ما عليه وهو ٣٦ ريالا . فقال بلى لجميل : «هذا هو الملهم الصادق : الحاجة إلى المال» ولم تكد تنقضى ساعات ثلاث حتى كان هيل قد لحن ثلاث أغان ، وذهب مع جميل إلى شركة تسجيل حيث عرض بيع الأغانى الثلاث بستة وثلاثين ريالا ، فسخروا بهما ، ولكن هيل باعها بعد ذلك إلى ناشر موسيقى صادق الفراسة، وقد ذاعت أغنيتان منهما ذيوعاً عظيما

ولد جيمى فى بيروت ، وذهب إلى أمريكا وهو صغير ، وكان فى الحرب العالمية الأولى ضابطاً فى الأسطول الأمريكى .

وفى سنة ١٩٢١ بدأ يعمل فى إدارة « النيوز » لنسخ الرسائل وكنس الأرض أيام الأحد ، ولكن « فل باين » محرر أخبار المدينة ، عهد إليه فى الأحد الأول ، بعمل المصور المستطلع .

ويقول جيمى : كان هذا العمل أبغض الأعمال وأحقرها ، وكان جون تشابمان — محرر المسرح بالصحيفة الآن — قد هدد بالاستقالة إن لم يعف منه . وقد نبهنى باين بقوله : « إنه لعمل بغيض ، فقد يجدع أنفك ، وقد يقبض عليك ، أو قد تكتف فى قميص المجانين » . وقد تحققت جميع نبوءات باين .

وكان جيمى يضع أسئلته بنفسه أول الأمر ولكن الصحيفة تطلب إلى قرائها الآن أن يوافوها بالأسئلة ، وتدفع خمسة ريالات لقاء كل سؤال تقبله ، ويتلقى محرر هذا الباب ألفاً وستمائة سؤال كل يوم .

ويراجع جميل بنفسه الأسئلة التى ترد

كل يوم . وقد قال فى ذلك : آخر مرة استعنت فيها بمساعد ، اختار لى أسئلة فى كل سؤال منها فخ منصوب . وراجعت الأسئلة التى نبـذها فوجدت السؤال التـالى ، وقد طلب صاحبـه أن يوجه إلى بائع أحـذية : « حين يأتى الناس لشراء أحـذية ، فماذا يعتذرون حين ترى ثقباً فى جورب أحدهم؟ » وقد يبدو سؤال كهذا هذياناً ، ولـكنه النوع الذى أطلبه ، فهو ينطوى على السمة الإنسانية ويتيح فرصة للمزاح ، ثم إنه أمر قد يحدث لكل إنسان .

وقد جعل جيمى من مقاله ركناً أصيلا من أركان الصحافة . وفى كل مدينة كبيرة من مدن أمريكا تجد اليوم صحيفـة واحدة على الأقل فيهـا مقال من هـذا النوع ، وكذلك تسـع صحف من كل عشر صحف تصدر فى معسكرات الجيش .

ويتسع هذا المقال دائماً لباب « المفقود » و « الموجود » من الناحية الإنسانية . فحين سأل جميل امرأة : « ما أعظم أمنية لك فى الحياة ؟ » ردت : « ولدى الوحيـد البالغ ١٦ سنة ، وقد فر ليلتحق بالجيش الكندى » وقرأ ضابط الوحدة هذا البيان ، فعزم على ردّه إليها ، ولم يكد ينقضى أسـبوع حتى كانت الوالدة تقـدم لابنها طبقاً شهياً من الفراخ المقلية .

وقد سأل جيمى ، منـذ عهد قريب ، امرأة جالسة على مقعد فى حديقة : « أيهما تؤثرين ، أن تنامى مع زوجك فى سرير واحد ، أو أن يكون لكل منكما سرير على حدة ؟ »

ولـكنها لم تصفعـه ولم تناد البـوليس ، وكأنها عرفت المصور المنقب ، ولعلها قالت لنفسها : « كنت أتمنى أن أقع فى شركك يوماً ما » ثم سمحت له بتصويرها ، وسجلت على نفسها ، للصحافة والتاريخ ، أنها تؤثر أن تنام فى سريرها على حدة .

حين زار أندريه موروا ، الكاتب الفرنسى المشهور ، الولايات المتحدة الأمريكية من سـنوات ، ألقى سلسلة من المحاضرات باللغة الفرنسية فى أحد أندية النساء ، وقد اغتبط اغتباطاً عظيماً بما لقيه من إقبال السيدات على محاضراته ، وانتظام حضورهن ، وعنايتهن بتسجيل مذكرات ضافية فى دفاترهن .

وذات صباح ، أقبلت السـيدات على حجرة المحاضرة فى الموعد المألوف ، متأبطات دفاترهن وأقلامهن ، فدهشن حين لم يجدن موروا ، ولبثن ساعة ينتظرنه ، وأخـيراً اتصلن بسكرتيره .

فقال السكرتير الذاهل : إن مسـيو موروا لن يحاضر اليوم ، وقد وضح ذلك فى محاضرته الأخيرة ! [إ . إ . إدجار]

إنه لبحار قدير حقاً ، هذا الذى تغلب على محنة لا تكاد تصدق !



كارل ب . وال

ملخصة عن مجلة « لبرتى »

أربعة أيام وليال قضتها سفينة الشحن « بورتو ريكان » تكافح عاصفة قطبية ، وهى الآن على مسافة من ساحل أيسلندة ، ولكن تهب عاصفة ثلجية فتحول دون الرؤية ، وتكسو ظهر السفينة وصواريها معطفاً من الجليد .

أصابها الطربيد فى الساعة العاشرة مساء فلما استيقظ البحار « اوجست والنهاوبت » أدرك على الفور ما ينبغى أن يصنع ، فقد ألف مثل ذلك من قبل .

وكان أول ما صنع أن ركع بجوار سريره ودعا دعاء قصيراً ، وكان يعتقد أن دعاءه على قصره خليق أن يقيه عاديات الفزع . ثم لبس جورباً وصداراً من الصوف ، وبنطلوناً بحرياً ومعطفاً واقياً ، ومن فوقها جميعاً كسوة النجاة ، وهى ثقيلة مصنوعة من المطاط ذات سدادات لا ينفذ منها الماء . وأخيراً ارتدى معطفاً بحرياً سميكا من الصوف يصل إلى الركبتين وله طرطور يمكن أن يجذب فوق الرأس ، ووضع فى يديه قفازين من الفراء .

كان البحارة على ظهر السفينة يتصايحون باللعنات فى الظلام ، وهم يحاولون تخليص زوارق النجاة التى التصقت بالثلج المتجمد حولها ، وانطلقوا ينشدون بصوت واحد : « واحد — اثنان — ثلاثة » ويقذفون بأنفسهم كالمنجنيقات على تلك الكتلة الثقيلة ، فكانوا كأنما يضربون بأكتافهم بناء أحد الحصون . وبعد عدة محاولات عنيدة نزع الزورق من مكانه .

وقد وصل إلى الماء يحمل عشرين رجلا أو ثلاثين ، ثم أدرك والنهاوبت أن السفينة تغوص ، وخشى أن ينقلب زورق النجاة لأن الثلج جعل فك الحبال مستحيلا .

ورمى بنفسه إلى الخلف قافزاً من زورق النجاة فى اللحظة التى غاصت فيها السفينة ، ونظر فرأى على مسافة أقدام مشعل الطوارىء مضيئاً من طوف صغير فتسلق حافته . وأحس للمرة الأولى أن يديه متخدّرتان ، فقد فقد قفازى الفراء السميكين . ولاحظ

أن في تلك الأطواف نوعاً من الخشب المشبك في الوسط ينفذ خلاله ماء البحر . ودنا أحد عمال التشحيم من جانب الطوف فجذبه والنهاوبت إليه ، ولم يكن يرتدي سوى بنطلون قصير وقميص خفيف ، فكان يرتجف من البرد .

وفي خلال الدقائق العشر التالية استطاع ستة رجال آخرون أن يصلوا إلى الطوف بعد مشقة وجهد ، وكانوا جميعاً يرتدون معاطف البحارة الثقيلة ولا شيء سواها ، أو معها قدر من الملابس قليل . وكان والنهاوبت وحده يرتدي كسوة البحارة التي لا ينفذ إليها الماء ، ولكن أيديهم كانت قد بدأت تتجمد .

وأقبل نحوهم طوف خشبي كبير حتى أصبح في متناولهم ، فأمسك به والنهاوبت وجعل من نفسه جسراً يصل بين الطوفين ، فلما عبر فوقه خمسة من الرجال زاحفين ، نظر خلفه فإذا عامل التشحيم ومعه آخر جالسان بلا حراك . وتولى أحد الرجال إمساك الطوف ، على حين راح والنهاوبت يصفعهما ويحاول عبثا أن يرفعهما على أقدامهما ولكنهما كانا قد فقدا الوعي ، وإن كانت عيونهما لم تزل مفتوحة .

وحاول والنهاوبت أن يتسلق من الطوف الصغير إلى الطوف الكبير ، ولكنه تبين أنه فقد كل سيطرة على ساقيه من أعلى إلى أسفل فساعده الآخرون على الصعود . وكان عددهم الآن ستة تجمعوا طلباً للدفء في وسط الطوف الكبير ، وقد نسج عليهم رذاذ البحر المتلاطم كساء من الثلج . واختفى بعد ذلك مشعل الطوارىء الذي كان يعلو الطوف الصغير .

وحاولوا أن يحركوا أرجلهم بين الفينة والفينة لكي يظل الدم جارياً في العروق ، ولكن الجهد كان فوق ما يحتملون . وطار عقل أحدهم — وكان إنجليزياً — فظل يتمتم قائلا لوانهاوبت : « ساعدني يا أوجي ، ساعدني » وحاولوا أن يجأروا بالدعاء ، « ولكن الأمواج كانت تملأ أفواهنا . وكنا عاجزين عن أن نسمع على كل حال » ولهذا آثروا أن يهمسوا بالدعاء همساً

وكانت إحدى الموجات العاتية لا تزال تجتاحهم كل بضع دقائق فتلقى بهم كومة واحدة ، وهم متشبثون بالحبال أو ممسكون بعضهم ببعض في الظلام . وعلى إثر إحدى تلك الموجات لاحظ والنهاوبت أن الإنجليزي قد طاح .

وفي بعض ساعات الليل ، بين فترات متقطعة من النوم ، ترددت في سمع والنهاوبت كلمتان : « أوج ، أيها الفتى » . وكانت هاتان الكلمتان تترددان في مثل الهمس

من وقت إلى آخر . وقد تبين والنهاوبت فيها صوت أصدق أصدقائه على السفينة — وهو مدفعى فى الأسطول كان ينام فى سرير تحت سريره . فأجاب صائحاً : « جون ، أيها الفتى » ، ولكنه لم يتلق جواباً ، حتى إذا لاح الفجر تبين أن صديقه قد ذهب وأنه كان يناديه وهو يهوى فى اليم .

وبعد ذلك بأمد قصير طاحت موجة كبيرة برجل آخر فتعلق بالحبال الجانبية ، وحاول والنهاوبت أن يمسك بملابسه ولكن يديه المتجمدتين كانتا قد فقدتا قوة الإطباق ، فتشابكا بالسواعد . وحاول والنهاوبت أن يجذبه ، ولكنه كان أضعف من أن يستطيع ذلك .

وظلا كذلك متشابكين نحو خمس دقائق ، « وعيناه لا تبعدان عن عينى سوى عشر بوصات ، وظل كل منا يحدق فى وجه صاحبه ، ثم قال : « أى ، أوجى ، ألا تستطيع أن تساعدنى » . فقلت : « إننى آسف ، فلست أستطيع شيئاً . ثم خارت قواه وهوى » .

وعندئذ احس والنهاوبت بالدفء والتراخى يسريان فى جسده دون أن يحس ألماً ووجد نفسه عاجزاً عن تحريك قدميه أو الإحساس بأى جزء من جسمه . وكان يستطيع تحريك ذراعيه عند الكوع ، ولكن يديه جمدتا غير مبسوطتين كل البسط .

وأدرك فيما بعد أن الموج جرف رجلا آخر ، وأنه لم يبق معه على الطوف سوى رجل واحد كان مستلقياً على بطنه عارى الرأس يغشى الثلج شعره . فناداه ، ثم زحف إليه ولكم رأسه بكوعه ، فلم يستطع أن يحركه ، لأن جسم الرجل كله كان قد جمد ملتصقاً بقعر الطوف .

لم يكن والنهاوبت خلال الساعات الست والثلاثين قد فكر فى طعام أو شراب ، بيد أنه أحس بالعطش الآن وقد أصبح وحده مع الميت .

ولما وجد الماء فى الإناء جامداً صلباً أطفأ ظمأه بعض الشىء بتحطيم الثلج المتساقط على الطوف أكواماً صغيرة ، ولحسه بلسانه .

وظل الطوف يضرب فى البحر الهائج ، وسط ريح كالإعصار شديدة البرد ، ولكى يقى نفسه وطأتها تمدد إلى جانب الميت مستدرياً به « ولم أكن أعده رجلا ميتاً ، بل شيئاً جامداً ، كقطعة من الأرض ، وكانت تغطيه طبقة من الجليد سمكها قدم » .

وكان والنهاوبت يستسلم للنوم بين الحين والحين ، غير محتفل بأن يبلله ماء البحر . وكان يخيل إليه أنه يحلم دائماً حتى فى يقظته —

وكانت معظم أحلامه تدور حول حوادث الطفولة .

وقبيل فجر اليوم الثالث سمع أصواتاً ، ولم يستطع أن يستجلى شيئاً فى الظلام ، فاعتقد أنه يهذى من غير شك ، ولكن الأصوات كانت تروح وتجىء كأنها أصوات تحملها الريح مجتازة بحيرة من البحيرات . وخشى أن يكون ذلك إيذاناً بذهاب عقله ، فأزعجه ذلك أكثر من التفكير فى الموت ، وعندئذ دفن رأسه فى معطفه وجعل يجأر فى دعائه ليطمس تلك الأصوات .

ثم عادت الأصوات أقوى مما كانت ، فاستطاع أن يستبين عبارات كاملة : «هالو ، يا من هناك ! هالو ، يا من هناك ! » فأمعن فى دفن رأسه تحت غطاء الرأس المتصل بمعطفه ، واشتد يجأر بالدعاء .

وما زال حتى أحس بصدمة عنيفة صدمت طوفه ، فرفع بصره فرأى الجانب الأربد القاتم من إحدى المدمرات البريطانية . فلم يكد يحرك رأسه حتى انفجر الذين على ظهرها مهللين ، ثم ربطوا حبل التسلق تحت ذراعيه وجذبوه فى رفق وهدوء . وسأله أحد الضباط : «من أى سفينة أنت ؟» فلما أجاب والنهاوبت ، حملق فيه الضابط ، ثم أشاح بوجهه . وعندئذ تخاذل والنهاوبت وأخذ يبكى بكاء شديداً . وقد عرف فيما بعد أن المدمرة كانت قد سمعت نداء الاستغاثة من السفينة « بورتوريكان » ، وراحت تفتش عنها ، ثم يئست وعادت إلى الميناء حين لم يبق لديها من الوقود سوى ما يكفى للعودة ، وكان هو الوحيد الذى بقى من رجال السفينة على قيد الحياة .

أعطوه شراباً ساخناً وقدراً من المورفين ، ولفوا يديه وقدميه فى منشفتين باردتين كالثلج . وكانت يداه قد ورمتا حتى صارتا فى نحو ثلاثة أمثال حجمها .

واستدعى قسيس السفينة ثم صليا معاً صلاة شكر ، ثم استغرق فى نوم عميق .

فلما أفاق بدأ الألم يتجدد ، وكان ألماً ممضّاً ، وراح العرق يتصبب منه مدراراً حتى بلل الفراش ، فأعطوه قدراً آخر من المورفين .

وبعد ثمانى عشرة ساعة أنزل إلى البر فى أحد موانى أيسلندة ، فلما أدخل المستشفى لفوا قدميه فى لفافات من القطن ورفعوهما على رافعة حتى لا تشتد سرعة الدورة الدموية فيهما ، وراحوا يغذونه بحقن مستمرة من الدم والغذاء ، ويعطونه المورفين كل أربع ساعات . وقد بلغ من شدة ألمه أن ظل يصرخ غير منقطع ، رغم ما بذل من جهد فى أن يملك نفسه .

وأصيب بذات الرئة وذات الجنب ،

فوضع فى صندوق أكسجين ، ووضعت ساقاه فى صندوقين من الثلج بعد لفهما بلفافات من المطاط تفصل بين اللحم والثلج ، ورفع الجهاز كله فوق مستوى رأسه .

ولما أخرج من صندوق الأكسجين كانت تبدو عليه آيات الانشراح ، وسرعان ما كسب صداقة عدد كبير من المرضى ، وكان الألم قد بدأ يخف قليلا فيما عدا فترات تغيير الثلج .

حتى إذا كان أحد الأيام فى الأسبوع التالى قال له الطبيب : « والآن ، يا والى ، سنبترها غداً » .

وكان يعلم أن ذلك أمر لا بد منه ، بعد أن رأى لون ساقيه ، ولكنه كان يرجو أن لا تبتر يداه أيضاً .

وأعطوه مخدراً ، ولكنه كان يحس باهتزاز المنشار الكهربائى قبل أن يستغرق فى غيبوبته ، فلما استيقظ كانت ساقاه قد بترتا ، وكذلك أصابعه حتى المفاصل إلا إبهام يمناه وإصبعين من يسراه . وقد قضى الأسابيع الأربعة التالية مستلقياً على ظهره .

ثم أنبأوه بأنه سيعود بالطائرة إلى أمريكا . ولما وزنوه كان ٨٧ رطلا بدلا من وزنه الذى كان مئة وسبعين .

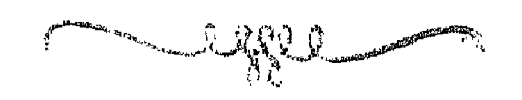
وكان فى وداعه جمع غفير من الممرضات والأطباء « وقد كنت فى نظرهم أعجوبة . وكانوا يشعرون بشىء من الفخر بى ، فقد كانوا على يقين من أننى سأموت ، ولكنهم حفظوا علىّ حياتى » .

وقضى والنهاوبت الأشهر الثمانية التالية فى مستشفى البحرية فى جزيرة ستيتن بنيويورك ، حتى إذا جاءت ليلة عيد الميلاد أهدى إليه الاتحاد البحرى المحلى ساقين ميكانيكيتين مصنوعتين من الألمنيوم ، وهو يمشى بها الآن فى شىء من السهولة مستعيناً بعصاه .

ويعدوالنهاوبت فى المستشفى نوعاً من رجال الأساطير ، فقد أشاع بينهم المرح خلال الشهور الطويلة التى قضاها فى فراشه .

وهو الآن فى السابعة والعشرين ، يدرس أصول التجارة ، لأن شركة البواخر التى تستخدمه وعدته بعمل كتابى فيها . وهو يدرس كذلك الروسية والإسبانية ، ويحب الحفلات . وقد تعلم أن يكتب خطاً واضحاً مستعملا الإبهام وبرجمة سبابته . وقد تقدم فى الخط خلال الأشهر القلائل الماضية حتى طلب إليه البنك تغيير توقيعه المسجل .

وهو يمقت أن يرثى له أحد ، ولا يطيق أحداً من الذين يأوون له شفقة على ما أصابه ، لأنه هو لم ييأس على شىء مما نزل به .



الحياة في الولايات المتحدة

كنت مسافرة بالقطار منذ زمن قريب إلى جوارى سيدة ، فذكرت لها أنى أرى أن الحرب تجعلنا أكثر اهتماماً بالغير ، فأومأت برأسها وقالت : «منذ ثلاثة أسابيع مضت أنبأتنى إدارة الجيش أن ابنى مصاب بذات الرئة ، وكان ابنى الأصغر أيضاً راقداً في البيت وقد اشتد به المرض . وفى وسعك أن تتصورى ما كان يساورنى من الهم والقلق . ثم تسلمت هذا » وأخرجت من حقيبة يدها خطاباً قرئ كثيراً . فقرأت فيه : « سيدتى العزيزة ! إن حالى لا تساعدنى على كتابة الرسائل ، غير أنى أرى ابنك يوميا ، فأنا خادم بهذا المستشفى . وقد أخبرنى بمرض أخيه الأصغر ، وأن هذا المرض حال بينك وبين زيارته لترفهى عنه . فقدرت في نفسى أنى لو أخبرتك بأنه يتقدم تقدماً حثيثاً إلى الشفاء ، وأنه دائم المرح ، وأنه مكب على القراءة ، وأنه يمزح مع الآخرين لاطمأن قلبك . حقا إن ابنك فتى ظريف دمث الأخلاق رقيق القلب . وأعتقد أنك فخورة به . وسأكلؤه بعين رعايتى إلى أن تحضرى لزيارته . المخلصة : أنا أونز »

[مارى كارتر]

اضطرت أختى ، وهى تؤدى مهمة فى منطقة جبلية بولاية كنتكى ، أن تمضى الليل فى أحد منازلها . وبينما كانت تهيئ لنفسها مضجعاً فى غرفة الاستقبال أطلت صاحبة المنزل بوجهها الهزيل من الباب وقالت : « إذا احتجت إلى شئ لا يوجد معك . فما عليك إلا أن تطلبيه ، وسنريك نحن كيف تصيرين فى غنى عنه » .

[مسز كراوفورد]

فى يوم من أيام الأحد المشرقة كنت فى ولاية داكوتا الجنوبية أساعد فلاحاً فى جمع حصاده ، فمر بنا القسيس وسأل الفلاح أهو ذاهب إلى الكنيسة أم لا . فتردد الفلاح لحظة ثم قال : « أتريد الحق ؟ إننى أفضل أن أجلس على كومة التبن وأفكر فى الكنيسة على أن أجلس فى الكنيسة وأفكر فى التبن » .

[لودفيج كوشان]

كنت ذات يوم أقوم برحلة فى شرق ولاية كولورادو فرأيت صبية تدفع عربة طفل صغير ، فيها طفل فى الرابعة من عمره ، وكان شاحباً ذا ساقين هزيلتين لا خير فيهما . وجرت الفتاة العربة على الرمل إلى ركن من أركان السور الذى يفصل الطريق العام عن شريط السكة الحديد .

راقبتها وهى تسند العربة إلى السور ثم

تتسلق أسلاكه وتطيل النظر بلهفة فى الأفق، ولما سألتها علمت أن الصبى أصيب أخيراً بشلل الأطفال، وأن أخته، وهى فى السادسة تنقله كل يوم بعد الظهر إلى هذا المكان ليشاهد مرور القطار المشيق: ستى أوف دنفر

وعندئذ سمعنا صفير القطار الأجش، فهبت الفتاة بنشاط، وقفزت إلى مؤخرة العربة وحملت الطفل العاجز وجعلته فى موقف يسمح له بأن يتعلق بآخر حاجز السور. ثم جثت خلفه وطأطأت رأسها وألصقتها بظهره، وهى ممسكة بالسور الذى أمامها. فنظر الصبى إلى القطار حتى غاب عن بصره ثم أرخى قبضته، فحملته أخته برفق إلى العربة. وعندئذ صحت متعجباً: « ولكنك يا عزيزتى لم تتمكنى أنت من مشاهدة القطار! » فرمقتنى بتلك النظرة التى يختص بها الأطفال الناضجون من يكبرهم سناً وقالت فى هدوء: « لقد رأيته قبل أن يمرض » .

[كارى دونيج]

كانت سيدة من لوس أنجيلس تنتظر صديقة لها فى محطة السكة الحديدية، وقد جلس خلفها شاب يافع يرتدى ملابس البحرية الأمريكية. فرق قلبها لنظراته الساهمة وشبابه الغض، فسألته: أما من شىء تستطيع أن تصنعه له؟ فقال لها: كلا، وشكر لها عطفها، وقال لها إنه أحوج ما يكون إلى الاستحمام، فقدمت له مفتاح مسكنها من فورها وقالت له: دبر أمرك بنفسك. وبعد ذلك ساورها القلق فيما صنعت، وتساءلت: أتراها تجد شيئاً فى منزلها متى عادت إليه؟ ثم دخلت فى المساء مسكنها بحذر، فوجدته أحسن حالا وأنظف مما تركته، كما وجدت صفا من مناشف الحمام المبللة معلقة لتجف. لقد استحم فى منزلها خمسة عشر شابا، وترك لها كل منهم كلمة شكر رقيقة!

[جان بيجى]

بينا كنت أسوق سيارتى بصحبة صديق فى طريق ريفى بألاباما أذهلنى أن أطل صديقى برأسه من النافذة وصاح: « عشرة وثلاثة أرباع » .

فاستوضحته الأمر فأشار إلى قبر منفرد مسور على حافة حقول القطن وقال: إن أحد زراع القطن ممن كان دأبهم السؤال عن آخر أسعار القطن مدفون فيه. وقد أصبح هذا السؤال عادة لازمة له حتى أن أصحابه قالوا له مازحين إنهم يعتزمون عند موته أن يدفنوه إلى جانب الطريق فإذا مروا به أبلغوه الأسعار. وراقت الفكرة للزارع فأوصى بأن يدفن فى حقله حتى يستطيع أصحابه أن يفعلوا ذلك.

[س. ت. هنتر]

من صميم الحياة

ا . ج . كرونين

أعرف هنرى أدامز من سنوات عدة ، ويحسن بى أن أبادر فأقول إنه رجل عادى جدا . وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد أخذ شعره ينحسر عن فرعه وناصيته ، وعلى عينيه الفاحصتين الزرقاوين نظارة بغير إطار تجسمها ، وهو محتسب فى شركة مقاولات كهربائية ، ومسكنه فى ضاحية أهلها من الطبقة الوسطى ، سأسميها « إلمثيل » ، وله زوجة وبنتان فى الخامسة عشرة والثالثة عشرة ، وصبى صغير عمره ست سنوات .

وليس بيته الذى اشتراه بالتقسيط المرهق، بالقصر المنيف ، ولكنه فخور به ، ومزهو على الخصوص بحديقته الخلفية — وتبلغ مساحتها نصف فدان — حيث يرتدى القديم من ثيابه ويعمل عصر السبت ويوم الأحد ، ويساعده ابنه الصغير « سامى » — وهو ينقده من الأجر سنتاً فى الساعة، على خلاف ما تقضى به قوانين اتحاد العمال ! — وقد كاد يظفر بالجائزة من معرض إلمثيل لفلاحة البساتين . وكنت منذ سنتين أزوره عصراً فى الخريف ، فأرى هذين الزميلين اللذين لا يفترقان ــ الرجل النحيف والصبى القوى المتين ــ منحنيين معاً على نبات السياج ، أو واقفين رافعين رأسيهما زهواً بعملهما ، يحرقان كوماً من الأوراق الجافة . وكان سامى شغوفاً بأبيه ، وهنرى يحب سامى .

ولما نشرت الحرب أهوالها المخربة فى أوربا ، اشتركت هذه البلدة فى حركة لكفالة الأطفال فى الأراضى التى حاق بها الدمار ، وكانت السيدة أدامز بطبيعة الحال فى طليعة القوم ، واقترحت على زوجها هنرى أن يكفلا فى بيتهما أحد الأطفال اللاجئين طول مدة الحرب ، فلم يرتح هنرى فى أول الأمر إلى هذا الاقتراح ، ولكنه لم يلبث أن فطن إلى جانبه الإنسانى فوافق فى النهاية وهو مغتبط .

وبعد أن تمت الإجراءات الرسمية ، تلقت أسرة أدامز بأن طفلا من أبناء سيليزيا سيكون من نصيبهم ، فرافقت هنرى إلى نيويورك لنجيء بالغلام وكان اسمه بول ، أما لقبه أو اسم أسرته فكان من التعقيد بحيث لم يحاول أحد أن ينطق به بعد المرة الأولى .

ولن أنسى قط أول ما وقع فى نفسى من

منظر هـذا الغلام الذى هو عرة الفزع والجوع ، وهو فى التاسعة من عمره ، وكان قاعداً على كرسى عال نخيل إلىّ أنه جمبرى على شوكة ، وكان حائل اللون كالحليب المثلوج ، وساقاه وذراعاه كأنها قصبات ، ورأسه حليق ، وعيناه سوداوان واسعتان ناطقتان بالخوف ، ولكنهما عميقتان . وكان لا يعرف الإنجليزية ، فإذا كلمته أمال وجهه ، وصعد عينيه المائلتين إلى قمة قبعتك . وكان هذا أول لقائى مع هذا الغلام الصغير الغريب — بول بيبترو ستانالسكي أو لا أدرى ما لقبه على التحقيق .

وعدنا به إلى المقيل حيث أعد له استقبال جدير بملك ، وقابلتنا لويز ، وبيتى ، وسامى ، عند الباب بلهفة ، وأقبلت السيدة أدامز تعدو من المطبخ ، وكانت النار موقدة فى حجرة الجلوس ، وعلى المنضدة شموع مضاءة ، والبيت دافىء ، ورائحة الديك الرومى المحمر تفوح فيه . وجلسنا إلى المائدة نتعشى ، وراح الجميع يجاهدون أن يشعروا الغلام أنه فى داره ، حتى لقد ترقرق الدمع فى عينى — فإنى عاطفى سخيف — ولان ، على الطعام ، ما كان جامداً من الغلام ، وجعل يرنو إلى سامى قبالته بشدة عجيبة ، ولم يلق باله إلى البنتين الجميلتين اللتين كانتا ترأمانه ، وقصر همه كله على سامى . وأخيراً انفجر ضاحكا ضحكة عالية ، ودفع يده فتناول يد سامى ، وكانت تلك منه حركة مضحكة ولكنها مؤثرة ، أضحكتنا جميعاً ، وخيل إلينا أنه خير ما حدث فى تلك الليلة الحميدة.

وقد كان ينبغى أن تكون هذه النغمة المبشرة بالخير ختام قصتى ، ولكن الحق لا يخضع لقاعدة ، وقد أخذت الأسابيع تمر ، بعضها فى إثر بعض ، فجعلت خيبة الأمل تحل محل ذلك الاستبشار الذى تفتحت به النفوس لمقدم هذا الضيف الصغير . ولم يكن ثم شىء على وجه الخصوص تستطيع أن تضع يدك عليه وتقول إنه السبب ، ولكن هذا ما كان . . . وعسى أن يكون الأمر راجعاً إلى محنة الحرمان ، أو أهوال الحرب التى كابدها . على أن المهم هو أن بول لم يكن طبيعيا ، وإنما كان مخلوقاً غريباً منطوياً على نفسه لا يبالى أن لا يطيع ، ولا قدر للشعور الأدبى عنده ، فكانت قطع النقود الصغيرة التى تترك فى البيت تغيب فى جيوبه ، ولما تعلم اللغة الإنجليزية — وقد تلقفها بمثل سرعة القرد — أظهر قدرة مدهشة على المغالطة . وكان فى المدرسة يسلى التلاميذ بقصص خيالية عن أعماله ، ويروى لهم وهو جادٌّ ممتقع اللون ، كيف أخضع الأسود وقتل أشرار الرجال بيديه ، وكانت أكاذيب أخرى ، دون هذه إمتاعاً ، تصل إلى الأسرة بطرق غير سارة .

وكان پول إذا عوتب فى أمر ساء فيــه سلوكه ، يحدق فى الفضاء بعينين زائغتين ووجه مسيح ، وكان من المستحيل أن تقسو عليه ، فقد كان مجرد ذكر التأديب يورثه أرقاً ، وتعتريه نوبات من الصياح والصراخ تتركه منهوكا ، وتترك أهل البيت جميعاً مهدودى القوى . وكان جحوداً غير شكور إلا من ناحية واحدة ، فقد كان موقفه سلبيا من البنتين بيتى ولويز ، وكان يتقبل هنرى ويبدى له رقة ولطفاً ، ويتقى السيدة أدامز ويجتنبها — فقد كانت تعنف به أحياناً — غير أنه كان يبدى لسامى ولاء كولاء الكلب لصاحبه ، فكان يتبعه كظله على نحو يربك ويحير ، فقد أحبه من اللحظة الأولى وصار لا يقوى على فراقه لحظة .

كانت هذه هى الحالة حين دخلت أمريكا الحرب ، وصار عمل هنرى أشق ، والوقت الذى يقضيه فيه أطول ، ومرتبه لا يفى بالحاجة كلها ، وأصبح الجو فى بيت أدامز يذهب بالنفس . على أن القوم اجتازوا فترة الشتاء بسلام . وجاء الربيع فانشرحت الصدور .

ثم حدث فى يوم حار من أيام يونية أن أصيب پول بوجع فى الحلق ، فأرقد فى غرفته دون أن يساور أحداً قلق عليــه ، ولـكن المرض ثقل عليــه فى صباح اليوم التالى ، فدعت السيدة أدامز طبيب الأسرة لعيادته ، فلما جاء ، بعد أن قضى وقتاً طويلا فى الصعود إليه ، تغير وجه الأمر كله من جراء ما قال ، فقــد تبين أن پول خالف ما كان قد نهى عنه فذهب يسبح فى خور قريب محظور على الأطفال أن يسبحوا فيه ، فأصيب حلقــه ، ومرض مرضاً شـديداً وسيزداد سوءاً على التحقيق .

وظل البيت أسبوعاً فى غم واكتئاب ، وكان كل من فيــه يمشى على أطراف أصابعه ، و پول فى غرفته يتقلب ويهذى من الحمى . وكان الطبيب ضعيف الأمل ، فقد كانت الإصابة وبيلة ، والمريض لا يبـدى مقاومة ، ومع ذلك شاء القدر الذى لا اطراد لما يقضى به أن ينجو . وبعـد عشرة أيام من اليأس ، جاوز مرحلة الخطر ، وطاب بصوت وهنان أن يرى سامى المحبوب ، وكان هذا مستحيلا مخافة العدوى ، وبعث إليه الأطفال بالتحيات والفاكهة ، وعاد البشر إلى البيت وتنفس أهله الصعداء .

ثم حدث فى يوم سبت — بعـد ذلك بيومين — أن دخل هنرى أدامز على سامى ليدعوه إلى طعـام الإفطار ، فكاد يسقط على الأرض من هول ما رأى ، فقد وجد پول راقداً مع سامى على سريره ، وذراعه على عنقــه ، وفمه قريب من فمه ، وكان قد تسلل إليه دون أن يوقظه ، قانعاً بأن يكون

إلى جانبه مكتفياً بهذا القرب مرضاة لحبه .

ونظر إلى هنرى أدامز وابتسم . أما سامى فمرض عصر ذلك اليوم ، ولم يشف قط ، وإن كانوا قد فعلوا كل ما يدخل فى الوسع ، فمات من العدوى بعد أربعة أيام .

وكنت بعيداً فى ذلك الوقت ، ولا بد أن رسالة التعزية التى بعثت بها إلى هنرى ، على كل ما فيها من العطف القلبى ، بدت لهذا الوالد الثاكل تافهة جوفاء ، فقد كنت أعرف مبلغ حب هذا الرجل الصامت لابنه . وكان سامى قرة عينه ، وكان علمى هذا هو الذي أثار نفسى وألهب غيظى فكتبت إليه أدعوه أن يتخلص من هذا الكابوس الذى لا يطاق — هذا الغلام الذي قام له بكل شىء ، فكان جزاؤه منه هذه النكبة . وهناك ملاجىء لأمثاله من الأطفال الشاذين ، وفى إحداها يجد پول التعس كل ما يحتاج إليه ، وناشدت هنرى ملحا أن يضع عبئه عن كاهله .

وكان الخريف قد انقضى وأقبل الشتاء حين عدت إلى إلمقيل ، فأسرعت إلى هنرى أدامز ، ولما درت بطوار الطريق ودنوت من البيت المنكوب ، وقفت وبى شكة ألم ، وتولانى الذهول والإنكار ، فقد رأيت هنرى — وقد ازداد نحولا وأقرسه البرد — فى ثيابه القديمة المعهودة ، واقفاً يعمل فى حديقته التى لا زهر فيها ولا نضرة ، يساعده بالجاروف والعجلة ، غلام صغير ، فأحسست أن قلبى قد انقلب فى جوفى ، وخيل إلىّ أنى أرى شبحاً — ثم تبينت بول .

ودلفت إليهما على مهل وقلت بعد تبادل التحيات : « ألا يزال معك ؟ »

فقال وهو يتقى النظر إلىّ : « نعم ، لقد تحسن كثيراً فى المدة الأخيرة ! وصار أهدأ وأذكى . . . أظن ذلك راجعاً إلى أقراص يعطونه إياها . — فيها خلاصة غدد » .

وطال الصمت ونحن ننظر إلى الغلام وهو يحمل الدريس من العجلة ، فلما دنا منا اضطرم وجهه من نظرة العداء التى رميته بها ، وكان خجله أول مظهر إنسانى رأيته فيه ، ولكنه لم يكن يكفى لإزالة موجدتى عليه ، وغلبنى الشعور بمرارة الثلم فصحت : « كل ماأستطيع أن أقوله هو أنه ذو حظ عظيم . . . هذا الپول بيوتروستانالسكى أو لا أدرى ما اسمه المشئوم »

فأحاط هنرى بذراعه كتف الغلام ، والتفت إلىّ ، وأولانى ابتسامته الهادئة التى لا تخلو من خجل وقال : « لن يتعبك اسمه بعد اليوم ، فإنه الآن بول أدامز ، نعم فقد تبنيناه ! »

[مصادفات التاريخ ، طموح نابليون إلى غزو العالم ، جرأة سياسي تكون ثمرتها الإمبراطورية الأمريكية فى الغرب]

قصة شراء لويزيانا

ادوين مولر

كان شراء الولايات المتحدة لصقع لويزيانا المترامي الأطراف سبباً فى أن جعل من أمة مجاهدة من أمم الطبقة الثالثة دولة واسعة عظيمة ، على أن ذلك لم يكن ثمرة خطة مدبرة أو سياسة بعيدة النظر ، وإنما كان فرصة سعيدة غير منتظرة ، اغتنمها وبت فيها برأى قاطع رجل كاد ينساه التاريخ . لم يكن يخطر ببال أحد أن روبرت لفنجستون رجل يصلح للأعمال التى تحتاج إلى جرأة وإقدام ، فقد كان من الطراز الذى يلتزم الحذر ويتحرى التدقيق ، وكان عمله فى الكونجرس الأمريكى ينم على المثابرة والأمانة ، ولكنه لا يسترعى الأنظار .

ففى سنة ١٨٠١ عينه توماس جفرسون سفيراً فى فرنسا ، وكانت مهمته الأولى أن يستوفى بعض الحساب ، وذلك أن الفرنسيين فى حروب نابليون هاجموا السفن الأمريكية وصادروا شحنها ، ولكن العلاقات تحسنت وبدا أنه من المحتمل أن تستطيع أمريكا استرداد بعض الخسائر التى احتملها أصحاب السفن الأمريكية ، وكانت هذه هى مهمة لفنجستون .

فأقام فى شقة متواضعة من منزل يشرف على حديقة فى شارع شوسيه دانتان ليمضى فى عمله ، وكان عليه أن يفاوض تاليران وزير خارجية نابليون الداهية القلّب ، ولم يستطع هذا الأمريكى المستقيم أن ينال شيئاً من ذلك الرجل المراوغ ، وكلما حاول أن يقيده بوعد راغ منه . وكان يضعف قوة لفنجستون أنه لا يجيد الفرنسية ، ومرّت الشهور ولم تتقدم المفاوضات ، فدبّ اليأس فى نفس لفنجستون وكتب إلى جفرسون : « لا أرى فائدة ترجى من وجود وزير هنا » .

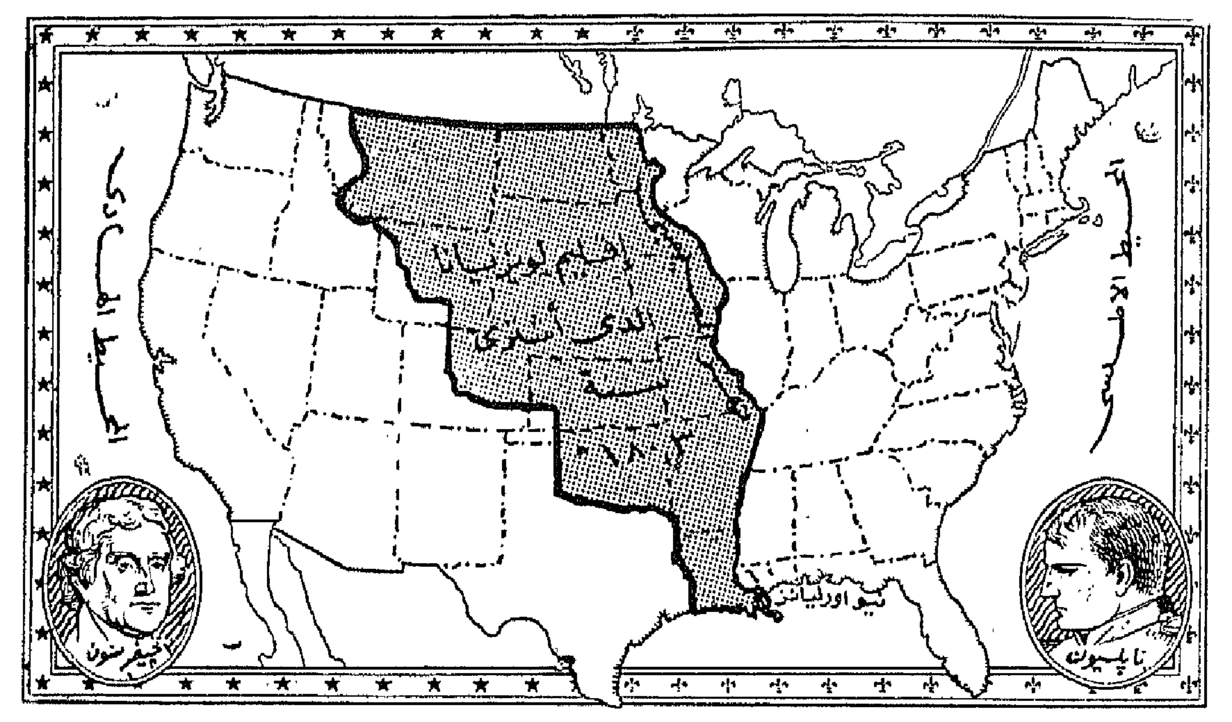
ولكن سرعان ما جدّ موقف أعظم شأناً من جمع المال المستحق ، ولكى نفهمه لا بد لنا أن نتحول من باريس إلى غابات أمريكا الشمالية .

ففى ذلك الحين كان يقيم نصف مليون أمريكى فى غرب جبال « أليجانى » من أعلى وادى نهر المسيسبى إلى أسفله ، وكانوا يعيشون جماعات مستقرة ، ويعتمدون فى حياتهم على التجارة مع سائر وطنهم وباقى

العالم ، ولم تكن الطرق البرية قد مهدت بعد ، ولكن الطبيعة قدأعدت خير طريق للتجارة وهو نهر الأوهايو العكر ، ونهر المسيسبي المتسع ، وكان هذا النهر هو شريان الحياة في الغرب .

وكانت الإقامة إلى جانبه مباحة حاشا مصبه ، فقد كانت أسبانيا لا تملك قطر لويزيانا الواسع الواقع وراء النهر فحسب ، بل كانت تملك أيضاً جانبي مصبه عند نيو أورليانز .

وكان دون كارلوس الرابع الإسباني المستضعف يحكم ، اسما لا فعلا ، أقوى إمبراطوريات الأرض — ولكن أحداً لم يكن يحفل به . ولم يجد سكان الشقة الغربية مشقة في الاتفاق معه على مصب المسيسبي ، واكتسبوا في نيو أورليانز مايسمى « حق الإيداع » ، فالبضائع الواردة من طريق النهر تفرغ من



[مقامرة لفنجستون بمبلغ ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال أمريكي جعلت الولايات المتحدة تملك مساحة من الأرض تعادل أربعة أضعاف مساحة فرنسا ، ويعيش فيها الآن ١٨ر٠٠٠ر٠٠٠ أمريكي . وهذا الإقليم الرحب ينتج سنويا ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ بالة من القطن ، وبليوناً ونصف بشلا من القمح والغلال ، و ٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ برميلا من الزيت ، ومن المعادن ما يعادل ٨٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ريالا أمريكيا، وماشيته وخنازيره قيمتها تعادل ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠، وعاصمته سنت لويس ،وهي تصنع منتجات تساوي ١ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال أمريكي سنويا] .

القوارب النهرية وتحفظ فى المخازن حتى يتسنى شحنها فى السفن التى تمخر المحيط .

وفى أواخر القرن الثامن عشر اطرد نمو التجارة ، وكانت تتجمع هناك براميل الدقيق وبالات القطن ، والطباق ، ولحم الخنزير المملح ، والرصاص ، وعجلات عربات النقل ، واللحم البقرى ، والفراء ، والجلود ، وأكثر ذلك كان يعد للإصدار .

وهكذا رغدت عيشة الغرب ونمت ثروته ، وكان يمكن أن تطرد هذه الزيادة لولا رجل واحد .

فعند نهاية القرن سيطر نابليون على أوروبا بجيوشه ، وكانت إنجلترا وحدها تتحداه ، وكان قد صمم على أن يحدث تحولا كبيراً فى خطته التى ترمى إلى غزو العالم ، فعقد هدنة مع إنجلترا ، وحول اهتمامه إلى العالم الجديد ، وأرغم دون كارلوس فى بادىء الأمر على أن ينزل له عن إقليم لويزيانا جميعه ، واختار مستعمرة سانتو دومنجو الفرنسية لتكون قاعدة لأعماله ضد العالم الجديد . وكانت ثورة العبد الأسود توسان لوفرتير قد أضعفت نفوذ الفرنسيين هناك ، فأرسل نابليون الجنرال ليكليرك لكى يعيد النظام فى الجزيرة .

ثم أرسل رسله إلى نيو أورليانز لتأليب القبائل الهندية على المقيمين فى الإقليم الأمريكى الغربى ، ونظم حملة حربية للإبحار إلى دلتا المسيسبى ، فإذا استطاع أن يستولى على مصب النهر وأن يسده فى وجه التجارة ، سقط الغرب كله فى يده . وقال لأخيه يوسف مختالا فخوراً : « فى مدى سنتين سنكون سادة العالم » .

وأخذت الأنباء تسرى فى تلك الأنحاء ، وعرف هذه الحركات كل من هب ودب فى كنتكى وأوهايو ، وأدرك الناس مغزاها ، ولم يكن فى نيتهم الصبر عليها . وبدأ المحامون عن الدمار يمارسون التدريب الحربى ، وكانت حملة من كنتكى على أهبة الزحف إلى نيو أورليانز حتى قبل أن يُعلم ما تنوى أن تعمله حكومة الاتحاد الأمريكى .

وكان الرئيس جفرسون فى حيرة من أمره ، فقد كان رجل سلم ، وقد قاوم طلب إسكندر هاملتون إذ طلب أن يستولى على نيو أورليانز عنوة ، فهو الآن يحاول أن يكبح الغربيين عن استعمال الشدة .

ولم ير جفرسون سوى فرصة واحدة قليلة الرجاء لتجنب الحرب ، فربما اكتفى نابليون بباقى إقليم لويزيانا الشاسع الأرجاء ، وسمح لنا بشراء نيو أورليانز . وكانت المسألة تستحق المحاولة ، فظفر من الكونجرس بتخصيص مبلغ ضخم هو ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وأرسل رسالة مستعجلة إلى لفنجستون فى

باريس : « اشتر سو أورليانز وغرب فلوريدا أيضاً إذا استطعت » .

فعرض لفنجستون الأمر على تاليران ، وحاول بكل ما فى طاقته من قدرة على الإغراء ، أن ينتقص من قيمة نيوأورليانز : « إنها مدينة لا خطر لها ، قائمة فى البرارى ، ليست سوى رملة قفر ومستنقعات غائرة ، بلدة صغيرة مبنية بالأخشاب . . . ليس بها سوى سبعة آلاف نسمة » .

واكتفى تاليران بأن ينظر إليه وأساريره لا تنم على شىء . وعندئذ وردت أنباء تنذر بالسوء من الغرب ، فحق الإيداع فى نيوأورليانز قد الغى ، وتكدست البضائع على الأرصفة ، وبادر الغربيون إلى التأهب لخوض غمار الحرب .

وكان ذلك فى ربيع سنة ١٨٠٣ ، وقد أخذت تعود إلى حديقة شارع شوسيه دانتان نضرتها وخضرتها ، ولكن لفنجستون لم يحفل بذلك ، ولم ير أمامه سوى الحرب والخراب .

وفى ١١ أبريل قابل تاليران وأعاد على سمعه حججه القديمة ، وأصغى إليه تاليران مرة أخرى صامتاً ، ثم التفت إليه تاليران بغتة ونظر فى عينيه : « ماذا تدفعون فى مقابل لويزيانا برمتها ؟ » .

فذهل الأمريكى وأمسك عن الجواب ، فقد أوفد ليشترى مدينة صغيرة وساحلا ضيقاً ، والآن يعرض عليه نصف قارة ، وقد فوض إليه الكونجرس أن ينفق ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وهو الآن لا يستطيع أن يقدر المبلغ الذى يقتضيه هذا العرض إلا تخميناً .

وكان على لفنجستون أن يبت فى الأمر بنفسه ، إذ كانت استشارة الرئيس تستغرق أسابيع وثاب إليه جأشه ، فإذا هو أحد تجار الخيل فى السوق ، كما وصف نفسه ، وقال : « إخالنا لا نعارض فى دفع مبلغ عشرين مليوناً من الفرنكات » وهذا المبلغ يعادل بالعملة الأمريكية ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال أمريكى .

وطبعاً اعترض تاليران بأن هذا المبلغ جد قليل ، ولكن حين افترقا كانت مسألة الشراء قد بت فيها ، ولم يبق إلا المساومة على المبلغ . فلماذا عرض نابليون هذا العرض؟ لقد كان ذلك من أحاجى التاريخ ، ولكن ربما كان سبب ذلك أن خطته فى غزو العالم الجديد كانت جميعها معرضة للخطر .

فالحملة الفرنسية تحت قيادة ليكليرك قد هزمت السود فى سانتو دومنجو فى الحرب ، ووقع زعيمهم توسان فى قبضتهم مغدوراً به ، ولكن هذا لم يخمد الثورة . وجاءت رسائل من ليكليرك عن حرب العصابات وعن

كثرة الوفيات فى الجيش الفرنسى بالحمى الصفراء تثير القلق ، ثم جاءت رسالة يناير سنة ١٨٠٣ عن موت ليكليرك وساءت الروح المعنوية فى جيوشه وكادت تبيد .

فتبين لنابليون أنه قد خسر سانتو دومنجو ، فصمم على الإقلاع عن مغامرته الغربية وعلى مهاجمة إنجلترا ، وأن ينفق فى سبيل الحملة الجديدة هذا المال الذى حازه ثمناً للويزيانا . وهذا هو سبب عرض لويزيانا على لفنجستون الذاهل المتعجب .

ووصل جيمس منرو رسول جفرسون إلى باريس ، وقد أرسله ليساعد لفنجستون فى حماية المصالح الأمريكية بعد سحب حق الإيداع . وتنفس لفنجستون الصعداء ، واطمأنت نفسه لما أقره منرو على الرأى الذى قطع به ، وتعاونا فى المساومة التى تلت ذلك .

وكان الطرفان كلاهما فى موقف غير قانونى ، فلم يكن عند الأمريكيين تفويض من الكونجرس بشراء لويزيانا ، وتاليران ونابليون (ولم يكن نابليون قد ثبت سلطته الديكتاتورية بعد) لم يكن لهما حق يخول لهما بيعها .

وبرغم ذلك سارت المساومة فى طريقها ، ومثل تاليران رئيسه فى صورة غير المكترث للبيع . والواقع أن تاليران لح إلى أن نابليون قد بدأ يعيد النظر فى العرض ، وكان فى هذا القول من الحق ما كفى لجعل أواخر أيام أبريل شديدة الحرج على الولايات المتحدة . فنابليون كان يهم بأن يجعل نفسه إمبراطوراً ، على أنه كان حريصاً فى نفس الوقت على أن لا تحمّل مكانته فى نفوس الناس عبئاً كبيراً ، فكيف يحتملون ضياع سانتو دومنجو ولويزيانا معاً ؟ .

واعتزم أخواه جوزيف ولوسيان على أن يثنياه عن بيع لويزيانا ، فحضرا لمقابلته ذات صباح ، وقد بكرا فى الحضور . وكان لا يزال فى الحمام ، وكانت الحجرة ملأى بالبخار والعطر ، وكان الوقت غير ملائم للمداولة فى الأعمال .

على أن جوزيف ولوسيان أحسنا إقامة الحجة ، ولو تم ذلك فى حال أخرى ، فربما كانا أصابا التوفيق ، ولكن نابليون كان فى حالة من الحالات التى تعظم فيها ثقة الإنسان بنفسه . ففى الليلة السالفة كان قد ذهب إلى الكوميدى فرانسيز ، وهناك قوبل بترحيب عظيم ، فهو فى هذا الصباح وهو ينعم بحمامه الساخن ، واثق بأنه يستطيع أن يصنع ما يشاء بالناس والنظم .

وأخيراً اشتد غضب جوزيف ، فتقدم من حوض الماء مهدداً : « سأضع نفسى على رأس المعارضة إذا اقتضى الأمر » ،

فضحك منه نابليون . فصاح جوزيف وقد احمر وجهه من الغضب : « اضحك اضحك ، إذن فسأبرّ بوعدى » .

فثار غضب نابليون وصاح به : « أنت وقح » وقام من حمامه وهو ينتفض غضباً ، ثم عاد وألقى بنفسه فيه ، فغمرت المياه الساخنة المعطرة جوزيف . ولم يستطع أحد بعد ذلك أن يعارض بنجاح عزمه على بيع لويزيانا .

وبعد مساومة طويلة تم الاتفاق على أن يكون الثمن ١٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، ووقع لفنجستون ومنرو المعاهدة ، ولا بد أن رجفة عرتهما وهما يفعلان ذلك ، فقد وضعا توقيعهما على مبلغ أعظم من الدخل السنوى للولايات المتحدة بأسره .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى تعنية نفسهما ، فقد أقر الرئيس والمجلس الشراء بحماسة . نعم إن جفرسون كان قد أقلقه الأمر لأنه لم يستطع أن يجد له سنداً من الدستور ، ولكنه وافق بعد تردد نزولا على رأى مستشاريه و « اعتماداً على حسن إدراك الشعب » .

وهتفت الجموع الحاشدة فى نيو أورليانز حينما شاهدت رفع العلم الأمريكى على الكابلدو ، وعادت الزوارق النهرية العريضة تتزاحم عند مصب النهر على متن فيضان الربيع .

وأنفق نابليون كل ريال تسلمه فى إعداد الحملة ضد إنجلترا ، ولم تسفر المسألة عن شىء ، فإن فيالقه لم تعبر المانش ، وظلت صنادل غزوه على رمال الساحل فى بولونى حتى عاث فيها البلى .

وبدأت الولايات المتحدة تعرف فى السنوات التالية أي قطر رحب غنى قد مكنها لفنجستون من الظفر به . وأرسل لفنجستون الرواد لويس وكلارك إلى الشمال الغربى ، وزبولون وبايك إلى الجنوب الغربى ، ووضعت تقاريرهم أساس الهجرة العظيمة إلى ما وراء المسيسبى ، فمهّدت لقيام ملك عظيم فى الغرب . وهكذا استطاع لفنجستون باستفادته من فرصة سعيدة سنحت ، أن يظفر بما سماه هنرى أدمز : أعظم نجاح سياسى فى التاريخ الأمريكى .

العلاقات المتوترة

ظفرت سيدة من محكمة فى شيكاجو بحكم طلاق حين أنبأت المحكمة أن زوجها من عشاق روايات الجرائم ، وأنه يشغل معظم السهرات بإلقائها على الأرض كأنها « جثة » ، ليتمكن من تصور الأحوال التى حدثت فيها الجريمة التى يطالع قصتها .

[مجلة تايم]

ألا تؤمن بالصلاة والدعاء ؟

بريسى واكسمان + + ملخصة عن مجلة « كوزموبوليتان »

« هناك فى ظلام الأدغال ، حيث تومض النجوم وتتلامح يستطيع ذوو الشجاعة من الناس أن يناجوا ربهم فيسمع نجواهم » .

حاول الدكتور لفنجستون مرة أن يصف الثلج لأحد شيوخ القبائل الإفريقية ، فانفجر هذا ضاحكا ساخراً . ولما كان هذا الإفريقى لم ير الثلج قط ، فقد أبى أن يصدق كلمة مما كان لفنجستون يقول.

والدنيا غاصة بمن لا يؤمنون بالصلاة والدعاء ويأبون ، كهذا الإفريقى المستوحش ، أن يؤمنوا بحقيقة شىء ما يتجاوز ما تتناوله حواسهم الخمس .

وكان أحد العلماء النفسانيين يتكلم فى « معجزات » الحرب التى كثرت الكتابة عنها ، فصور الأمر على النحو الآتى، قال: «يمكن أن نشبه رحمة الله بمولد كهربائى، وفى وسعنا أن نستمد قوة هذا المولد إذا وصلنا أنفسنا به بدعاء الله، أو نستطيع أن نثبت أنه لا أثر له فى حياتنا بأن نرفض أن نصل أنفسنا به بالدعاء ، فنحن وما نختار » .

وسئل عالم طبيعى مشهور : إذا رأيت قضيباً من الصلب سابحاً فى الجو فكيف تفسر هذه الظاهرة ؟ فقال: « إذا اتفق أن أرى شيئاً ، كهذا فإن معناه عندى يكون أن قانوناً من قوانين الطبيعة قد تعطل إلى حين » .

ولكن توماس هكسلى وهو من مشاهير علماء الحياة لما ألقى عليه هذا السؤال كان جوابه: « إذا رأيت الصلب يسبح فى الجو فإنى خليق أن أعرف أن هذا يثبت وجود قانون للطبيعة أنا به جاهل » .

واليوم تتدفق الأدلة التى لا تنقض من كل ناحية على فضل الدعاء وقوته . وليس مما يدهش أن يتوجه الناس فى ساعة الشدة والحاجة إلى قوة خارجية ، والشىء الوحيد المدهش فى هذا هو أن نراه مدهشاً . وما يصنع هؤلاء المصلون من الجنود والبحارة والطيارين إلا كما صنع لنكولن الذى قال فى أحلك أيام الحرب الأهلية: « بغير معونة الله الذى هو معى لا أستطيع أن أنجح ، وبهذه المعونة لايمكن أن أخفق» . ولا يكاد يوجد فوق الأرض مخلوق لا ينطوى على شىء من الشوق الروحانى ، أو هو شعر

باطن منهم بأن هنـاك قوة يتوجـه إليها بفطرته .

حدث لما اضطر الماجور ألن لندبرج — من وستفيلد بولاية نيوجرسى — وهو يقود إحدى القلاع الطائرة ، إلى النزول فى البحر فى طريقه إلى أستراليا ، أن ساد الاعتقاد بأنه هو والتسعة الذين معه فقدوا.

وفى هذا يقول الماجور لندبرج: «تمكنا من الخروج على طوفين من المطاط ، وكدنا لا نفعل ، ولم تكن معنا كسرة من خبز أو قطرة من ماء ، وكان رجال الطائرة كلهم قلقين — كلهم إلا الشاويش ألبرت هرناندز المدفعى الخلفى ، وقد عكف من فوره على الدعاء والابتهال، وسرعان ماراعنا بقوله إنه يعرف أن الله قد استمع إليه وأنه سيساعدنا » .

وظلوا يهيمون تحت شمس محـرقة ، وقد تشـققت شـفاههم وورمت ألسنتهم فعجزوا عن مجـاراة هرناندز فى التهليل والتسبيح ، ولكنهم كانوا يدعون مع ذلك. وبعد ثلاثة أيام ، وقبل دخول الليل لمحوا معالم جزيرة صغيرة ، وما لبثوا أن شاهدوا ما لم يكن يجرى لهم فى خلد ، فأقبلت عليهم ثلاثة زوارق فيها رجال عراة الأجساد ، واتضح أن منقـذيهم من أهل أستراليا الأصليين — وهم صيادون سود الأجسام منفوشو الرءوس ، وقد جاءوا من داخل البلاد على مسافة مئات من الأميال ، وقالوا للندبرج إنهم كانوا يهمون فى اليوم السابق بالرجوع بصـيدهم إلى محلتهم ، ولكنهم أحسوا بدافع غريب إلى تغيـير اتجاههم، فجاءوا بزوارقهم إلى هذا الشاطئ المرجانى المهجور الذى لا قيمـة له ، وهناك لمحوا لندبرج وزملاءه .

« الشدائد والكرب طريق لرحمة الله»

فى هذه العبارة لخص جون فليفل الأمر فى القرن السابع عشر . وهـذه الحقيقـة الروحانية لا يزال يهتدى إليها كثيرون لم يعتادوا الدعاء ، غير أنهم فى ساعة الضيق وجدوا أن يد الله تمتد إليهم . ومهما تكن الأخطار التى تواجه الإنسانية فإن الإيمان بقوة علوية خارجـة عن أنفسنا ، يمحو الخوف والشك من العقل ، وقد قال كاريل مرة : « إن الصلاة والدعاء ، وهما أعمق موارد قوتنا وكمالنا ، قد أهمل صلاحهما إهمالا شائناً » .

★ ★ ★ ★ ★ ★

● كل امرئ جاهل ، ولكن موضوعات الجهل تختلف . [ول روجرز]

● إن ما تحتاج إليه البلاد هو أيد قذرة وعقول نقية . [ول روجرز]

مشكلة زوجات المجندين

زوجات المجندين يرسلن إلى هذا القسم الخاص من وزارة الحربية مليون خطاب كل شهر

جسرتا بالمسر • • ملخصة عن مجلة "ذى ومانز برس"

إن أضخم مبلغ يقوم بصرفه رجل واحد هو ذلك الذى يصرفه البريجادير ه. ن. جيلبرت، مدير إدارة الإعانات العائلية، فقد صرفت إدارته حتى الآن إلى أسر جنود الولايات المتحدة مبلغ ٣٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار. ومن مكاتبه الرئيسية فى نيوارك بنيوجرسى يخرج ٥٫٢٥٠٫٠٠٠ شيك فى الشهر، تبلغ قيمتها ٢٧٣ مليون دولار.

والجنرال جيلبرت ضابط فى الجيش العامل، ويعتقد زملاؤه الضباط أنه يشرف على أحفل إدارات الحرب بالجهد والنصب، فإن خمسة آلاف شخص ممن يعولهم الجيش يسافرون يوميا، ولايترك بعضهم عناوينهم، وقد تغير الشيكات التى تصرف شهريا بسبب المواليد والوفيات فى آلاف من الأسر.

ومتى تزوج جندى أمريكى فى أية بقعة على سطح الأرض، فإن أول من يعلم هى إدارة الإعانات العائلية. فترى زوجات الجنود فى ٥٠ أمة يطلبن المعونة والنقود بسبع وثلاثين لغة، منها لغة ويلز، وروتينيا، والإسكيمو، والسلوفاك، والصين. وكثير من العرائس يطلبن إلى هذه الإدارة أن تهيئ لهن أسباب الانتقال إلى الولايات المتحدة لكى يعشن مع أسر أزواجهن، كما يستنجد بها غيرهن من المفلسات فى البلاد التى لايمكن أن ترسل إليها النقود أثناء الحرب. ويصل إلى إنجلترا من إدارة الإعانات ١٧٠٠ شيك وإلى أستراليا ١٠٠٠، وإلى أيسلندة ٨٠٠

وبريد هذه الإدارة من التعقيد بحيث يحتاج فرزه إلى ٢٤٠ قارئاً هيئوا لهذا العمل. وتتراوح الإعانات بين ١١ دولاراً، وهو مايصرف لأخ يعوله الجندى فضلا عما يصرف لوالديه، و ٣٤٠ دولاراً، وهو ما يصرف لزوجة لها ١٤ طفلا. وقليل من مرسلى الخطابات من يفرق بين المبالغ التى يتنازل عنها الجنود من مرتباتهم لذويهم، وإعانات الأسرة التى تدفع إجباريا ويضم إليها شىء من الخزانة العامة لمن يعولهم المجندون. وتتسلم الإدارة آلاف المكاتبات التى تشكك فى شرعية بعض عقود الزواج، وتحول هذه الرسائل إلى قسم الشئون القانونية. وأما المكاتبات التى تدل على اضطراب عقل أصحابها فتعرض على متخصص فى الأمراض

العقلية، وأما أعسر المسائل فتحول إلى الجنرال.

ومن ذلك أن أحد الجنود متزوج باثنتين منذ ١٥ سنة ، وله بيتان فى مدينتين ، فهل يهتك الجيش سره ؟ ويقول الجنرال إن الجيش يصرف للزوجة الأولى ، ومتى طلبت الزوجة الثانية الإعانة أحيلت على الجندى ليفسر لها الأمر كما يشاء .

وقانون قبائل الغجر يلزم الرجل بأن يعول اليتامى من أبناء أخيه وأخته ، فهل يعولهم الجيش إذا كان المجندون من الغجر ؟ أجل .

وهل يعترف الجيش بزواج يعقد تلفونيا بين جندى فى هاواى وفتاة فى كاليفورنيا ؟ كلا ، لأن قوانين كاليفورنيا لا تسمح بذلك ، أما إذا تحدثت بالتلفون من ولاية قوانينها أكثر حرية ، فإن الجيش يعترف بهذا الزواج .

وهذه فتاة تزوجت من ثلاثة عشر جنديا ، ولم تطلق أحداً منهم ، فهل يعولها أحدهم ؟ نعم ، وهو الأول .

وليس هناك أى قانون يلزم الضابط بأن يدفع لزوجه من ماله ، لأن نظام إعانة الأسرة يسرى على الجنود وحسب . وقد رفض بعض الضباط أن يخصص شيئاً لزوجه، فتصله من الجنرال رسالة شديدة اللهجة تذكره عما ينبغى من « السلوك اللائق بالرجل المهذب » ، وغالباً ما تؤدى هذه الرسالة إلى نتائج حسنة .

ومن بين مشاكل الزوجات التى تعرض على إدارة الإعانات أمثال هذه الأسئلة :

« هل تنصحوننى بشراء سيارة نزهة للأسرة؟ »

« وما هى السبيل التى أسلكها لرهن منزلى؟ »

« وما السبيل إلى شراء بستان برتقال ؟ »

« وكيف أدير الزراعة على أساس المناوبة فى المحاصيل ؟ » « وأين أحصل على ثمن معقول للبيض ؟ » .

وتنشأ عن الأسماء المتشابهة صعوبات جمة ، فمن بين المجندين ٦٨٫٠٠٠ رجل لقبهم سميث ، منهم ٣٤٥٠ اسمهم جون ، وكذلك ٤٦٫٠٠٠ رجل لقبهم جونسون ، منهم ٢٥٧٠ اسمهم وليم . وقد فحصت الإدارة أخيراً أمراً غريباً ، فإن أحد سعاة البريد كان يسلم شهريا شيكين متماثلين فى منزل واحد ، وقد وجد المحققون أن هناك فتاتين اسمهما « جرترود » متزوجتين من رجلين اسمهما « جون جونز » تقطنان فى هذا المنزل ، وكانا لهما الحق فى الإعانة .

وتجد فى ملفات الإدارة رسائل كثيرة كالرسالة الآتية ، يرفض فيها أقارب الجنود الإعانات التى يستحقونها . فقد كتبت سيدة من أوهايو تقول : « أرجو قطع إعانتى حالا ، فقد حصلت على وظيفة لا بأس بها .

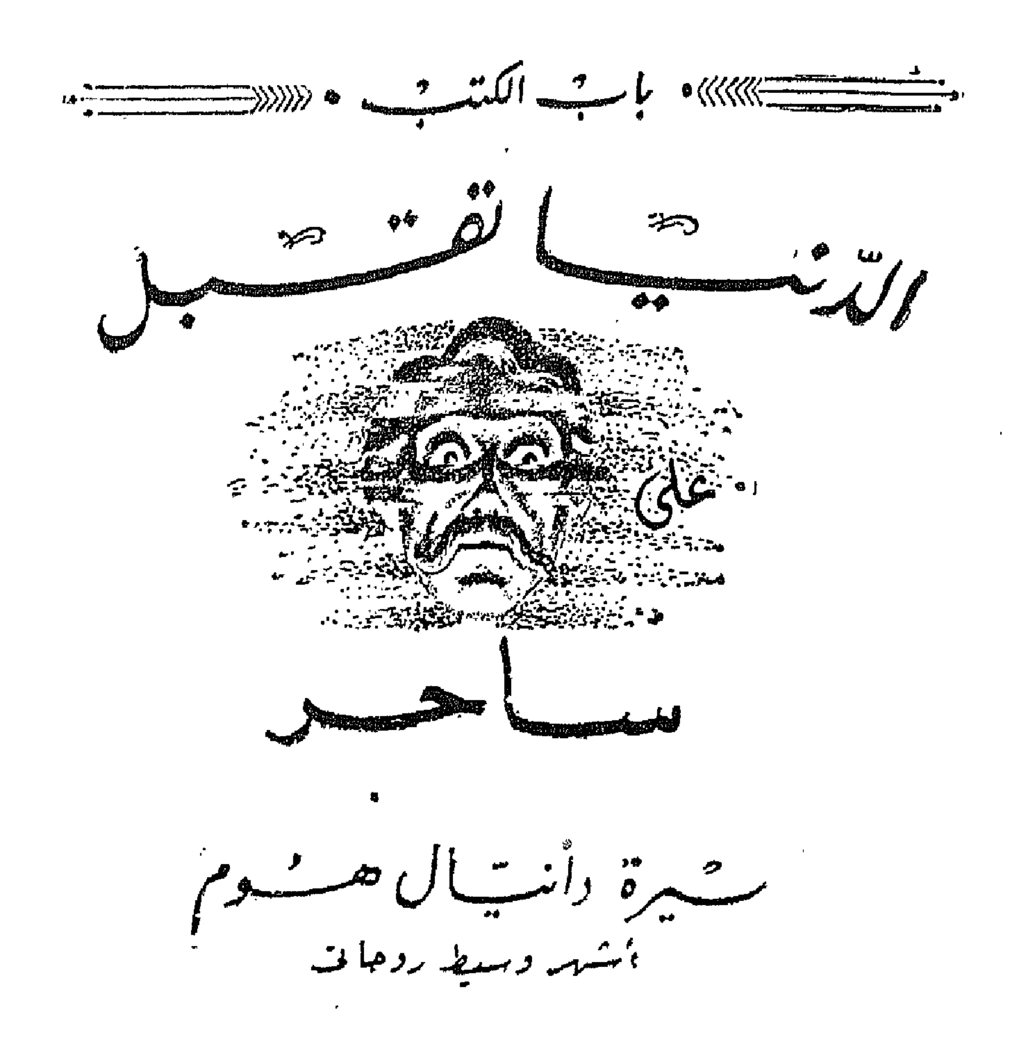
أرسلوها إلى حماتى ، ولكن لا تخبروها أنها منى » . وقد ختمت أسرة أحد الجنود فى أوريجون بيانها عن ميزانيتها بقولها : « أظن أننا نستطيع أن ندبر حياتنا بغير معونة . ومن يدري فعسى أن تكون هذه المعونة هى الضغث الحاسم الذى يقصم ظهور اليابانيين » .

وتصل الإدارة فضلا عن ذلك رسائل تنقد الجيش نقداً شديداً لعدم إرسال النقود ، فتوجد بعد ذلك منسية فى مكان خفى . وتتلقى الإدارة بالتفصيل مصير بعض الشيكات التى ترسلها : « كنت أحلب البقرة فطار الشيك فمضغته البقرة » ، « لقد غسل الشيك وغلى مع الملابس » ، « ها هو الشيك قد غدا رماداً ، فأرسلوا شيكا آخر بدلا من الذى احترق » ، فإذا أمكن تمييز بقايا الشيك ، كتبت صورة أخرى منه ، وإلا فيجب على المستحق أن يرسل وصلا حتى يدفع له مرة أخرى ،

ولا تقف مشاكل إدارة الإعانات عند البريد الذى يصلها يوميا ويبلغ ٥٠ ألف رسالة ، فهناك مشاكل ترد بالتلفون من بلاد نائية يجب أن تحل ، وهناك زوجات الجنود اللائى يحضرن شخصيا لعرض مشاكلهن . وقد حضر فى يوم من الأيام المرهقة ٢٨١٣ شخصا ، إلا أن المعتاد أن يحضر نحو ٥٠٠ زائر .

وتعرض أعوص المشاكل على الجنرال . وقد حضرت امرأة ومعها طفلاها ، وأبلغت الجنرال جيلبرت أنها طردت من مسكنها لأنها مفلسة ، ولم تصل إليها الشيكات لخطأ فى العنوان . فاستدعى الجنرال صاحب المنزل وقرأ عليه القانون الذى يقضى بعدم إخلاء مساكن أسر الجنود فى مثل هذه الأحوال ، ثم اتصل بشركة نقل الأثاث وأمرها أن تنقل المتاع الذى كان ملقى على قارعة الطريق. ومثل هذه الأعمال الطارئة بعيدة كل البعد عن واجب الجنرال كما هو محدد فى اللوائح والتعليمات .

ولا تصل الشيكات فى الغالب إلى أصحابها لأنهم يغيرون محال إقامتهم ، فهناك ١٥٠ ألف شخص يغيرون عناوينهم كل شهر ، وهناك ٢٥٠ ألف زوجة بالتقريب ، يتنقلن وراء أزواجهن . وثمة زوجة بلغت الغاية فى التنقل ، فانتقلت ١٣ مرة فى بحر شهرين ، وعادت تسأل وهى حانقة ، لماذا تأخرت شيكاتها . ويرسل بعض الزوجات أمثال هذه الألغاز : « انتقلت إلى ألتون بولاية إلينوى لارتفاع الماء فى المنزل . أرسلوا الشيك على العنوان القديم متى هبط الفيضان » .



« ليس في تاريخ الوسطاء الروحانيين مثيل لدانيال هوم ، فقد فاتهم جميعاً بحياته المليئة بالفواجع تتخللها المهازل ، وبفنه الخلاب ومقدرته البارعة فى أداء تجاربه الروحانية .

وقد أثارت جلساته المخيفة ، وشخصيته الظريفة ، ضجة كبرى فى أمريكا وأوربا ، وأخذت تنهال عليه الدعوات وهدايا الحلىّ من نابوليون الثالث إمبراطور فرنسا ، وإسكندر الثاني قيصر الروسيا ، ومن نبلاء كثيرين .

وراجعت جين بارتون فى كتابة سيرته كثيراً من المذكرات والرسائل والمؤلفات التى سطرها من شهد جلساته من فضلاء القارئين ، فجاء كتابها موفقا في رسم صورة حية مسلية لشخصية تعتبر من الظواهر الاجتماعية الفريدة .

ويقول المشتغلون بالسحر فى الجيل الحاضر أنهم قادرون على تفسير خوارق هوم ، ويرونها من قبيل الحيل الممكنة ، ولكن لا جدال في أنه حير مشاهير عصره حيرة تامة ، ولم يكتشف قط فى جلساته ما يدل على الغش » .

الدنيا تقبل على ساحر

ذات مساء في شهر يناير سنة ١٨٦٣ ، اجتمع في باريس ، في غرفة الاستقبال بدار السيدة جوفان دي أتانفيل نفر من الأعيان ، خليط من رجال ونساء ، ينتظرون وصول « ضيف الشرف » ، المستر دانيال دانجلاس هوم ، القادم حديثاً من الولايات المتحدة .

ومنذ ست سنوات أو تزيد ، زار باريس أول مرة هذا الوسيط الروحاني الشهير الذي يزعم بأنه من صفوة الوسطاء ، ورأى الباريسيون أنه حقاً من الصفوة ولكن على وجه آخر : فالمستر هوم يصر على أن يستقبل استقبال الأكفاء ، والحذر كل الحذر من أن ينسى مخاطبه نفسه ويعرض عليه نقوداً ، إنه يقبل الهدايا من الحلي والملابس ومعاطف الفراء ، ولا يرد مضيفاً يرافقه إلى مدن المياه الشافية التي تقصدها الطبقات الراقية ، أما النقود — فلا ! وهو فوق ذلك لا يأبه لدعوة إلا إذا جاءته ممن يعرفه حق المعرفة .

أما واسطة دعوته تلك الليلة فهو الأمير جواكيم مورا ، الذي قابله من قبل في إحدى الجلسات التي كان يعقدها في جناح الإمبراطورة أوجيني في قصر التويلري . وكانت الأميرة بولين مترنخ ، وزوجها السفير النمساوي ، بين الضيوف الكرام الذين خفوا إلى تحية هوم عند مقدمه .

وبعد حديث قصير مهذب دار بين الحاضرين (وهوم يتكلم الفرنسية بطلاقة) جلس الجميع حول مائدة كبيرة . وكانت الغرفة تتوهج بنور الشمعدانات والثريات البلورية ، واختار هوم مقعداً يبعد عن حلقة المجتمعين بما يقرب من أربع ياردات ، ثم نبههم كي يعرفوا أن المائدة أبعد مما تنال يداه ، وأنذرهم — كدأبه دائماً — قائلا : إنهم — أي الأرواح — قد لا يأتون أبدا . ثم مال واستند إلى ظهر مقعده ، وشوهد وجهه يزداد شحوباً ، وما من أحد في تلك الغرفة الدافئة الصامتة المتلألئة بالأنوار إلا وعلق على الوسيط عينه .

وما هو إلا أن أخذت الشمعدانات تتحرك ، وأقبل من آخر الغرفة مقعد خال يسعى كأنما تدفعه قوة لا تغالب . وفجأة صاح هوم : « هم هنا — هم حولنا من كل جانب ! » .

وفي اللحظة ذاتها صرخت الأميرة مترنخ وقالت ، وهي تلتمس لنفسها عذراً ، إن يداً خفية صلبة كالحديد قبضت على أصابعها .

واعترف الآخرون ، وهم مضطربون ، أنهم أحسوا أيضاً بضغط تلك الأصابع الجافية .

وحينئذ شرع مفرش المائدة — وهو من الحرير المزركش — يرتفع قليلا قليلا ،

وبدا من تحته شيء ، لعله يد خفية ، وأخذت تقترب منهم ، واندفع الأمير مترنخ هو وبعض الحاضرين ليمسكوا بهذا الشيء المتحرك ، ولكنهم آبوا بالخيبة ، إذ أجمعوا على أنهم ما كادوا يمسكون بها حتى اختفت . وانقض رجل على المفرش ومزقه ، وارتمى غيره تحت المائدة ، ولكنهم لم يجدوا شيئاً . ولما عادوا إلى مقاعدهم انبعثت من المائدة ، نقرات متلاحقة كأنها تسخر بهم ، وجعلت المائدة تميل ميلا كبيراً وترتفع عن الأرض عدة بوصات .

كان هوم حينئذ فى غيبوبة لا حراك به ، وجهه أبيض كالشمع ، ورأسه مائل إلى الوراء ثم تكلم وسأل : « هل فى الدار أكورديون ؟ (موسيقى اليد) ، فإن جو الجلسة يبشر بالنجاح ، فربما قبلوا « هم » رجاءه وعزفوا عليه . فتطوع اثنان من الحاضرين بأن ينطلقا لشراء أكورديون من متجر قريب للآلات الموسيقية .

وبعد قليل عادا ومعهما أكورديون جديد مجلوّ ، فطلب هوم من الأميرة مترنخ أن تحمل الأكورديون بيد واحدة وترفعه فوق رأسها ، وهى واقفة بمفردها فى وسط الغرفة .

فأطاعت الأميرة مترنخ ، وشعرت مبدأ الأمر بجذبة ، ثم بعد لحظة : « عقدت الدهشة لسانى حينما سمعت فجأة — كما سمع كل الحاضرين — صوت عزف بارع يعزف ألحاناً سماوية . وحينئذ بلغ انبهار الحاضرين ذروته » .

وكان هذا إيذاناً بانتهاء الجلسة ، فانطلقوا جميعاً يتناقشون فى حدة ، ويدلى كل منهم برأيه فى تعليل ما رآه . هل مُوِّهَ عليهم بشيء مصنوع على هيئة اليد ؟ هل هى خيالات الهذيان ؟ أو هل هو التنويم المغناطيسى الذى يؤثر فى الجماعات تأثيره فى الأفراد ؟ وانبرت الأميرة مترنخ تفند الرأى الأخير وقالت : « ليس من المستحيل أن يكون هوم منوماً مغناطيسيا لا مثيل له ، ولكنه لم يلجأ معنا إلى وسيلة واحدة من الوسائل المعروفة للتنويم المغناطيسى » . وقالت أيضاً إن الغرفة لم تطفأ أنوارها لحظة واحدة طول الجلسة ، وإن هوم لم يدخل هذه الدار قط قبل ذلك المساء فليس فى مقدوره أن يخفى فيه قبل الجلسة أدوات حرفته

أما الذى حيّرها فظاهرة تبلبلت لها أفكار من هم أكثر تبحراً منها فى العلم ، وذلك أن المائدة حينما مالت فى حضور الوسيط ، ظل ما فوقها من الاشياء لاصقاً بسطحها لا يتحول عن مكانه ، وضاع سدى كل جهد يراد به تحريكها . وفوق ذلك أن لهيب الشموع بدلا من أن يستمر صاعداً مستقيما أخذ يميل بميل الشمعدان والمائدة .

هذه الحوادث أنموذج لما كان يفعله هوم كل مرة فى جلساته . وظل أيام شبابه —

وكان وقتئذ في الثلاثين من عمره — يعقد مئات من هذه الجلسات كل سنة . ولم يكن من غير المألوف لديه أن يعقد خمس جلسات في يوم واحد . وأخذت الشخصيات البارزة في القارتين تتنافس في شرف دعوته إلى دورها ، بل أصبح لزاماً في أكثر من بلاط واحد . فأي شهرة نالها ، وأي شوط قطعه هذا الصبي الأسكتلندي المهاجر بفضل مواهبه الروحانية !

ولد دانيال دانجلاس هوم بأسكتلندة سنة ١٨٣٣ ، وأبوه ولد سِفاح لنبيل هو الإرل العاشر من سلالة هوم ، وعُرفت أمه بأنها من أهل الكشف . وربي الصبي في كنف عمته ماري ماك نيل كوك التي سافرت به إلى أمريكا وهو في التاسعة من عمره . وقد تجلت قدرته على الكشف وهو في سن الثالثة عشرة ، إذ أخبر عن وفاة صديق ناء ، فصدق كل ما قاله . ومرّت سنوات ، فإذا مسكن كوك قد أخذت تشيع فيه الدمار حوادثُ لا يمكن تعليلها ، تتوالى واحدة في إثر أخرى ، فقد دأب الأثاث على التنقل في المسكن بهدوء من تلقاء نفسه ، وجعلت تتردد فيه ضجة نكراء مشئومة ، وجلس ذات صباح إلى طعام إفطاره ، فإذا بنقرات واضحة تسمع من جوانب المائدة كلها .

بلغ القنوط بالعمة الفزعة أن دعت القسيس ليبتهل إلى الله أن يرفع هذه المحنة ، فلما جعل القسيس يدعو ويبتهل سمع نقراً خفيفاً على كرسيه ، فإذا لجّ في طلب الغوث والمدد ، لجّت النقرات وعلت .

استطارت هذه الحوادث بين الجيران ، فأحاطوا بالدار ، فإذا الصبي هوم ينبئهم عن مقر ذوي قرباهم الغائبين منذ أمد بعيد ، وعن مكان مستنداتهم وحليهم الضائعة . وأخيراً ضاقت العمة ذرعا بهذا الأمر كله وطردت دانيال من الدار ، وهو إذ ذاك في السابعة عشرة من عمره .

وهكذا ولج دانيال ميداناً كان قد أصبح مزدحماً بالمتنافسين يتناحرون فيه . جرى هذا في سنة ١٨٥٠ أي بعد سنتين من قيام وسيطات مشهورات باسم الأخوات فوكس ، بكشف الستار أول مرة عن مذهب تحضير الأرواح في صورته الحديثة ، وذلك بظهور هذه النقرات ذاتها في تجاربهن . ثم أخذ الوسطاء الروحانيون ، ومنهم الهواة والمحترفون ، يتكاثرون من كل جانب ، ويستحضرون هالات من النور تتجلى فيها وجوه وأيد بشرية ، وموسيقى ولوحات تعزفها وترسمها الأرواح ، وأصوات وأنوار وتيارات من هواء بارد كالثلج . ومضت بضع سنوات ركبها الهذيان ، فكان عدد أنصار هذا المذهب قد أربى على الملايين .

ولم يحدث فى أرجاء الدنيا قاطبة منذ العصور الوسطى أن بلغ ميل الجماهير إلى الإيمان بالروحانيات ما بلغه فى مقاطعات الساحل الشرقى للولايات المتحدة .

وهوم ، وإن كان يعدّ نفسه طريداً لا صديق له ، لم يكن يعدم حمى يأوى إليه . وجعل من دأبه ، طوال حياته ، إذا نزل بلداً أن يحوم — تقوده فى ذلك بصيرة لا تخطئ — حول قادة الرأى فيه . ففى أمريكا يقع على أثرياء التجار والأطباء ومحررى الصحف وأصحاب الفكر الحرّ من رجال الدين ومن شاكلهم، وفى باريس يتطلع إلى الإمبراطور والإمبراطورة . فمبدؤه كان واحداً وحيثما حلّ تلقاه الناس بالحفاوة .

قيل فى وصفه إنه واسع الحيلة ، يميل إلى الإفاضة فى التعبير عن شكره ، وكان قادراً على أن يلبس لكل حالة لبوسها ، فإن لقى أطفالا سارع إلى مساعدتهم فى دروسهم أو إلى الإعجاب بألعابهم . وخلاصة القول هو أن الطبيعة حبته بكل الصفات التى تجعل منه أمثل ضيف وأحب جليس . وأعانه سقمه (فهو مصدور منذ صباه) على أن يصبح موضع اهتمام الناس ومثار عطفهم . لم يشق هوم يوماً فى طلب الرزق، فقد تيسر له بكل بساطة أن يقضى حياته ضيفاً مكرماً يحتفل به الأثرياء فى مختلف الممالك أبهى احتفال .

والذين احتفلوا به من أهل الوقار والرزانة ، يشهدون مؤكدين بأن ما يحدث عادة هو هذا :

فهو إذا ما ولج الباب ، كثيراً ما ترتج قطع الأثاث ارتجاجاً طفيفاً ، وكذلك المائدة التى يجلس حولها المجتمعون وقد تلاصقت أيديهم ، تطفر وترتج . وقد تزداد تلك الظاهرة قوة فيتصل تأثيرها بالأرض والجدران حتى ليهتز كيان الغرفة كله اهتزازاً . وتسمع نقرات تنبعث من كل جانب، ويهب على الغرفة نسيم بارد يرتجف له أطوع الموجودين للاستهواء . وكل شىء خليق بعد ذلك أن يحدث : إما سحب مضيئة تتجسم منها أيد بشرية ، وإما أجراس تدق دون أن يمسها أحد ، وإما مناديل تعقد بمهارة فى أنشوطة أمام أعين أصحابها ، وإما أن تطارد البيانُ عجائزَ المدعوات — حتى تحبسهن فى أركان الغرفة . وإما أن تدق الساعة دقا مثيراً للخوف إجابة على أسئلته ، وقد تأخذ الآلات الموسيقية كالجيتار والأكورديون وغيرها فى العزف وحدها ، سواء أكانت فى يد هوم أم فى يد غيره ، بل قد تعزف أيضاً وحدها دون أن يتناولها أحد ، وتتنقل فوق ذلك من جالس إلى جالس وهى تعزف بقوة بالغة . وكان الذين من دأبهم الشك والارتياب، يحضرون معهم آلاتهم الموسيقية ، أو

يفككون الآلات التى تعزف فلا يجدون شيئاً.

وبذّ هوم كل منافسيه بمقــدرته على الارتفاع بجسمه عن الأرض ، وأول مرة حقق فيها تلك الظاهرة العجيبة ترجع إلى سنة ١٨٥٢ حينما كتب ف . ل . بور محرر صحيفة هارتفورد تيمس يقول : « وفجأة ارتفع هوم إلى سقف الشقة العـالى حتى لمسه برأسه ويده برفق ، وحينئذ تبينت أن شيئاً من الخوف أخذ يتماسكه » .

وفى السنة نفسها اسـتقبل هوم أربعة أساتذة أوفدتهم إليه جامعة هارفرد الشهيرة ، وبعد إنتهاء الجلسة وقعوا جميعاً على كتاب يشهدون فيه بأن من بين الظواهر التى رأوها أن واحداً منهم جلس فوق المـائدة فاهتزت بعنف شــديد ، وأخيراً مالت واستقرت على قائمتين ، واستمرت على هذا الوضع ، حتى بعد أن انضم اثنان من الأساتذة إلى زميلهما وجلسا معه فوقها .

وقرروا كذلك : « أن هوم ألحّ علينا مراراً أن نشد يديه ورجليه ، وكانت الغرفة جيدة الإضاءة ، ولقينا كل عون وتيسير للقيام بما أردناه من فحص دقيق . والثابت لدينا أنه لم يحتل علينا ولم يخدعنا » .

ويرجع التأثير الذى تتركه أعمال هوم فى النفوس إلى ميزتين جعلتاه صاحب طريقة انفرد بها وحده . فهو يجلس مع الموجودين كأحـدهم ، ويباشر عمله فى وضح النور . وكم سخر من معجزة المشتغلين بتحضير الأرواح الذين لا يعملون إلا فى الظـلام ، أو وهم مختبئون فى كِنّ من حوله الأستار يسمونه « الكنّ الروحانى » وهو يقول : « إذا وجد الظلام ، سهل الخــداع » ، فلا عجب أنْ لم يفز هوم قط بحب زملائه الوسطاء .

لم يكن هوم فى كل جلسـة من جلسانه يلجأ إلى الاستغراق فى غيبوبة روحانيــة ، وسواء بدت عليه تلك الغيبوبة أو لم تبد ، فإن الظواهر الطبيعية التى تحدث فى جلسته كانت لا تفترق كثيراً فى إحدى الحالتين عن الأخرى. وكان إذا دخل فى غيبوبة ،ووضح أن روحاً زائراً قد اسـتولى على حركاته وكلماته ، تسلطت عليه أحياناً كآبة مرهقة ، فيصف مناظر مرعبــة تتراءى له ، ويبكى ويرتجف . وقد يحدث أن يتصلب ساعداه وينطبق فكاه ، ثم إذا أخبر بمـا حدث له « أثنـاء غيبوبته » أجاب أحياناً ببرود أنه لا يصدق كلمة واحدة مما يقال .

سافر هوم إلى إنجلترا فى نهاية سنة ١٨٥٤ وقد سبقه إليها صيت خوارقه ، مثال ذلك أن المؤلف الإنجليزى الكبير ثاكرى كان يقوم بجولة فى الولايات المتحـــدة لإلقـاء محاضرات ، فكتب إلى وطنه يصف تلك الخوارق بأنها « مدهشة حقاً » .

ويذكر هوم بتأثر أنه حينما دنت سفينته من الشواطىء الإنجليزية : « وقفتُ عليها وحيداً ، قد ضعْضعت العلة قواى ، وما من صديق يفتح لى ذراعيه عند وصولى » ولكنه لم ينفك يؤمن إيماناً ساذجاً بأنه أينما ذهب فلابد ملاقيه شخص يمهد له الطريق . وقد صدق إيمانه ، وكان هذا حاله فى الواقع طول حياته .

حمل هوم معه خطاب توصية إلى المستر وليم كوكس ، صاحب فندق كوكس فى شارع جريمى ، إذ كان ترحيب المستر كوكس بالوسطاء الروحانيين قد استفاض خبره فى أمريكا وإنجلترا . ويقول هوم : « ما كاد الرجل يعلم من أنا حتى رحب بى ترحيب الأب بابنه » ، وبعبارة أخرى أكثر صراحة : لم يتقاض الرجل منه أجراً .

حل هوم بلندن فتنافست الأسر النبيلة فى استضافته ، حتى تعذر عليه أن يلبى دعواتها جميعاً . ودعاه السير بلوار — ليتون الكاتب الشهير وصاحب القصص البارعة عن عالم الأرواح ، فعقد جلساته فى داره الفخمة بحى بارك لين ، وظل يدعوه ويحتفى به بين الحين والحين طوال السنوات العشر التالية .

ولم يكن قد مضى عليه وقت طويل فى لندن يوم حصلت إليزابيث باريت براونتج ، التى أصبحت فيما بعد من أكبر المؤيدين له مدى الحياة ، على بطاقة دعوة لتشهد بها جلسة من جلساته . ومرت ساعة تتوالى فيها العجائب وشاعرة إنجلترا الأولى تجلس مشدوهة تتقد عيناها السوداوان فى وجهها الصغير المرمرى الشاحب . وكان زوجها الأنيق النابه روبرت الشاعر من بين الموجودين أيضاً ، ودل وجهه المقطب على أنه يمقت ما يراه من الإسفاف العقلى .

ثم جاء دور تجربة شهيرة تسمى « تجربة إكليل الزهور » وكتبت مسز براونتج تقول : « لبثت اليد تطلب الوسيط وأخذت من المائدة إكليلا من الزهور ووضعته فوق رأسى ، وكانت اليد قريبة منى قرب يدى هذه التى أكتب بها وواضحة وضوحها »

ولم يتحول براونتج عن إنكاره لمقدرة هوم ، وأخذ يلقبه بالوغد ، ويعلل ظهور اليد الروحانية بأنها « قدمه العارية أو شىء ما متصل بها » . وكتب قصيدة عنوانها « المستر سليدج الوسيط » وكلها سخرية هدامة . ولم يخف المعنى بها على أحد فى إنجلترا اللهم إلا على المستر هوم نفسه الذى احتج وهو يبتسم بقوله : « ما من أحد يعرفنى ولو معرفة ظاهرة إلا رأى أنه ليس بينى وبين المستر سليدج أقل شبه ! » .

وعلى النقيض من أمر براونتج ، وجد هوم فى جون رسكن ، كاتب المقالات الشهير ، مسارعاً إلى تصديقه . وراسكن هذا كان

قد أعلن من قبل أنه يكفر بالديانات المنزلة جميعاً، فإذا به يشترك فى جلسات هوم ويصبح من غلاة المؤمنين بالروحانيات. أما شارلز ديكنز فقد خصّ هوم بمقته الشديد وشهر به ووصفه بأنه دجال. ولكن نشر هذه الآراء المختلفة زادت من شهرة هوم وراح يقول: «إن الصحافة تخدمنى بتلك المطاعن التى تجود بها علىّ كل يوم».

وأخذ ذكر هوم يفوز فى مراسلات مسز براونتج بحيز لم يحظ به أحد من مشاهير معارفها، فكتبت لأختها تقول: «سمعت أقوالا كثيرة عن هوم، وكلها تؤكد صدقه. وقد زار روبرت صديقاً له من المرتابين، وكثيراً ما حدثه عن سخف أولئك الذين يقيمون إيمانهم على دعائم من الوهم والخداع، ولشد ما عجب إذ رأى صديقه وأهله جميعاً قد تخلوا عن ريبهم وآمنوا، فقد اتخذوا مع هوم كل ما يلزم من الحيطة، فأوثقوا منه اليدين والقدمين، فإذا باليد الروحانية تجىء وتفك الوثاق أمام أعينهم. واهتزت الغرفة كلها، كأنما لحقها زلزال قد بلغ من شدته أن أصاب الدوار كل من كان فيها. فهذه وقائع تجعل الشك مستحيلا».

لم يحدث فى مكان ما أن أثارت نقرات الأرواح ضجة مثل التى أثارتها بين الجالية الأمريكية الإنجليزية فى فلورنسا، حين قصدها هوم سنة ١٨٥٥، ونزل ضيفاً على توماس أدولف ترولوب شقيق الكاتب الشهير أنطونى ترولوب. ورحبت به جماعة هؤلاء النزلاء المعروفين بالظرف والمرح، وأخذ بعضهم ينافس بعضاً فى دعوته وتكريمه. حتى إن الكاتب الأمريكى ناتانيال هوذورن، حينما زار فلورنسا بعد ذلك بثلاث سنين، وجدهم لا يزالون مشغولين بذكر هوم، فأخذ يجمع الحكايات المحيرة التى تروى عن براعته.

ففى يوم من الأيام تناول هوم الشاى مع حيرام باورز، الحجة فى علم التشريح، وقد جعل الأيدى الروحانية التى يظهرها هوم موضع دراسته وبحثه الدقيق. ومما سجله عن بعض الظواهر التى شهدها قوله: ظهر شىء فى شكل يدين على حافة المائدة، وتناولتا مروحة، وأخذتا تروحان بها. ولما سأل باورز عن نوع آخر هدية قدمها إلى ولد له قد مات، شعر هو وزوجه فجأة بوخز فى الركب كوخز آلة حادة، إذ كانت الهدية مبراة!

وذكر هوذورن، وهو من أكثر الناس اتزاناً، أنه روى له أيضاً أعاجيب أخرى مماثلة جديرة بأن تدون على أنها وقائع ثابتة، شأنها فى ذلك شأن كل حادثة تثبت للناس بشهادة الشهود.

ولجأ المستر ترولوب، مضيف هوم فى

فلورنسا ، إلى ساحر شيخ مجرب يدعى بارتولوميو بوسكو ليسأله رأيه فى الوسيط ، فأكد له أن ما يفعله هوم تعجز عنه كل حيل خفة اليد المعروفة .

ولما ذاع خبر هوم فى أرجاء فلورنسا اضطربت نفوس أهلها ، وأخذوا يتهامسون بأنه يقيم الحفلات الدينية للشكالى ، وأنه يبعث الموتى برقاه . ووصلته خطابات غفل من الإمضاء تهدده بأفظع انتقام إذا هو لم يغادر البلد من فوره . ومن حسن حظ هوم أن وافته حينئذ رسالة من الكونت برانيكا — من أحفاد إخوة النبيل الروسى بوتمكين — يدعوه فيها أن يعود إلى باريس.

ولكن طرأ طارىء غير منتظر ، فقد أعلن هوم أن الأرواح أبلغته فى العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٥٦ أن قدرته ستفارقه سنة كاملة .

ولم يبق أحد فى باريس فى السنة التالية إلا وهو يعلم بالتحديد اليوم الذى سجل فيه موعد رجوع القدرة إلى هوم .

لم يثر بين أهل باريس جدل عن عودة مغن محبوب إلى الأوبرا ، أو مصارع شهير إلى حلقة النزال ، مثل ما ثار من جدل عنيف حول موعد هوم . ولا شك أن هذا الاعتكاف سنة كاملة كان مثلا بارعاً للحكمة والسياسة فى الدعاية .

وفى صباح اليوم الحادى عشر من شهر فبراير سنة ١٨٥٧ كان الماركيز دى بلمونت رسول الإمبراطور نابليون الثالث واقفاً بباب هوم ليسأله ، هل عادت إليه قدرته . فأجابه هوم : لقد عادت ، وكانت عودتها فى تمام منتصف الليل بظهور يد روحانية استقرت على جبينه .

فبادر المركيز ودعا هوم للشخوص إلى قصر التويلرى ساعة يحدد له موعد .

وكانت أول مرة مثل فيها هوم بين يدى الإمبراطور نابليون الثالث والإمبراطورة أوجينى فى يوم الجمعة ١٣ فبراير سنة ١٨٥٧ ، وطوال تلك الجلسة الافتتاحية ظل الإمبراطور ودلائل التفكير العميق تبدو على عينيه الفاحصتين . وكان هو نفسه من هواة السحر ، وموفقاً فيه بعض التوفيق ، ومع ذلك أجابته النقرات على أسئلة أضمرها ولم ينطق بها .

تسلط هوم على الإمبراطورة أوجينى فخضعت له خضوعاً سريعاً كاملا . سألها أن تمد يدها تحت المائدة وقال لها همساً : « إنها إذا أحست بيد أخرى تتناول يدها حيث هى فلتعلم أنها يد مسالمة لا تخيفها » . ولبث الحاضرون ينتظرون ، وبعد هنيهة تمتمت الإمبراطورة ، وهى لا تصدق : « إنها يد أبى ! » ولمسها الأمبراطور أيضاً .

وكلاهما عرفها من نقص فى خلقتها انفردت به .

ثم حدثت واقعة كانت أكثر ما أثار الدهشة فى الجلسة، فقد تجمع ضباب مضىء ، وتجسمت منه يد رجل تناولت قلماً وكتبت به « نابليون » . وقد صرح الإمبراطور بأنه لا مجال لأقل شك فى أنها إمضاء نابليون الأول . واستأذنت الإمبراطورة أوجينى فى تقبيل يد هـذا الذى هم جميعاً مدينون له بجميل أىّ جميل ، فارتفعت اليد إلى شفتيها قبل أن تختفى .

وأرسل الإمبراطور يدعو إليـه عاجلا بعض الأساتذة من السوربون ، وهو يرجو فى قرارة نفسه أن يفسروا له ما رآه بأنه من الظواهر الكهربائية ، إذ كانت الكهرباء يومئذ أعجوبة غامضة لا تتعدى المعامل العلمية ، ولكنها أقل غموضاً من ظاهرة الأكتوبلازم وهى المادة السيالة التى تتجسم منها الأشباح الروحانيـة . وحكم الأساتذة بأنه من المسـتحيل أن يكون الإمبراطور قد رأى ما روى لهم أنه رآه رأى العين .

أصبح هوم بعدئذ يتناول عشاءه أسبوعاً أثر أسبوع مع الإمبراطور والإمبراطورة فى جلسة يرفع فيها التكلف كأنهم أفراد أسرة واحـدة . وصار يقوم بتجاربه أمام زوّار الإمبراطور من عظماء الأجانب . وأسر هوم أفراد الحاشية فأخذوا يتغنون بمديحه ، وهم يرومون من وراء هذا كله أن ينتشى هوم ويملأه الزهو والخيلاء ، ــ ولـكنه ظل محاذراً رزيناً ، يجول بين نساء حاشية نابليون الثالث ، المتألقات جمالا ، المزدهيات بفاخر الثياب والحلىّ ، وهو شاحب الوجه ، مستغلق السر . وأخذ جمهور الشعب يسىء الظن بسيطرة هوم على البلاط الفرنسى ، فـكتبت مجـلة هاربر الأسـبوعية تقول : « إن الإمبراطورة تستبقيه معظم الوقت فى جناحها الخاص ، وتوطدت بينهما الألفة حتى أن الألسن الخبيثة فى باريس أخذت توسوس بالفضيحة » . بل تضمنت تقارير كافة الممثلين السياسيين إلى بلادهم إشارات أشد تجريحاً ، فقد كتب اللورد كراولى سـفير إنجلترا فى بريده السرى يقول : « إن هـوم مسيطر تمام السيطرة على الإمبراطور والإمبراطورة ، وقد أفزع هذا رجال الشرطة » . وهاجمه الكونت والوسكى (ابن نابليون من حبيبته البولونيـة ماريا والوسكا) واتهمه بأنه جاسوس أجنبى . قد سخر المستر هوم مما نسب إليه من دسائس ومكايد ، ولـكنه أزعجته بعد ذلك فـكرة خطيرة جالت فجأة فى ذهنه إذ قال : « أىّ غنم يفلته رجل ذو هوى له مثل مواهبى ! »

* * *

ما لبثت الطبقة الراقية كلها أن حاطت

دانيال برعايتها ، وأخذ يتردد في باريس على موائد الأمراء ، والكونتات ، والدوقات .
وكثيراً ما شوهد في صحبة ألكسندر دوماس في المسارح والمقاهي ، ودعاه شيلي الشاعر الإنجليزي الشهير وزوجه لقضاء أسبوعين معهما . ثم تحوّل إلى هولندة ليعقد جلساته للملكة صوفيا في لاهاي . وزار في ولاية بادن بادن حاكمها الدوق الكبير حيث عقد في بلاطه جلسات حضرها ملك ورتنبرج ، وولي عهد بروسيا . واستقبله البابا بيوس التاسع (وكان هوم منذ أن اشتهر قد اعتنق الكثلكة) وسأله عدة أسئلة وشيعه ببركته .

والتقى وهو في روما في إحدى الحفلات بالحسناء الروسية النبيلة الآنسة ساشا دي كرول ، وهي في السابعة عشرة من عمرها ، وبعد اثني عشر يوماً أعلنت خطبتهما .

وعقد العقد في الروسيا ، وكان ألكسندر دوماس شاهد الزوج ، ولم يتردد القيصر إسكندر الثاني في الموافقة على الزواج إذ كان لا يعقد للنبلاء إلا باذنه . وأصبح القيصر خير صديق مخلص لهوم ، وأهداه قبل الزواج بثلاثة أيام خاتماً ثميناً رمزاً للصداقة التي تربطهما . فلما رزق دانيال وزوجه ساشا بعد سنة من الزواج بغلام كان أشبينه في حفلة التعميد هو عاهل روسيا العظيم نفسه .

وفي العيد السنوي الأول للزواج وصلت إلى إنجلترا أسرة هوم ومعها ابنها جريشا ومربيته ، ونزلوا في جناح خاص بفندق كوكس « فمن سجية هوم الوفاء لأصدقائه الأقدمين » وزينوا غرفهم بصور فوتوغرافية لكثير من النبلاء وأصحاب التيجان من أوربا ، وقد وقع عليها بالإهداء من أصحابها ، ثم فتحوا أبوابهم فتدفق عليهم سيل من الزوار يتزاحمون من غير حياء ليظفروا بنظرة منهم إلى الوسيط الشهير وعروسه الشابة .

ولما أوفى العقد السادس من القرن التاسع عشر على الانتهاء كان لم يبق أحد من ذوي الخطر ، رجلا كان أو امرأة ، دون أن يشهد عجائب جلساته . وبالجملة بلغ هوم من الشهرة قمة لم يبلغها أحد .

ويمكن أن نقول إن هوم فاز من الحياة بأوفى نصيب في قدرتها أن تجود به : بنبلاء معجبين يحيطون به ، وزوج حسناء غريرة . وولد ، ومواهب روحانية تدر عليه الأموال ، ولكن سحابة واحدة كانت تعكر سماءه الصافية ، فما من روح طيبة واحدة رضيت أن تنذر ساشا بأن السل مرض وبيء ، وأنها تذوي يوماً بعد يوم .

قصة مرض ساشا وموتها كحوادث قصة مسرحية تشهدها إنجلترا جميعاً . وما من شيء كان ينقص تلك المسرحية : أم فتية حسناء يضني المرض جسدها الغض ، وزوج تفترسه

الأحزان ، ووليد يسعى إلى أمه يربّت على خدها ويناجيها: «ماما أطيب من أن تمرض».

وأدت ساشا فى موتها أكبر خدمة إلى مذهب زوجها ، إذ برهنت على فرق ما بين الطمأنينة التى يستمدها المحتضر من إيمانه بالروح ، والرعب الذى يأخذ غير المؤمن وهو على فراش الموت . فقد ظلت وقتاً طويلا وهى متصلة بأرواح أصدقائها الراحلين ، وشعرت بأن الحياة الجديدة التى تتفتح لها ذات جمال يفوق كل جمال . وكان الناس فى ذلك العصر قد طبعوا على إجلال كل « موت جميل » : وهكذا وفقت ساشا بموتها فى الترويج للمذهب الروحانى بين المستمسكين بدينهم توفيقاً لا تصيبه أى محاولة أخرى .

ظل هوم مخلصاً لزوجه الأجنبية الحسناء ، ولكن هذا الصفاء شابه كدر طارئ ، إذ ما كادت تموت حتى تورّط فى نزاع قام على ميراثها ، فقد استولى أقاربها ، وفى مقدمتهم الكونتس بوشكين ، على كل أملاكها ، وانقطع عنه دخله انتظاراً لصدور الحكم . ولكنه فى سنة ١٨٦٧ وضع يده فى ظروف عجيبة على أم وثروة ولقب جديد ، وأصبح يلقب بـ « ليون » أما صاحبة اللقب فهى المسز جين ليون ، وكانت عجوزاً إنجليزية تبلغ من العمر ٧٥ سنة ، ولا ولد لها ، وتملك مبلغاً خلابا يبلغ ١٤٠ ألفاً من الجنيهات . ولما كانت من المؤمنات بالمذهب الروحانى ، فقد حاولت الاتصال بزوجها المتوفى ، ثم أشير عليها بأن تجرب هوم ، فدعته إليها ، فذهب .

توطدت صداقتهما ، وما لبثت أن فاتحته أنها تريد أن تتبناه ، وقالت له : « لا شىء يغيظ أسرة زوجى غيظاً أشد من هذا . سننثر المال نثراً ، وسأتمتع بأيامى الباقية »

ذكر هوم فيما بعد أنه أبدى لها اعتراضه قال : « وأفهمتها أننى رجل يعرفه أغلب الناس ، فلن تحجم الألسن عن أن تلوك سيرتها » . فأجابته بحماسة :

« حبذا لو فعلوا ! »

ثم أخبرته (وكل هذا من رواية هوم طبعا) أنها قد اعتزمت — سواء قبل أن تتبناه أو لم يقبل — أن تخصص له مورداً ثابتاً يغنيه طول حياته ، وسارعت إلى إثبات قولها فكتبت له الوثيقة التالية :

« عزيزى المستر هوم

يسرنى كل السرور أن أقدم إليك الآن هدية خالصة منى مبلغ ٢٤ ألف جنيه .

وتفضل بقبول فائق احترامى .

[جين ليون]

قبل هوم هذه الهدية الكريمة بعد أن فكر فى الأمر — وإن كان تفكيره لم يطل كثيراً . ثم لم يصبح فى مقدوره ، بعد أن قبل هدية

المسز ليون ، أن يعصى رغبتها فى تبنيه ، فصدر إشهاد شرعى بتغيير اسمه إلى دانيال هوم ليون ، واحتفلت المسز ليون بمناسبة صدور الإشهاد ومنحته ٦ آلاف جنيه أخرى . ثم أمطرته بعد ذلك بوابل من هدايا شتى .

باعته ورهنت له عقارات ، وتنازلت له عن أسهم وسندات . وأقسمت المسز ليون فى شهادتها التى أدلت بها فيما بعد ، أنها فعلت كل ذلك طاعة لرسائل جاءتها على يد هوم من روح زوجها المتوفى .

وسرعان ما ندم كل من « الأم » و « الابن » على العهد الذى ارتبطا به ، فلم يمض أسبوع حتى قال عنها إنه : « ينقصها الصدق نقصاً مريعاً ، ومن سجيتها ، فوق ذلك ، الانتقام » . وكذلك لقى من مسلكها فى الجلسات ما يؤذيه إذ تدلك كفيها مسرورة وتقول : « فلنقلع إلى موطن الأرواح » . فإذا قام بما يجب لها عليه واستصحبها لزيارة أصدقائه ، أظهرت له أمامهم من علائم التحبب والهيام ما يربكه ويندى له جبينه . فكان يكتم فى قلبه عذاباً شديداً ، وبدأ الناس يتغامزون بهما ، والخلاصة أنها استرقته ، ففر منها إلى مدينة بريتون .

وفى شهر مايو رفعت عليه مسز ليون دعوى لاسترداد مالها ، وادعت أنها إنما دفعته له بالإكراه . واستمرت قضية « ليون ضد هوم » عشرة أيام ، وكان فى شهادة الطرفين من النوادر ما لم يدع للكتاب الفكاهيين مجالا للزيادة عليها بدعابتهم .

وشهد هوم بأن المسز ليون رغبت إليه أن تقوم بينهما علاقة أدنى إلى القلب من علاقة الأم بمتبناها ، وأنه صد عنها ، وهذا هو سبب انقلابها عليه . استوفت هذه القضية خير النوادر التى تتعشقها الجماهير وتخوض فيها ، فقد ظهر بين الشهود فيها وسطاء آخرون يجرح بعضهم بعضاً . وأماثل تبين أنهم استرقوا السمع من وراء الأبواب ، وسيدات من علية القوم يقفن والخادمات أمام المحكمة جنباً إلى جنب . وجلست المسز ليون وسط قاعة الجلسة كثيرة الثرثرة ، سليطة اللسان لا يردعها ما اصطلح عليه الناس من حياء كاذب . فكان إذا قيل عنها تلميحاً إنها مصابة بنقص فى عقلها أقرت وهى جذلة متهللة : « لاشك أن عقلى كان قد طار ، فإننى كنت خاضعة لسلطانه الروحانى كما ترون » .

ولما انتهت المرافعة صدر حكم ابتدائى فى مصاريف الدعوى ، يقضى على المسز ليون بأن تدفع إلى هوم ما تحمله فيها وأن تغرم هى ما صرفته . وانتهز رئيس الجلسة فرصة النطق بأن الحكم يصدر بعد المداولة وقال : لا جرم أن الفوضى تعم لو سمح للمتبرعين للجمعيات

الدينية أو الخيرية بأن يغيروا رأيهم ، ويعدلوا عن التبرعات التي تبرعوا بها فعلا .

ولكن الحكم النهائي هاجم المذهب الروحاني ووصفه بأنه « خطة مرسومة لخداع المغرورين والضعفاء والحمقى والمؤمنين بالخرافات» . واستردت المسزليون نقودها ، كما استرد هوم اسمه القديم ، وقد ناله من هذه المحنة ما ناله من خدش وتجريح .

لم يزل مقدراً لهوم حينئذ أن يقضى فى حرفته بضع سنوات ، وبدأ فى ذلك الوقت يضيف إلى برنامجه المعهود تجربتين جديدتين : أما الأولى فظاهرة مخيفة أسماها « إطالة القامة » ، وأما الثانية فظاهرة لمس النار .

ولما استحدث هوم ظاهرة إطالة القامة أخضعها الفاحصون لامتحان دقيق ، فكانوا يوقفون هوم (وهو فى غيبوبته) إلى جدار ويرصدون رجلا منهم يمسك بقدميه ، وآخر يراقب وسطه ، وثالثاً يقف بجانبه وفى يده قلم يبين به على الجدار مقدار ما بلغه نموه . وذات ليلة ، وكان هوم فى دار صامويل كارترهول (من أدباء لندن)، جرى امتحانه على صورة جديدة من باب التنوع . فرقد دانيال على الأرض ، وجلس عند قدميه سيد من الأشراف يدعى لندساى ، وعند رأسه نبيل إيرلندى شاب يدعى لورد آدير ، فقرر أن قامة هوم بدا منها أنها تطول من طرفيها ، وأنها أزاحت الرجلين عن موضعهما . وأقبل هول مسرعاً وفى يده شريط قياس ، ولشد ما كانت دهشته إذ وجد بين الشاهدين مسافة طولها سبع أقدام .

أما ظاهرة لمس النار فكانت تملأ قلوب الناظرين رعباً ، واعتبرها الكثيرون برهاناً قاطعاً على أن هوم مؤاخ للشياطين . وكان الظاهر أن هوم يستطيع نقل مناعته إلى الآخرين بل إلى الزهور فى بعض الأحيان ، فهو يدنى الزهرة من لهيب النار، ثم يدور بها على الحاضرين فيرونها ندية سليمة . وشهدت اللادى جوم أنه ناولها فحمة متقدة فحملتها فى يدها دون أن تضرها ، ثم ما كادت تضعها على ورقة بجانبها حتى أسرع فيها اللهيب من فوره .

وارتاع رجال أشداء وامتقعت وجوههم يوم رأوه يسير — وهو فى غيبوبة — إلى الموقد ، ويحرك بيده الجمر حتى يرتفع لهيبه ، ثم « يركع ويدس وجهه بين قطع الفحم المتقدة ، ويحركه يمنة ويسرة كأنما يغسله فى الماء » ، دون أن تحترق شعرة واحدة فى رأسه ، ثم رأوه يلتقط جذوة مشتعلة ويدور بها على الحاضرين ، فكانوا لا يطيقون لهيبها وهم على بعد قليل منها .

ولم تسلم صحبة هوم ، فى الإقامة أو فى السفر، من أغرب الحوادث. نزل مرة ضيفاً — فى زيارة قصيرة — على المستر جون

أنمور جونز فى مقاطعة نورwood ، فوافاه اللورد آدير ، الذى أصبح رفيقه الذى لا يفارقه ، ليشهد جلساته ، وفاته بسبب ذلك آخر قطار إلى لندن ، فدعاه صاحب الدار المضياف الكريم أن يقضى الليلة عنده ، وحملت أريكته إلى غرفة هوم فى الطابق الأعلى لينام الضيف الجديد عليها . أطفىء النور ، ولكن الغرفة كان لا يزال يصلها بصيص من مصابيح الطريق ، وأخذ الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث والنعاس يغالبهما ، وإذا بالغرفة قد أخذت تهتز ، وغطاء الفراش ينجذب وينحسر ، ثم سمعت ألحان موسيقية . فناديا جونز ، فأقبل مهرولا وسألاه هل فى الدار أحد يعزف على الهارمونى . فنفى ذلك ومكث معهما ليرى ما يحدث .

حينئذ وصل إلى سمع آدير صوت تقليب نظارته وحق سعوطه على المقعد الذى تركهما عليه من قبل ، وارتفعت المائدة التى ألقى عليها ملابسه وأخذ ينبعث منها ضوء ضئيل ، وتساقطت نقوده واندلقت على البساط . وكان آخر ما سمعه تلك الليلة صلصلة قطع النقود وهى تلتقطها أرواح حريصة على أناقة الغرفة ، وتعيدها إلى حيث كانت فى ملابسه .

واختتم هوم سنة ١٨٦٨ بخارقة تعد أروع الخوارق فى حياته كلها ، وأكثرها استطارة فى الشهرة ، إذ جمع بين الارتفاع بجسمه فى الجو ، والتنقل من غرفة إلى غرفة من نوافذ مطلة على الطريق من الطابق الثالث . جرى هذا فى مسكن هول ، وشهده آدير ولندساى والكابتن شارلز وين ابن عم آدير . وكتب كل من آدير ولندساى وصفاً مستقلا بما حدث . دخل هوم فى غيبوبته واستمر زمناً ، ثم أخذ يسير بمشقة ، وأخيراً قادته قدماه إلى غرفة مجاورة فولجها وغاب ، وحينئذ سمع لندساى صوتاً يهمس له فى أذنه : « سيبرح الغرفة من النافذة ، ويدخل إليكم غرفتكم من النافذة أيضاً » ، ولم يكد يجد من الوقت مايذيع فيه هذا النبأ حتى « سمعنا صوت رفع النافذة فى الغرفة المجاورة ، وتلا ذلك أن رأينا هوم يطفو بجسمه فى الهواء خارج نافذتنا . واستمر فى ذلك الوضع بضع ثوان ، ثم رفع زجاج نافذتنا وانحدر إلى الغرفة تسبقه قدماه ، ثم جلس .

« ثم ذهب اللورد آدير إلى الغرفة المجاورة ليفحص نافذتها ، فوجد زجاجها لم يرتفع عن قاعدته إلا مقدار ١٨ بوصة ، فأعرب عن دهشته كيف أمكن مرور المستر هوم من تلك الفُرجة الضيقة ، فأجابه هوم (وكان لا يزال فى غيبوبته) : سأريك ، وكانت النافذة خلفه ، ثم مال بظهره واندفع من الفُرجة تسبقه رأسه ، وقد تصلب جسده ، ثم عاد بهدوء » .

ولما أفاق هوم كان في اضطراب بالغ ، وقال إنه يشعر كأنما مر من خطر جسيم ، وأن رغبة مخيفة تجيش في صدره وتحثه على أن يلقي بنفسه من النافذة .

* * *

وفي أوائل سنة ١٨٧١ ، ولأول مرة منذ ست سنوات ، عاد هوم إلى روسيا بدعوة من الكونت مايندورف ، واستدعاه القيصر لمقابلته في قصر الشتاء .

وفي زيارته تلك لروسيا قابل هوم جولي دي جلوملين الحسناء ، وهي من أقارب كل من إسكندر . ف . أسكاسوف ، المستشار الإمبراطوري ، والدكتور ا . فون بوتلرو أستاذ الكيمياء في جامعة سان بطرسبرج .

وجدت جولي من هوم رجلا رقيقاً ودوداً ، وسمعت صوتاً لا تدري من أين يجيئها يقول لها : « هذا هو زوجك » وسرعان ما انعقدت خطبتهما ، ولكن عقد الزواج أجّل لاضطرار هوم إلى العودة إلى إنجلترا في شهر مارس لارتباطه بموعد .

وكان الأستاذ وليم كروكس الشاب النابه الطموح ، والعالم التخصص في الطبيعة والكيمياء ، (والذي منح لقب سير فيما بعد) مهتما بأمر هوم أكبر اهتمام ، ويتحرق شوقاً لامتحان تجاربه في معمله — وكان يقول : « إن المعتنقين للمذهب الروحاني يروون أن غرفاً ومنازل تهتز بفعل قوة فوق قوة البشر ، وكل ما يريده الرجل العالم أن يحدث أمامه هو تحريك رقاص ساعة جدار موضوعة في قالب زجاجي » وأضاف « إنه لا يعقل أن ينجح هوم في تنويم آلة جامدة تنويماً مغناطيسيا » . وأعد له في معمله أيضاً أكورديوناً داخل قفص محزوم بأسلاك من النحاس ، وظلت يدا هوم مقيدتين طول التجربة ، ومع ذلك شوهد الأكورديون يطفو في الهواء داخل القفص ، وتصدر منه أنغام تتحول إلى لحن حلو شجي .

وبعد أن شاهد كروكس ظاهرة ارتفاع هوم بجسمه في الجو ، وأخذه النار بيده ، وغيرها من تجاربه الخارقة ، كتب تقريراً للمجلة العلمية « كوارترلي جورنال أوف ساينس » حكم فيه حكما قاطعاً ، بوجود قوة جديدة تكمن في الكائن البشري ، على صورة مجهولة ، ويمكن تسميتها من باب التيسير في التعريف : بالقوة الروحانية ، وأن هوم أكثر أصحاب هذه القوة إثارة للدهشة .

« فكل ما رأيته منه جرى في النور ، ولا أتأخر عن الشهادة بأن الظواهر التي شاهدتها تناقض تمام التناقض المبادئ العلمية المقررة ، كقوة الجاذبية ، في تأثيرها المطلق الدائم . وإن في رأسي نزاعاً بين عقلي الذي يحكم بأن هذه الظواهر مستحيلة الوقوع

من الوجهة العامية ، وشعوري بأن ما رأيته بعيني ولمسته بيدي لم يكن كذباً باطلا » .

وكتب بعد ذلك بعشرين سنة يقول إنه لم يتسن له أن يكتشف ثلمة في التجارب التي أقيمت ، ولا في النتائج التي استخلصها منها .

تقاعد هوم عن العمل بعد زواجه الثاني وهو في سن الثامنة والثلاثين ، وكان قد صدر له حكم في النزاع الذي قام حول ميراث ساشا ، فلما تحسنت شؤونه وثروته ، أصبح هوم مثال الشخصية العالمية ، ينعم بحياة هادئة ناعمة ، ويقضي معظم وقته في الرحلات . ولكن صحته كانت قد ساءت وامتد السل إلى رئتيه معاً ،وأصيب بداء النقرس فأصبح لا يسير إلا متوكئاً على عصا .

وكان الاهتمام يثور بين نزلاء مدن الاستشفاء بالمياه ، كلما ظهرت بينهم تلك الشخصية الأسطورية ، ورأوا ذلك الساحر المتقاعد يحف به أمناء سره ، وجماعة المعجبين به ، وزوجه الرشيقة الجميلة ترفرف حواليه . أما هو فكان يتوهج ، كأنه شجرة عيد الميلاد ، بحلى جميلة نالها على مر السنين من هدايا أصحاب التيجان تقديراً له منهم . فالخواتم تغطي أصابع يديه،وكان يروي قصة هذه الخواتم ببراعة لمن يسأله عنها . فهذا الخاتم جاءه من إمبراطور فرنسا ، وهذا من صوفيا ملكة هولندة ، وهذه الفصوص من الماس والزمرد والياقوت من قيصر روسيا . أما اللؤلؤة فمن وليم الأول عاهل ألمانيا .

واحتفل هوم بعيد ميلاده الخمسيني في نيس ، واجتمعت الجالية الأجنبية هناك للاحتفال به ، وقدمت إليه طاقات الزهور ، وألقيت خطب المديح ، ومات بعد ثلاث سنوات من ربيع سنة١٨٨٦،ودفن بالمقبرة الروسية في مدينة سان جرمان دي لاي .

لقد أثارت حياته ومغامراته أوربا كلها ، ولا تزال خوارقه لغزاً معمى ، فلم تنفرج شفتاه طول حياته بكلمة واحدة تكشف الستار عنها . ولما أهيل عليه التراب كان قد جر معه سره إلى القبر . ولكن مما لا يشك فيه أن هوم نجح في تجاربه نجاحاً باهراً متألقاً متصلا .

ظل هوم إلى أن مات يقظاً لا يغفل ، ولا شك أنه أمضى حياته في حذر دائم منهك ، يسابق بذكائه الفواجع فينجاب عنه غبارها . وكانت مآسي حياته تتمثل في انتزاعه للفوز من بين براثن اليأس ، ولا يجاريه في هذا الفوز أحد من الناس .

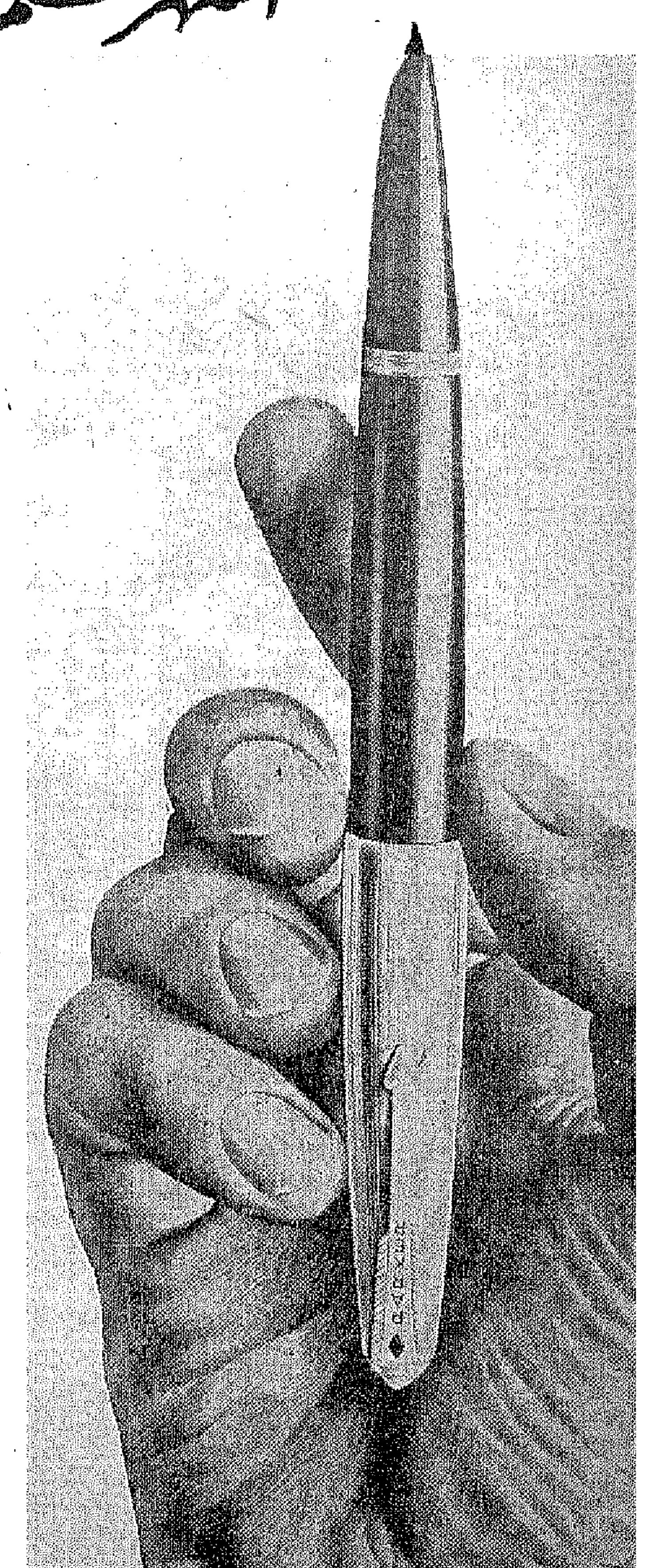
وقال عنه ج . ك شسترتون الكاتب الإنجليزي الشهير :

« أشق النوابغ ، ولا جرم ، من كان نابغة دجالا فذاً في الخداع — إنه سلطان قاهر،ولكن في جزيرة جرداء موحشة ! » .

"يجف مداده حال كتابته !"

أشهر قلم خلال ٥٠ عاماً!
پاركر "٥١"

PARKER "51"



• رشيق . . رزين . . متحفز . . هذا قلم باركر ٥١ الذي تتجسم فيه روح الكتابة .

حرك طرفه الفريد الذي يشبه الطربيد على الورق . فيكتب في الحال ، كتابة ناعمة حتى ليخيل لك أنك تكتب على وسادة في الهواء .

ثم يأتي السحر المتوج ! فإن هذا القلم وحده قد صمم ليكتب بالحبر الجديد العجيب « ٥١ » الذي يجف وأنت تكتب فلا تحتاج إلى النشاف . ومع ذلك فإن قلم باركر « ٥١ » يصلح لأي نوع آخر من المداد .

وطبيعي أن يكثر الطلب على قلم ممتاز كهذا القلم ، فإن لم يكن لدى موردك قلم باركر « ٥١ » ، فسجل طلبك عنده ، فسيظفر قريبا بعدد وافر منه .

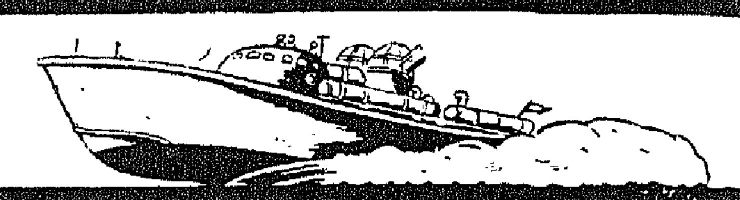
الألوان : أسود ، أزرق قاتم ، بني .

والماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة

شركة أقلام پاركر

جانزفيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.



AUTO-LITE

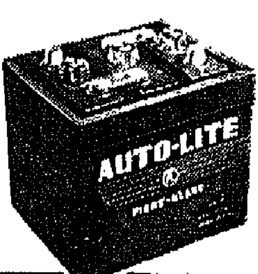
أوتو-ليت يجتاز الامتحان !

إن الاعتماد على عمل المحركات فى البحر ، فى كل وجه من وجوه سير الآلات ، لم يكن فى زمن ما ، أعظم شأناً منه الآن فى مواجهة ضرورات المعارك البحرية السريعة .

إن وحدات أوتو-ليت البحرية ، التى بنيت خصيصاً للخدمة البحرية تثبت يومياً جدارتها فى هذه الخدمة . وهذه المعدات الخاصة قد صممها الرجال الفنيون الذين ابتدعوا فى أوتو-ليت ، اسم خدمة هندسية موقوفة على إتقان وتحسين أدق المعدات الكهربائية الآلية — معدات للسيارات ، واللوريات والأوتوبيسات ، وقد صنعت هذه المعدات بوساطة وسائل الإنتاج فى ستة وعشرين فرعاً كبيراً من أوتو-ليت ، وهى جميعاً تبنى فى كل ما يصنعه أوتو-ليت صفتى الضمان والخدمة .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division)
Chrysler Building, New York 17, N. Y., U.S.A.

شموع
بطاريات شحن
اسلاك



أجهزة للقيام
والإضاءة
والاشعال



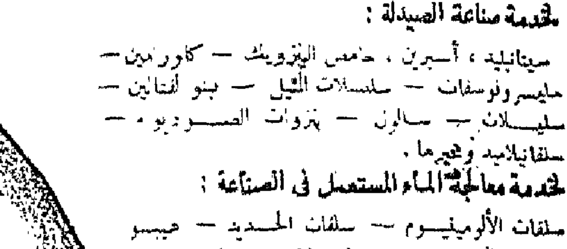
فى مدارس لوكهيد ، يستخدم خط الإنتاج الحقيقى لطائرات لايتننج P-38 ، وطائرات فنتورا فى منزلة كتب دراسية فى الميكانيكا للقوات الجوية الأمريكية . وهذه الطائرات القليلة لن تستعمل فى القتال ، ولكن بفضلها سيتاح لطائرات لوكهيد الأخرى أن تزيد أمد قدرتها على الطيران ومداه .

وفى المدارس التى تديرها لوكهيد ، يصير رجال المطارات التابعة للجيش أو الأسطول اخصائيين — اخصائيين فى درايتهم بطائرات الجيش القاتلة لايتننج P - 38 ، أو طائرات الأسطول القوية PV - 1 فنتورا . وبإشراف مدرسى الشركة ، يتعلمون ميكانيكا الصيانة والإصلاح والترميم وكذلك الحيل الخاصة بحفظ طائرات لوكهيد فى حالة جيدة للقتال .

وفى كل شهر ، يترك ٤٠٠ اخصائى جديد مدارس لوكهيد ليذهبوا إلى القواعد الجوية المتقدمة . وإن الدروس التى تلقوها على الطائرات نفسها ، وهى كتب الدراسة ، تطبق الآن على الطائرات الحربية الجبارة فى ساحات القتال الفعال . وإنهم يعملون اليوم للنصر — غير أن تدريبهم لذو فائدة دائمة . ففى نهاية الحرب سيحتلون مكانهم فى عصر الطيران المقبل . فلن تكتفى لوكهيد حينئذ ، كما لا تكتفى الآن ببناء الطائرات وحسب بل تعنى بإعدادها للطيران ، ولحفظها طائرة كذلك .

تذكر أن **Lockheed** رمز للسبق والتفوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S. A



لخدمة صناعة الصيدلة :

سيتانيليد ، أسبرين ، حامض البنزويك — كلورامين — مايسرونوسفات — سلسلات الفنيل — بنو لفتالين — سليلان — سالول — بنزوات الصوديوم — سلفانيلاميد وغيرها .

لخدمة معالجة الماء المستعمل فى الصناعة :

سلفات الألومنيوم — سلفات الحديد — هيبو كلوريد الصوديوم — فوسفات — سانتو بريت لمنع الحموضة والطحالب من ماء الصناعات

لخدمة صناعة العجائن :

عجائن — أسيتات السليولوز — نترات السليولوز — راتنجات — الفينول . مواد أولية : مثل أحماض — فينول — مركبات الراتنج — مواد معجنة — مركبات النتالين .

لخدمة صناعة الحبر والطلاء :

ورنيش — مواد مذيبة — مواد معجنة — راتنج — مواد مذيبة للروائح — مواد واقية من الفساد — مواد مضادة للأكسدة

لخدمة صناعة الورق :

سلفات الألومنيوم — أمونيا — أحماض — مواد نفاذة — فوسفات وغيرها

لخدمة صناعة المطاط :

عناصر مساعدة — مواد مضادة للأكسدة — مواد ملينة — مواد مذيبة

لخدمة صناعة المواد الغذائية :

جواهر لتعطى مواد الطعام الطعم والرائحة — فوسفات .

لخدمة صناعات الروائح العطرية ومواد الزينة :

طلاء المانيكور والمادة المزيلة له — مواد مرطبة — مواد منشية ومواد مذيبة

لخدمة صناعة الدباغة :

أحماض — شب الألومنيوم — الفينول — مواد نفاذة — « ميركلور » « ميرتانول » فوسفات .

لخدمة الصناعات الكيميائية :

مواد أولية متنوعة ومركبات متوسطة .

لخدمة صناعة الحزم :

مادة « الفيوبالك » الشفافة

إن العمال قلما يرون الإنتاج فى هذا المصنع من مصانع مونسانتو

فى مصانع مونسانتو الحديثة التى تنتج الفوسفور النقى الذى تبلغ درجة نقاوته أكثر من ٩٩,٩ ٪ قد بنيت كعمل على . وللظفر بهذه المادة لابد من أن تكون فى جميع مراحل التحضير بمعزل عن الهواء ، وعلى ذلك ، فإنها تكون محجوبة عن النظر

وإن مونسانتو ، أكبر منتج للفوسفور العنصرى فى العالم ، يرسل معظم هذا الإنتاج رأساً إلى قوات الحلفاء المسلحة . ومن الباقى ، ينتج بضع الأحماض الفوسفورية والفوسفات للصناعات الحربية ولأغراض المدنيين . وإن درجة النقاوة العالية التى يتصف بها فوسفور مونسانتو لتجعل من الممكن إنتاج مشتقات على درجة كبيرة من التجانس والجودة .

فحين تكون فى حاجة إلى أى مادة من مئات المواد الكيميائية والعجائن ، فنحن نقترح أن تتصل بمونسانتو . وليست جميع العجائن والكيميائيات متاحة اليوم ، ولكن الكثير منها متاح . وثق بأن مونسانتو سيرد على استفسارك بسرعة ويخدمك إذا كان ذلك فى حيز الإمكان . وأن شعار مونسانتو هو الضمان والثقة بجودة الصنف .

MONSANTO CHEMICAL COMPANY,
St. Louis, Missouri, U. S. A.

MONSANTO CHEMICALS Ltd.
Victoria Station, London S.W.1. England



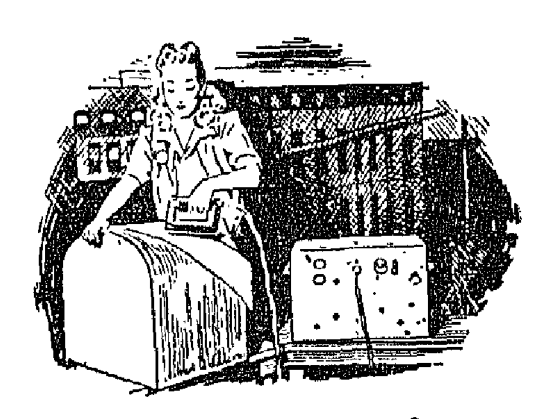


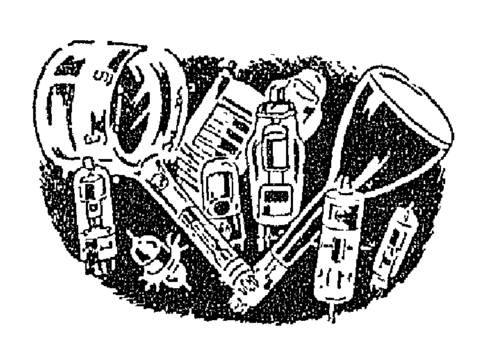
إنك لمدرك أن جودة الصنف بين يديك
والزيادة في ثمن إطارات "چنرال"
قد ردت على أصحاب السيارات دائماً
أكثر مما ينفقون
شركة چنرال تير أند رابر أكسپورت
أكرون، أوهايو، الولايات المتحدة
تلغرافيا: چنتيروكو أكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة، وكندا
ومكسيكو، وفنزويلا، وشيلي، والبرتغال
The
GENERAL
TIRE

RCA تقدم

أحدث مبتكراتها

الحياكة بدون إبرة ولا فتلة :
إن هذه الحائكة الاليكترونية الجديدة التي انتجتها RCA تستخدم الذبذبة اللاسلكية الفائقة الارتفاع لكي تدمج سويا العجائن المرنة التي تكيف بالحرارة والتي تدخل في صناعة معاطف الشتاء والبراشوت وبالونات الارصاد الجوية والغلافات اللازمة لرزم بعض انواع الطعام وحفظ الزيوت وشركة RCA المنقطعة الآن لخدمة أغراض الأمم المتحدة الحربية تباشر الابحاث للوصول إلى منتجات أكمل تفي بحاجات ما بعد الحرب





مكواة اليكترونية ؟ — لا بل لاصق اليكتروني !
أنتجته RCA يدفع الطاقة الاليكترونية بين طبقات « الابلكاج » فيحمي الغراء ويربط طبقات الابلكاج بعضها ببعض وهو يساعد على بناء الطائرات المصنوعة من الخشب على جناح السرعة ويهيىء شتى التسهيلات لصناعة الخشب وسائر الصناعات المتصلة بها .

معجزات السرعة والحساب : تقوم بها أنابيب RCA الاليكترونية التي تستطيع ان ترى وتسمع وتشم وتحسب وتلمس وتذوق وتتكلم وتتذكر . . . إن هذه الأنابيب قد أحدثت انقلابا حقيقياً في الانتاج الصناعي وهناك أنبوبة اليكترونية RCA لكل غرض !

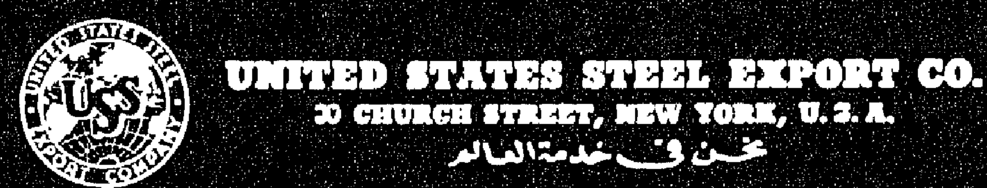


RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة في الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات


١٢٠٠ أخصّائى يعْملون
مِن أجلك !


UNITED STATES STEEL EXPORT CO.
30 CHURCH STREET, NEW YORK, U. S. A.
نحن فى خدمة العالم





ماذا عن الكساء بعد الحرب؟
برنامج ضخم
تقدمه شركة مصر للغزل والنسج
منذ ٣٠ عاما ولدت هذه الشركة المصرية الصميمة بعد أن لمس منشؤوها مقدار
الحاجة إليها نظراً لغلاء الأقمشة الفاحش فى الحرب الماضية ، أما فى هذه الحرب ،
فها هى ذى شركة مصر للغزل وقد ألقيت عليها تبعة توفير الكساء للعدد الأكبر
من الشعب ، فعبأت كل قواها وواصلت مصانعها العمل ليل نهار ، وهى تنتج
الآن أنخر منتجات القطن والصوف والكتان ويعمل بها ٢٦٫٠٠٠ عامل
مصرى بإشراف مهندسين مصريين . وتستهلك ½ مليون قنطار من القطن
وهى تستعد لما بعد الحرب فتعمل على توسيع نطاق العمل بها على أوسع
حد ، فكل قنطار من القطن وكل ما تستطيع البلاد إنتاجه من الصوف
والكتان يجب أن يهيأ لينتج أكبر قدر من الكساء حتى تستطيع
توفية الطلبات المتزايدة على منتجاتها فى مصر والسودان والأقطار
العربية الشقيقة ، وتساهم فى بناء عالم أفضل وأرشد .
شركة مصر للغزل والنسج
أكبر مؤسسة للغزل والنسج فى الشرق

الآلات القوية
التى تقلب التربة

لو كان فى المستطاع أن يشاد بذكر الآلات لبسالتها فى القتال ، لظفرت الجرارة ممهدة الأرض بذلك الذكر الممتاز مراراً كثيرة . فقد أنقذت هذه الآلات حياة كثيرين من جنود الأمم المتحدة ، وذلك لأنها لم تتعثر مطلقاً فى أداء عملها فى المهام الحربية الجوية وقد كسبت معارك برمتها من جراء سرعتها وتفانيها فى شق الطرق المدافع الضخمة . . . فى دفع جبال إلى البحر . . . فى إنشاء المطارات للقاذفات . . . فى بناء مدارج للطائرات فى حقول بث فيها العدو القنابل ، وفى تحطيم أوكار العدو. وما هذا إلا قليل من التجارب التى أسرت الخيال ، وظفرت بإعجاب الجميع .

إن من يصمم الطرق للمستقبل ، يرى فى هذا العمل الذى امتحنته الحرب مجالا أوسع لاستعمال ممهدة الأرض فى أعمال البناء بعد الحرب . فقد أثبتت هذه الآلة أوفى إثبات صدق الاعتماد عليها ، وتعدد نواحى فائدتها ، وقدرتها على أداء أشق الأعمال المطلوبة من آلة . وستكون مستعدة لأعمال السلام الإنشائية التى تنتظرها

زحافات أليس تشالمرز تنقل أثقالا أكبر ، بسرعة أعظم ، ونفقة أقل

محرك ديزل ثنائى الأشواط :

شوط شغل لكل حركة من المكبس إلى أسفل اقتصادية ، فيها تنقل القوة بسهولة .

القدرة :

قوة ١٣٢ حصاناً جراراً ، تدير جنزيراً قويا يقبض بشدة على أى نوع من التربة .

عجلات الجنزير ذات الغطاء المحكم :

تحتاج العجلات الدائرة (السفلية) والثابتة (العلوية) إلى التزييت كل ٢٠٠ ساعة فقط . وفر كبير فى ساعات العمل ووقت العامل وفى زيت التزييت

سهولة الإدارة :

إن أدواتها تجعل الإدارة سهلة حتى للعامل غير المتمرن .

اليس شالمرز



منتجو الآلات مضمونة منذ عام ١٨٤٦

لا تنتظر حتى تتآكل التروس - إذا أحدثت تروس صندوق السرعة فى سيارتك صوتاً عالياً عند تعشيقها فذلك دليل على تآكلها الأمر الذى يتطلب إجراء إصلاحات باهظة التكاليف - بفرض أنك وفقت للحصول على قطع الغيار اللازمة. ولكن ما الداعى للتعرض لمثل هذه الحالة؟ أرسل سيارتك اليوم الى أقرب محطة من محطات سوكونى - ڤاكوم لتشحيمها بمعرفة أخصائيين يضمنون لمحركها وعلبة تروسها تشحيماً صحيحاً سديداً فيه الوقاية التامة ضد الهرش بفضل خبرتهم وزيوت وشحومات موبيلويل وموبيلجريس التى يستخدمونها

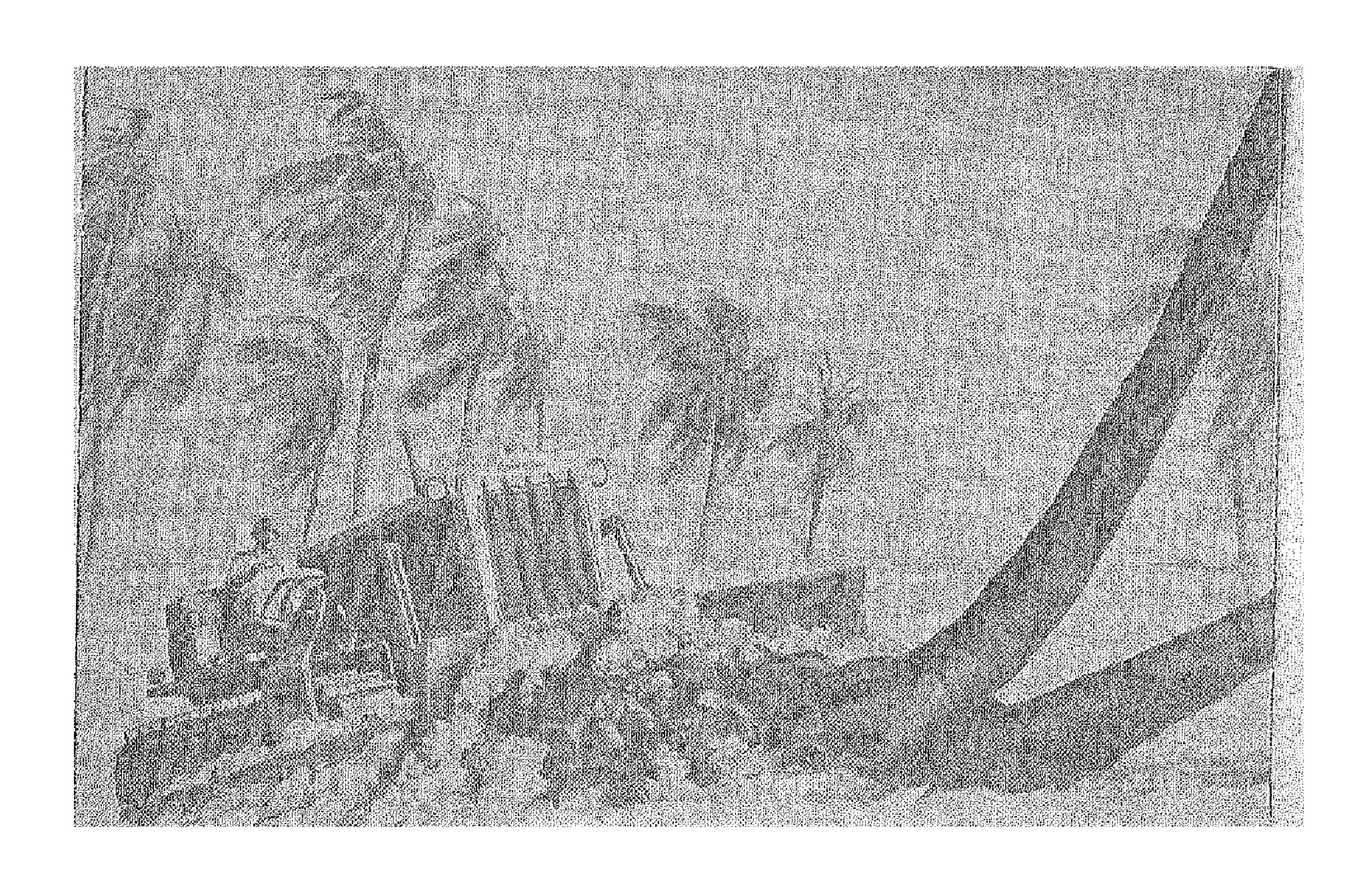
وهذه الخدمة الممتازة تقدم فى جميع محطات بنزين شركة سوكونى - ڤاكوم أويل.

MISHA

C.R. 4954

تفوق تشحيم "موبيل" على غيره





آلة حرب من الدرجة الأولى

إنّ الرجال المحاربين الذين يعودون من ميادين الحرب يتحدثون عن معدات « كاتربيلار » ديزل بحرارة وإعجاب . فهناك « عندما يحتاجون إلى القوة العاملة يجعلون اعتمادهم على آلات « كاتربيلار » ديزل . وقد جسمت الحرب وأبرزت صفة الاعتماد على هذه الآلة المتينة القوية لتوليد القوة ، لأن فشلا واحداً في توليد القوة قد يزهق أرواحاً .

فعلى الطرق العامة فى أثناء السلام ، وفى أعمال البناء ، وفى مخيمات قطع الأخشاب ، وحقول الزيت والمزارع ، امتحنت قدرة آلات ديزل كاتربيلار وصدق الاعتماد عليها بأشق الأعمال الممكنة .

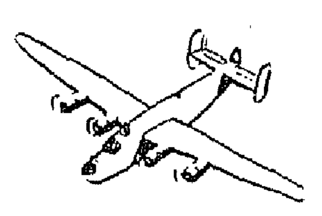
وحينما بحثت القوات المسلحة للأمم المتحدة عن مصدر مضمون للقوة كان علينا أن نسرع فى إنتاج نفس الآلات التى امتحنت وأثبتت كفاءتها منذ سنين كثيرة .

وبعد الحرب ، سيكون أكبر إنتاج لجرارات كاتربيلار ديزل والممهدات الآلية والآلات والأجهزة الكهربائية ، فى التاريخ كله مستعدا لمعالجة مهام لا تحصى ستجيء فى أثر السلام . أما الآن ، فإن موردى « كاتربيلار » فى كل مكان ، قد جهزوا ليقدموا الخدمة الفعالة لحفظ معدات « كاتربيلار » الحالية قائمة بعملها .

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا ، الينوى

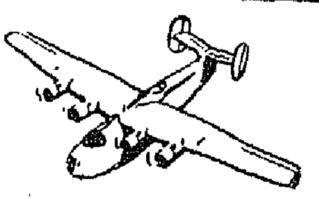
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



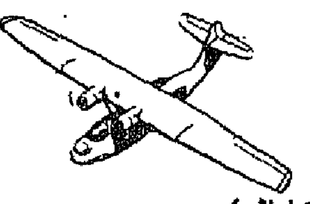
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



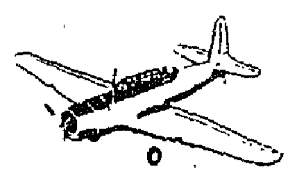
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



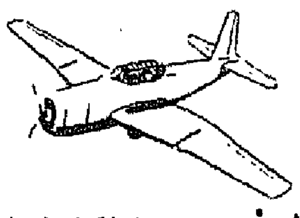
كورونادو — قاذفة دوريه



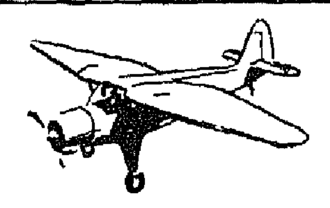
كاتالينا — قاذفة دورية



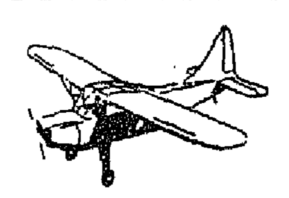
فاليانت — طائرة تدريب أساسيه



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



سنتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif. · Vultee Field, Calif. · Tucson, Ariz.
Fort Worth, Texas · New Orleans, La. · Louisville, Ky.
Wayne, Mich. · Dearborn, Mich. · Allentown, Pa.
Nashville, Tenn. · Elizabeth City, N. C. · Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية


تطلع إلى
Firestone
فايرستون
فى عالم ما بعد الحرب
لأجمل منتجات تجعل
العيش أرغد وأسعد

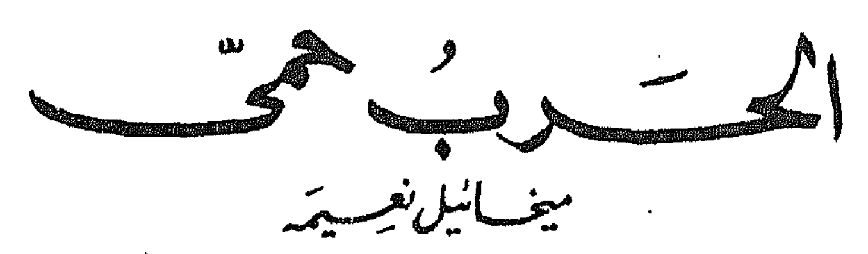
فالحرب حمّى ، ولكنها — ككل الحميّات — دليل على أن الجسم المحموم جسم حى يعمل بكل قواه ، وبحرارة فائقة ، لاستعادة توازنه بالتغلب على ما فيه من سموم وجراثيم خبيثة . أما أن الإنسان ، رغم كل ماخبره من ألم ، ما يزال عرضة لشتى الحمّيات — وأفظعها حمّى الحرب — فذاك لأن التوازن الدائم هو الكمال ، والكمال بعيد المنال ، ولكنه ليس بمستحيل على الإنسان .

وها هى إنسانية اليوم بعضها يشوى بحمّى الحرب ، فى حين يعمل بعضها الآخر على نسج خلايا جديدة تقوم مقام التى التهمتها الحرب . فالهدم والبناء يسيران جنباً إلى جنب ، وحمّى السلم فى العالم لا تقل حرارة عن حمّى الحرب .

أما تشعر ، وأنت تقلب صفحات هذه المجلة المتزنة ، بأن حياة العالم الفكرية والقلبية والعملية تنساب من سطورها جداول وأنهاراً بين يديك ؟ فلا أنت بالغريب عن أحد فى العالم ، ولا شىء فى العالم بغريب عنك ، بل أنت واحد من أسرة كبيرة تدعى الإنسانية . وإذ ذاك ففى استطاعتك أن تفكر تفكيراً عالمياً ، وأن تشعر شعوراً عالمياً ، وأن تعمل لذاتك كما لو كنت تعمل للناس أجمعين . وهذه خطوة واسعة نحو التوازن العالمى الذى نمشى إليه بخطى ثابتة ، وإن كانت وئيدة ، وسندركه ولو استغرق السير الدهرَ كله . أو ليس الدهرُ كله للإنسان ؟

[بسكنتا — لبنان]

ميخائيل نعيمه



الحرب حمّى

ميخائيل نعيمة

مؤلف : « المراحل » ، « زاد المعاد » ، « جبران خليل جبران » وغيرها

الحُمّى ليست داء ولكنها النذير بوجود الداء . وما من داء أصاب يوماً إنساناً إلا كان نتيجة لمخالفة بدرت منه — عن وعى أو عن غير وعى — لقانون التوازن الذى منه تتفرع وإليه تعود كل القوانين المنسوبة خطأً إلى الطبيعة .

وأما التوازن فهو السر كل السر فى الحياة ، والهدف الأبعد والأسمى للإنسان من وجوده . ومن صفاته أنه يتمم ذاته بذاته ، فما حاد عنه كائن حى إلا رده إليه . ودواؤه فى ذلك هو الألم الذى لولاه لما عرف الإنسان يوماً أن توازنه قد اختلّ .

فالأمراض بأنواعها ، من جسدية ونفسية ، ليست سوى الخلل الطارئ على التوازن فى أجساد الناس ونفوسهم . وللأمراض أعراض جمّة أبرزها الحمّى . فكما يصاب الجسم بحمّى التيفوئيد تصاب النفس بحمّى الغضب ، والبغض ، والحسد ، والولوع بالشهرة والجاه والسلطان ، وكل ما فى قلب الإنسان من شهوات وميول ، وفى فكره من وساوس وهواجس . وهذه الحمّيات ترتفع وتهبط على قدر ما يكون الخلل فادحاً أو طفيفاً . فإذا بلغ حدّ الخطر فى جسم الإنسانية ارتفعت الحمّى إلى درجة الحرب .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية